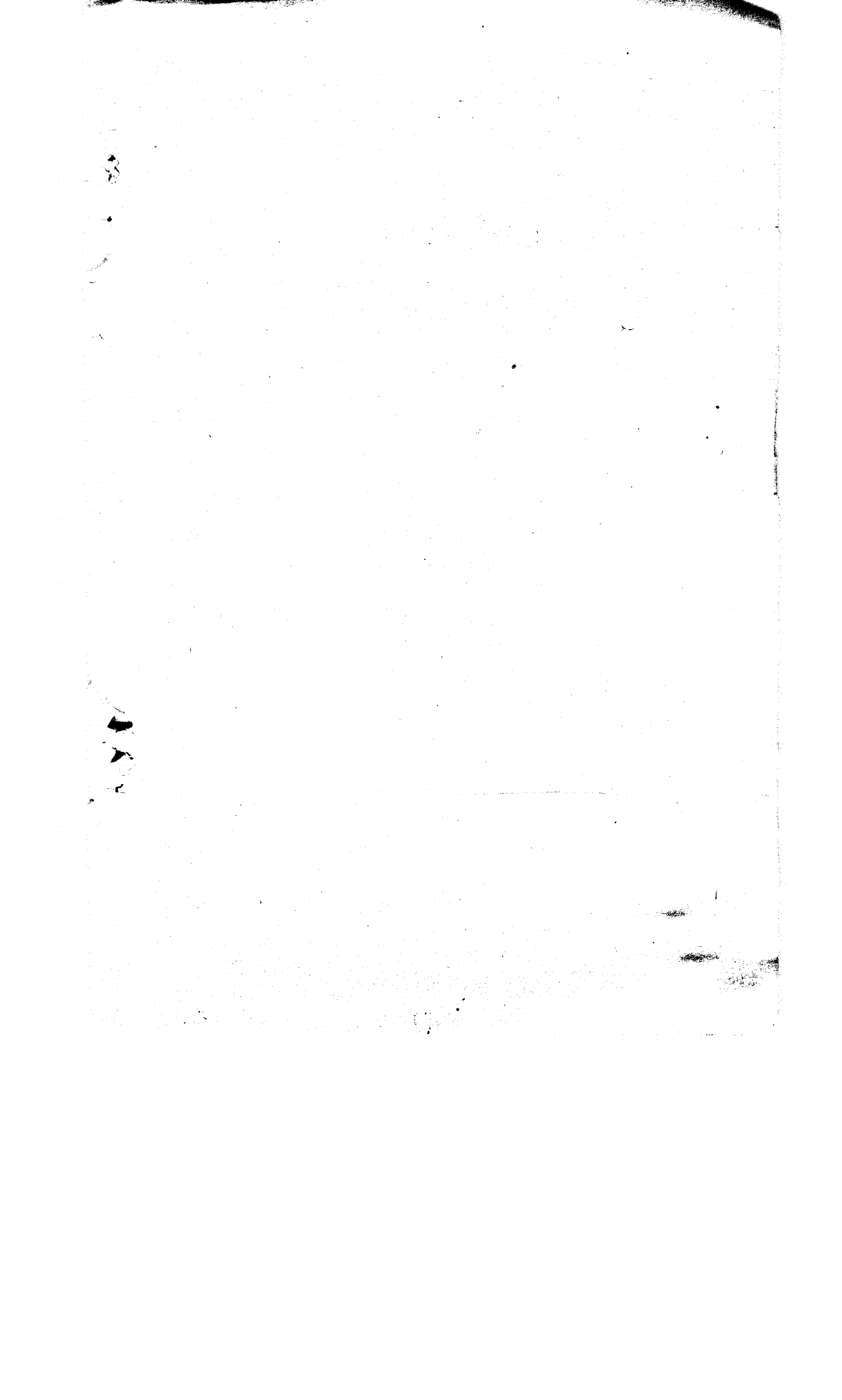
« الأدب الجاهلي
وقضية الانتحال فيه »

إعداد
د/ محمود علي السمان
أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد
وعميد كلية اللغة العربية
بالبحيرة (إيتاي البارود)

١٩٩٥م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ...

وَبَعْدُ...

فَهَذِهِ مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَدَبِ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ شِعْرًا وَنَثْرًا، وَهُوَ الْأَدَبُ الَّذِي تَتَمَثَّلُ فِيهِ الْبَلَاغَةُ الْعَرَبِيَّةُ أَصْدَقَ تَمْثِيلٍ، مِمَّا جَعَلَهُ مَوْضِعَ تَحَدِّي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي هَذِهِ الْبَلَاغَةِ، إِذْ لَوْلَا مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ دَرَجَةٍ بَلَاغِيَّةٍ عَالِيَةٍ - مَا كَانَ لِهَذَا التَّحَدِّي مِنْ مَجَالٍ.

وَهَذَا الْأَدَبُ الْجَاهِلِيُّ هُوَ فَاتِحَةُ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ، وَالْأَصْلُ فِيهِ وَالْقُدْوَةُ لَهُ، وَالْمِثَالُ عَلَيْهِ... فَكُلُّ مَا جَاءَ وَيَجِيءُ مِنْ أَدَبٍ بَعْدَهُ - إِنَّمَا هُوَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ، وَعَالَةٌ عَلَيْهِ، وَامْتِدَادٌ لَهُ، وَاسْتِيحَاءٌ مِنْهُ.

وَلِهَذَا كَانَتْ دِرَاسَتُهُ فِي بِدَايَةِ الدِّرَاسَاتِ الْأَدَبِيَّةِ ضَرُورَةً حَتْمِيَّةً... وَلِهَذَا أَيْضًا كَانَتْ دِرَاسَتُنَا لَهُ بِالصُّورَةِ الَّتِي يَسْهُلُ عَلَى أَبْنَائِنَا الطُّلَّابِ فَهْمُهَا وَاسْتِيعَابُهَا - أَمْرًا يَسْتَوْجِبُ مِنَّا الِاهْتِمَامَ بِهِ، وَالِاحْتِشَادَ لَهُ، وَالتَّدْقِيقَ فِي اخْتِيَارِ نُصُوصِهِ، وَالدِّرَاسَاتِ فِيهِ.

وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ الْقَصْدِ، وَهُوَ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ

« د. محمود السمان »

« النَّثْرُ الْجَاهِلِيّ »

الكلامُ العربيُّ[1]

وتقسيمه إلى منثورٍ ومنظومٍ

« الكلامُ » مفخرةُ العربِ الفاخرةُ ، وآيتهم الباهرةُ ، برزوا فيه على الأمم ، واشتهروا قديمًا بذلاقةِ اللسانِ ، وقوةِ البيانِ ، وحضورِ البديهةِ ، وسرعةِ الخاطرِ ، والخوضِ في ميادينِ الكلامِ ، من غيرِ تحضيرٍ ولا إعدادٍ واختصُّوا بجوامعِ الكلم ، التي تشتهي القلوبَ ، وتسترعي الأسماعَ ، ولم يكونوا يلتزمون في كلامهم طريقةً واحدةً ، بل كانوا يسلكون سُبلًا شتَّى ، وطرقًا مختلفةً ، فتارةً يرسلون الكلامَ إرسالاً ، فلا يلتزمون تقفيةً ولا وزنًا ، ويُسمَّى هذا النوعُ من الكلامِ « مُرسَلاً » وحينًا يزاوجون بين القرائن[2] ويأتون بها متفقةَ الفواصلِ في الوزنِ وهذا ما يُسمَّى « الموازنة » أو « الازدواج » وطورًا يسوقون القرائنَ متفقةً ،

---

(١) اعتمدنا في هذا البحث على المطول ، والمثل السائر والصناعتين ، ومجمع الأمثال ، وبيان الجاحظ .

(٢) القرينةُ : قطعةٌ من الكلام جُعلت مزاوجةً للأخرى ، كالفقرةِ ، والفاصلةُ : « الكلمة الأخيرة منها » .

الفواصل فى الحرف الأخير ، وهذا هو « السَّجْعُ » ، وأحيانا يلاحظون الوزنَ والتقفيةَ معاً ، وهذا هُوَ الشِّعْرُ .

فالكلام موزونٌ فقط ، أو مقفىً فقط ، أو خالٍ من الوزن والتقفية ، أو جامعٌ لهما . وينتظم « النثرُ » الثلاثةَ الأولى ، والرابعُ هو الشعر ، وإذا يقسمون الكلام — أولا — قسمين : نظما ونثرا ، فالنظم هو الكلام الموزون المقفى . من نظمت اللؤلؤ إذا جمعته فى سلك واحد .

والنثر ما لم يُلتزَمْ فيه ذلك : مِنْ نثرتُ الشيءَ : إذا رميتُه متفرقا ؛ وأقسامه ثلاثةٌ :

١ — مرسَلٌ . وهو ما لم يُلتزم فيه اتفاق الفواصل ، فى وزن ولا فى قافية ، كآية الكرسى ، وآية المداينة .

٢ — ومزدوجٌ أو موزونٌ وهو ما اتَّحَدَتْ فواصله فى الوزن دون القافية ، وهو ما يُسَمَّى « الموازنةَ » عند البديعيين ، كما فى قوله تعالى : « نمارقُ مصفوفةٌ ، وزرابى مبثوثة » .

فإن اتحدت الفواصل فى الوزن والقافية ، عُدَّ مِنَ السجع فى الراجح وَعَدَّهُ بعضهم مِنَ المزدوج (1) .

٣ — ومسجوعٌ : وهو ما اتحدت فاصِلَتَاهُ أو فَوَاصِلُهُ فِى الحُرُوفِ

---

(1) فعلى الأول تكون النسبة بين السجع ، والازدواج التباين ، وعلى الثانى العموم والخصوص الوجهى : يجتمعان فى مثل قوله تعالى : « فيها سرر مرفوعة ، وأكواب موضوعة » ، وينفرد الازدواج فى قوله تعالى : « ونمارق مصفوفة » الآية ، وينفرد السجع فى مثل قوله تعالى : « ما لكم لا ترجون » الآية .

الاخير، كما في سورة عبس، والمزمل، والمدثر، والنازعات وغيرها، وهو من سجعت الحمامة إذا غنت على طريقة واحدة.

وهو قسمان: طويل: وهو ما زادت قرينته على عشر كلمات، نحو قوله تعالى، إذ يريكهم الله في منامك قليلا، الخ، وقصير: وهو ما لم تزد قرينته على عشرة كلمات، وكلما قلت كلمات قرائنه كان أجود، لوعورة مسلكه، وقرب فواصله من الآذان، كقوله تعالى: « يأيها المدثر، قم فأنذر، الآيات.

وأحسن السجع ما تساوت قرائنه، نحو: « والعاديات ضبحا، فالموريات قدحا، الخ، ثم ما طالت قرينته الثانية، نحو: « والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى، الخ أو الثالثة، نحو: « خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه، الآيات ويقبح أن تكون اللاحقة أقصر من السابقة قصرا كبيرا، أما القصر القليل، فلا عيب فيه كقوله صلى الله عليه وسلم للانصار « إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع ».

ويكون السجع حسناً إذا كانت ألفاظه تابعة لمعانيه، وكان لكل فقرة منه معنى جديد، وكانت ألفاظه متخيرة، أما إن كان ضعيف النسج، متكلفا تابعة معانيه لألفاظه، متحد الفقرات في المعنى، فانه يكون سمجا قبيحا.

فليس السجع في ذاته معيباً، كما ظن، وكيف يكون كذلك، وهو كثير في القرآن الكريم — أبلغ الكلام العربي — وقد نطق به أفصح العرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ قال: ارجعن مأزورات غير مأجورات، وقال: أعيذه من الهامه والسامة، ومن كل عين لامة، وقال أفشو السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام. وأما قوله صلى الله عليه وسلم لمن اعترض على الحكم على المرأة التي اعتدت على أخرى، فأسقطت جنينا: أسجعا كسجع الكهان؟!! جوابا عن قوله:

« أأدى من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل ، ومثل ذلك يُطَلّ » ، فهو إنكار لسجع الكهان لا لمطلق سجع أو إنكار للاعتراض على الحكم ؛

هذا — ولا شيء في تسمية بعض الآيات سجعا ، كما رأى ذلك أصحاب سر الفصاحة ، والصناعتين ، والمثل السائر ، خلافا للباقلانى وأصحابه الذين يرون تسمية الجمل القرآنية فواصل ، أخذا من قوله تعالى : « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » ، وإكبارا لمقام القرآن عن أن يسمى سجعا .

ومن أمثلة النثر المأثور [١] قول ضمرة بن ضمرة ، المشهور بالمعيدى للنعمان ، جوابا على قوله ، تسمع بالمعيدى خير من أن تراه ، مهلا أيها الملك ، إن الرجال لا يكالون بالصيعان وإنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، إن قاتل قاتل بجنان ، وإن نطق نطق ببيان ، فقال صدقت ، لله درك ! ألك علم بالأمور والولوج فيها ؟ قال والله إنى لأبرم منها المسحول [٢] .

وأنقض منها المفتول ، وأحيلها حتى تحول ، وليس للأمور بصاحب ، من لم ينظر فى العواقب ، قال صدقت ، لله درك ! ! فأخبرنى : ما العجز الظاهر والفقر الحاضر ، والداء العياء [٣] .

---

(١) يتشكك كثير من الأدباء فى صحة النثر الجاهلى ونحن نسلم لهم فى ذلك ونقرر أن النثر الجاهلى قليل بل أقل من القليل كيف لا والنثر عسير الحفظ سريع النسيان وهم لم يكونوا أمة كتابة ولا تدوين . وإذا كان معظم الشعر الجاهلى ضاع فكيف بالنثر ؟ لكن ما أثر فى صدر العصر الإسلامى يقرب إلينا صورته فقد جاء على نمطه فى صياغته وشكله .

(٢) المفتول على طاقة واحدة .

(٣) الذى لا يرجى برؤه .

والسوءة السوداء ؟ قال : أما العجز الظاهر ، فالشاب القليل الحيلة ، الملازم الحليلة ، الذى يحوم حولها ، ويسمع قولها ، إن غضبت ترضاها ، وإن رضيت تفداها ، وأما الفقر الحاضر ، فالمرء لا تشبع نفسه ، وإن كان من ذهب حلسه . وأما الداء العياء ، فجار السوء ، إن كان فوقك قهرك ، وإن كان دونك همزك ، وإن أعطيته كفرك ، وإن منعته شتمك ، فإذا كان جارك فأخل له دارك ، وعجل منه فرارك ؛ وإلا فأقم بذل وصغار ، وكن ككلب هرار . وأما السوءة السوداء فالحليلة الصخابة (١) الخفيفة الوثابة ، السليطة (٢) السبابة التى تعجب من غير عجب ، وتغضب من غير غضب ، الظاهر عيبها المخوف غيبها ؛ فزوجها لا يصلح له حال ، ولا ينعم له بال ، وإن كان غنيا لا ينفعه غناه ، وإن كان فقيرا أبدت له قلاه ، فأراح الله منها بعلها ، ولا متع الله بها أهلها . « جمهرة الأمثال فى الكلام على المثل « تسمع بالمعيدى خير من أن تراه » .

ووصف لبيد بن ربيعة ، وقد امتحنه قومه وهو غلام — بقلة تدعى « التربة » : فقال :

هذه التربة لا تذكى نارا ، ولا تؤهل دارا ، ولا تسر جارا ، عودها ضئيل ؛ وفرعها ذليل ، وخيرها قليل ، أقبح البقول مرعى ، وأقصرها فرعا ، وأشدها قلعا ، بلدها شاسع ، وآكلها جائع ، والمقيم عليها قانع (٣) .

« انظر جمهرة الأمثال فى شرح المثل : قد قيل ما قيل ، إن حقا وإن كذبا . وكتاب المعمرين » .

---

(١) كثيرة اللغط والجلبة .

(٢) البذيئة .

(٣) سائل .

وينقسم النثر من حيث موضوعاته ، إلى الحكم ، والأمثال ، والخطب والوصايا ، والمحاورات ؛ وسجع الكهان.

الحكم والأمثال (١)

الحكمة : قول صائب ، صدر عن روية وتفكير ، أو تجارب صحيحة في الحياة (٢) يقال : حكمة إذا منعه مما يريد ومنه حكمة الدابة لأنها تذللها لراكبها ، وتمنعها الجماح ، ومنه اشتقت الحكمة ، لأنها تمنع صاحبها من سوء الأخلاق والأعمال .

وكان في الجاهلية لدى العرب ، حكماء وحكيمات كثيرون يلتجأ إليهم في فض الخصومات والمنافرات ، وكان لكل قبيلة حكيم تفزع إليه في معضلاتها وتحكمه في منافراتها .

وإذا اشتهرت الحكمة وسارت في الناس صارت مثلا . ومن أشهر حكمائهم أكثم بن صيفي التميمي ، ومن حكمه . مقتل الرجل بين فكيه . إن قول الحق لم يدع لي صديقا ، لم يهلك من مالك ما وعظك ويل لعالم أمر من جاهله نعم لهو المرأة المغزل .

وعامر بن الظرب . ومن حكمه .

« رب أكلة منعت أكلات » العقل نائم ، والهوى يقظان . من طلب شيئاً وجده ، رب زارع لنفسه حاصد سواه . وذو الأصبع العدواني وحاجب ابن زرارة التميمي . وضمرة بن ضمرة التميمي . والأفعى الجرهمي . والعاص بن وائل

---

(١) واعتمدنا في هذا البحث على أمثال الميداني وأبي هلال العسكري ، وفجر الإسلام ، وبلوغ الأرب ، والأمالي ، وغيرها .

(٢) يستوي في ذلك الشعر والنثر : ومن الحكم الشعرية . أبيات زهير المبدوءة بمن في معلقته وفي كتاب العمدة جـ ١ جملة منها .

والد عمرو بن العاص ، وهاشم بن عبد مناف سيد قريش فى زمنه ، وعبد المطلب جد الرسول صلى الله عليه وسلم وفى البيان للجاحظ ج ١ عدد منهم .

ومن حكيماتهم هند بنت الخس وصحر بنت لقمان وبنت عامر بن الظرب .

وبقية أسماء الحكماء والحكيمات فى القاموس ، مادة حكم .

والمثل كما قال المبرد : قول سائر ، يشبه به حال الثانى بالأول وقال المرزوقى فى شرح الفصيح : هو جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلة بذاتها تتسم بالقبول وتشتهر بالتداول فتنقل عما وردت فيه الى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها فى لفظها الخ .

وقد جمع هذا التعريف بين المثل والحكمة ، وهذا ما سار عليه مؤلفوا الأمثال كالميدانى ، وأبى هلال العسكرى [1] فقد جمعا فى كتابيهما بين النوعين ، وسميا الكل أمثالا ، فكأن مدار المثلية ، على الذيوع والانتشار ، سواء فى ذلك ما صدر فى حادثة معينة ، وكانت له قصة معروفة نحو : الصيف ضيعت اللبن . ورجع بخفى حنين . وعند جهينة الخبر اليقين — وما فاضت به ألسنة الحكماء ، من جمل قصيرة صائبة كالتى ذكرت آنفاً لا كثم ، ولعامر بن الظرب .

والأمثال تكسب الكلام طلاوة وقوة وروعة ، وتعمل عمل الإطناب وتقوم مقام البرهان ؛ وهى فى الكلام كالزهر فى الروض ، والواسطة فى العقد ، تجمع بين الإيجاز وإتقان التشبيه وإصابة المعنى . فهى أسير من الشعر ، وأبقى منه ؛ ولذا قيل : أسير من مثل : قال الشاعر :

« ما أنت إلا مثل سائر يعرفه الجاهل والخابر »

---

(١) كذلك صنع ابن رشيق فى فصل الأمثال الذى ذكره بالجزء الأول من العمدة .

وهي مرآة تتجلى فيها أخلاق الأمة وعاداتها وعقولها ، ودينها ، ولغتها ، وهي في هذه الناحية ، أقوى وأتم دلالة من الشعر إذ الشعر لغة طائفة خاصة ممتازة برقي الفكر والعناية بالألفاظ . أما الأمثال فصوت الشعب المنبعث من جميع طبقاته ، بلا تنميق ولا تزويق ، ولذا ترى فيها التصريح بالعورات وضعف التركيب في المثل : إلا ده فلا ده (١) .

غير أن اختلاط الجاهلي منها بغيره في المؤلفات ، يضعف الانتفاع بها في هذه الناحية . نعم ، يمكن في كثير من الأحوال تمييز الجاهلي من غيره بالقرائن ، كما إذا كان مضافاً الى شخص معروف ، كقولهم : « أعز من كليب وائل » أو كان منافياً للتعاليم الإسلامية ، كقولهم : اليوم خمر ، وغداً أمر ، و « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » .

أما مواردها ، فيظهر في كثير منها أثر الصنعة ، بدليل اختلافها في المثل الواحد أحياناً ، وعدم انطباق القصة على المثل انطباقاً وجيهاً أحياناً أخرى فقد قالوا إن « خذ من جذع ما أعطاك » يضرب في اغتنام ما يجود به البخيل مع أنهم قالوا إن أصله إن جذعاً ضرب محصل الضريبة حين أتاه يطالبه بها قائلاً له هذا المثل فقتله .

والأمثال : إما حقيقية ، وهي ما لها أصل ، أو قائل معروف نقلت عنه . وقد ألف فيها كثيرون ؛ وأهم كتبها :

مجمع الأمثال للميداني ، وجمهرة الأمثال ، لأبي هلال العسكري ، والمستقصى للزمخشري . وكثير منها منثور في معاجم اللغة وكتب الأدب .

وفرضية — وهي ما حُكِيَتْ على لسان حيوانٍ أو نبات أو جماد . وهي نزهة البال ، وأحبولة الوعاظ . والحكماء يصلون منها الى أغراضهم في زمن الاستبداد ، من غير أن يتعرضوا للخطر .

---

(١) يضرب مثلاً للرجل يطلب شيئاً ، فإذا منعه طلب غيره .

ومن كتبها . كليلة ودمنة . وسلوان المطاع . وفاكهة الخلفاء . والعيون اليواقظ .

ومن هذا النوع ، قولهم . كيف أعاودك وهذا أثر فأسك ؟!!!

وأصله : أن أخوين أجدبا ، فرغب أحدهما الى أخيه أن ينتقل معه الى واد خصيب ، معشب ، كانت به حية فتاكة ، فخوفه أخوه شرها فلم يبال بذلك وانتقل اليه ، فنهشته فمات ، وخافت أخاه ، فصالحته على أن تعطيه كل يوم دينارا فلما أيسر ؛ هم بقتلها ، فضربها بفأسه ، فأخطاها ، وأصاب باب الجحر ثم أراد مصالحتها ، استبقاء للدينار ؛ وخوفا من شرها ، فقالت : كيف أعاودك وهذا أثر فأسك ؟!!!

ومن ذلك مثل الشاة والذئب .

رأيت شاة وذئبا ، وهي ممسكة	بأذنه ، وهو منقاد لها ساري
فقلت . أعجوبة ؟ ثم التفت أرى	ما بين نابيه ملقى نصف دينار
فقلت للشاة . ماذا الألف بينكما	والذئب يسطو بأنياب وأظفار ؟
تبسمت ، ثم قالت وهي ضاحكة	بالتبر يسكر ذاك الضيغم الضاري .

ومن أقدم الأمثال ؛ أمثال لقمان ، وقد تنازعه العرب ، واليهود المصريون ، والحبش ، وتوسع في الحديث عنه الشريشي جزء ٢ .

ومن أمثاله .

رب أخ لك لم تلده أمك . قالوا . إن رجلا كان سائرا ذات يوم ، فعطش فدفع الى خيمة ، في فنائها امرأة تداعب رجلا ، فاستسقى فقال المرأة اللبن تبغى أم الماء ؟ فقالت ، أيهما كان ولا عداء ، فذهبت مثلا . فقالت المرأة أما اللبن فخلفك ، وأما الماء فأمامك ؛ فقال . المنع كان أوجز ، فذهبت مثلا وبينا هو كذلك إذ رأى صبياً في البيت يبكي ، فلا يكترث له ، ويستسقى فلا يسق

فقال . ادفعوا الى هذا الصبي إن كنتم في غنى عنه ، فقالت المرأة . ذاك إلى مالك . ثم قال لها . من هذا الشاب الى جنبك ؟ فقد علته ليس بمثلك ، قالت : هذا أخي ، قال . رب أخ لك لم تلده أمك ، ونظر الى أثر زوجها في القتل فعرف أنه أعسر (١) فقال . ثكلت الأعيسر أمه ، لو يعلم العلم لطال غمه ، فذعرت المرأة ذعرا شديدا ، وهمت بإكرامه ، فأبى وقال : « المبيت على الطوى حتى تنال به كريم المثوى ، خير من إتيان ما لا تهوى » فذهبت مثلا ، ومضى ، فلقى مع العشاء رجلا يسوق إبله ويرتجز :

روحي الى الحي ، فإن نفسي رهينة فيهم بخير عرس
حسانة المقلة ، ذات أنس لا يشترى اليوم لها بأمس

فعرفه لقمان ، فقال . يا هانيء ، فقال : ما بالك ؟ فقال .

ياذا البجاد (٢) الحلكه والزوجة المشتركه
عش رويدا إبلكه لست لمن ليست لكه

فقال : نور نور ، لله أبوك ! ! قال لقمان على التنوير ، وعليك التغيير أن كان عندك تكبير ، كل امرىء في بيته أمير ، فذهبت مثلا ، وقص عليه ما رأى من زوجه ، فقال . وما الرأى ؟ قال . الرأى أن تتحرى ، حتى تعرف حقيقة ما جرى ، قال . أفلا أعالجها بكية ، توردها المنية ؟ قال « آخر الدواء الكى » فذهبت مثلا . ثم انصرف الى امرأته ، فقص عليها القصة ، وضربها حتى بردت ورواها أبو هلال في حرف الخاء .

ومنها « قد حيل بين العير والنزوان (٣) » يضرب الرجل يحال بينه وبين مراده ، وقائله صخر بن عمرو أخو الخنساء .

---

(٣) العير : الحمار وغلب على الوحشى . والنزوان الوثوب من نزا ينزو بمعنى وثب
(٢) الأعسر الذى يعمل بيده اليسرى .
(٢) كساء مخطط .

وذلك أنه غزا بنى أسد ، واكتسح إبلهم ، فأدركوه ومن معه فطعنه أبو ثور فى جنبه ، فرض حولا حتى مله أهله ، فسمع امرأة تقول لامرأته : كيف بعلك ؟ قالت لا حى فيرجى ، ولا ميت فينعى ، قد لقينا منه الأمرين . ومر بها رجل — وكانت جسيمة — فقال لها هل لك رغبة فى زواجى ؟ قالت : نعم عما قليل ؛ فسمعها صخر فقال أما والله لئن قدرت عليك ، لأقدمنك قبلى ، وطلب أن تناوله السيف فناولته إياه ، فلم يستطع أن يقتلها ، وسئلت أم صخر عنه فى مرضه هذا ، فقالت ما زال بخير ما دام فينا ، فقال :

أرى أم صخر لا تمل عيادتى ... وملت سليمى مضجعى ومكانى
فأى امرىء ساوى بأم حليلة ... فلا عاش إلا فى شقاً وهوان
أهم بأمر الحزم لو استطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان !!
لعمرى لقد نبهت من كان نائما ... وأسمعت من كانت له أذنان

ومن ذلك : إن أخاك من آساك .

وأصله أن رجلا أراد أن يبلو ثقاته ، ليعرف مقدار إخلاصهم له ، فعمد إلى كبش فذبحه ؛ ولفه فى ثوب . ثم دعا أحدهم وقال له : إن أخاك من وفى لك بعهده ؛ وحاطك برفده ؛ فقال نعم وهل حدث أمر ؟ قال : قتلت فلانا — وأشار إلى الكبش مسجى — واحتاج إلى مساعدتك فى دفنه ؛ فقال : يا لها سوأة وقعت فيها !! إننى لست بصاحب لك فى هذا . وبعث إلى عدد منهم ؛ فكان جوابهم جوابه إلا واحدا منهم قال له : هذا أيسر خطب ، وسأله هل أطلع على ذلك أحد سوى هذا الغلام ؟ فقال . لا ، فأهوى بسيفه إلى الغلام فقتله ، قائلا « ليس عبد بأخ لك » فذهبت مثلا فلامه على فعله ، فقال : « إن أخاك من آساك » . فقال : ما أردت إلا اختبارك وكشف له عن الكبش ؛ فقال : « سبق السيف العذل » فذهبت مثلا .

ومنها :

يجرى بليق [١] ويلجم — يضرب للرجل يحسن ويعاب

حلى أصم ، وأذن غير صماء — للاغضاء على القذى والسكوت على المكروه

عينك عبرى والفؤاد فى دد [٢] — لمن يظهر خلاف ما يبطن

رمتنى بدائها وانسلت — ويعيب الناس بما فيه من عيوب

الخُطَبُ والخطباء

العرب قبائل أمية متشاحنة متنازعة دأبهم التناحر والتقاتل لاوهى الاسباب وأظهر خلائقهم العزة والأنفة ، وحماية الجار ، والنفور من العار ، والاخذ بالثأر ؛ والتفاخر . والمباهاة بالنسب والعدد وكرم الخلال وكثر الاموال لاحكومة تضبطهم ، ولا قوة تخضعهم ، يأسرهم القول البليغ ، ويصرفهم الخطيب كيف يريد . وقوم هذه طباعهم ، لابد أن تقوى فيهم الخطابة ويعظم شأنها ، كيف لا !! وهى من لوازم الحروب ، لتثبيت الجنان

---

(١) اسم فرس

وتشجيع الجبان ، وبعث الحمية فى النفوس ، وجمع الكلمة ، وتوحيد المفرق ومنح المقاتلين قوة فوق قوتهم ، ليظفروا بعدوهم ، ويأخذوا بثأرهم ، ويحافظوا على شرفهم . ولذا علت بينهم مكانة الخطباء ، وعظم شأنهم كما عظمت منزلة الشاعر لذيادهما عن حياض القبيلة ، وجمعهما الكلمة ، وإشادتها بمفخارها ، قال قيس بن عاصم المنقرى [1] يفتخر بالخطابة فى قومه .

إنى امرؤ لا يعترى خلقى دنس يُفَنِّدُهُ ولا أَفْنُ [2]
من منقر فى بيت مكرمة والأصل ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقول قائلهم بيض الوجوه مصاقع [3] لسن

وقال عمرو بن الأطنابة :

إنى من القوم الذين إذا انتدوا بدءوا بحق الله ثم النائل
القائلين فلا يعاب خطيبهم يوم المقامة بالكلام الفاصل

وقال آخر :

لقد علم الحى اليمانون أننى إذا قلت : أما بعد — أنى خطيبها

وزادها رفعة وسموا اختصاص الرؤساء بها ، وأعراض كثير منهم عن الشعر ، حين تدلت مكانته بالتكسب وانتهاك الحرمات .

وكان مقتضى ذلك أن يكون المنزوى منها كثيرا ، ولكن حال دون ذلك صعوبة حفظ النثر ، وسرعة نسيانه ، وأميتهم . والظاهر أن الرواة لم يكن

---

(١) سيد بنى تميم فى وقته شاعر فارس أدرك الإسلام ، وأسلم وصحب النبى وعمر وكان ميمون النقيبة فى غزواته مظفرا .

(٢) ضعف الرأى والعقل .

(٣) جمع مصقع كمنبر : البليغ أو العالى الصوت أو من لا يرتج عليه فى كلامه ولا يتتعتع ، يتردد فى حصر أوعى .

فى استطاعتهم استظهار الخطبة كاملة ، ولا نقلها بدون تصرف فى اللفظ ، ولذا يكثر اختلاف الرواية فى المروى منها.

وتدور الخطابة فى الجاهلية حول الموضوعات الآتية .

الحث على القتال والأخذ بالثأر ، والدعوة إلى الصلح بوصف الحرب وويلاتها وعواقبها ، والمفاخرات والمنافرات ، والسفارات بين قبائل العرب ، أو بين العرب وجيرانهم فى التعازى والتهانى ، وتأمين السبل وحماية التجارة ، والاستنجاد والاستعانة .

وفى كتب الأدب أخبار كثيرة عن وفود العرب إلى النعمان ، لما كان له من نفوذ كبير فى القبائل القريبة منه .

ويجىء بعد ما سبق من الأغراض ، الدعوة الى عبادة الله وتوحيده والتبشير برسول حان حينه : وخطبة النكاح .

وخطب العرب طوال وقصار ، وهم إلى القصر أميل لانطباعهم على الإيجاز ورغبتهم فى حفظها وانتشارها — قيل لأبى عمرو بن العلاء هل كانت العرب تطيل فقال : نعم ليسمع منها : فقيل له ، وهل كانت توجز قال نعم ، ليحفظ عنها . ولكل مقام .

يرمون بالخطب الطوال ، وتارة وحى الملاحظ خيفة الرقباء

وكانوا يحبون أن يكون الخطيب من ساداتهم ، وذوى الأخلاق الكريمة فيهم ، عاملا بما يقول ، وأن يكون جهير الصوت رابط الجأش قوى الحجة ، فصيح اللسان بليغاً أشدق .

تشادق [1] حتى مال بالقول شدقه وكل خطيب — لا أبالك أشدق

(١) لم أرسوى تشدق : تشبه بالأشدق . حامد .

وكان من عادتهم إذا خطبوا في غير الزواج — أن يقفوا على نشر (١) من الارض فوق جمل كفس في عكاظ لإبعاد مدى الصوت ولزيادة التأثير بإظهار الملامح وحركات الجوارح ، وأخذ (٢) المخاصر بأيمانهم .

يصيبون فصل (٣) القول في كل خطبة . إذا وصلوا أيديهم بالمخاصر ومنهم من يمسك العصا في السلم ، والقوس في الحرب ، والإشارة بأيديهم رفعا وخفضا ، وقبضا ، وبسطا ، لتأدية المقاصد ، وإيقاظ السامعين ، والاعتمام :

أنا ابن جلا ، وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى

والظاهر أنهم كانوا يرتجلون القول ارتجالا ، وذلك بطباعهم أشبه وبحالهم أنسب ، فإنهم كانوا أميين ، والتحضير من شأن المتحضرين ، وقد كان لهم من زلاقة ألسنتهم وقوة بديهتهم ما يغنيهم عن ذلك ، وكانت تفاجئهم دواعيها مفاجأة ؛ فلا يتكلفون لفظا ولا معنى ، وإنما يتجه أحدهم الى مراده ، بما حضره من عبارات ومعان :

قال الجاحظ : وجملة القول ، أنا لا نعرف الخطب إلا للعرب والفرس ، وأما الهند ، فإنما لهم معان مدونة ، لا تضاف الى رجل معروف ، ولليونانيين فلسفة وصناعة منطق ، وكان صاحب المنطق بكيء اللسان ، وفي الفرس خطباء إلا أن كل كلام للفرس ، وكل معنى للعجم ، فإنما هو عن طول فكرة ،

---

(١) نشر بفتح النون والشين وإسكانها : المرتفع .

(٢) جمع مخصرة كمكنسة ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوها وما يشير به الخطيب إذا خطب والملك إذا خاطب .

(٣) الحق .

واجتهاد وخلوة ، ومشاورة ، ومعاونة ، وطول تفكر ، ودراسة كتب ، وحكاية الثانى علم الأول [1] .

وكل شىء للعرب ، فإنما هو بديهة وارتجال . وكأنه إلهام ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ، ولا إجالة فكرة ، ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرف وهمه الى جملة المذاهب ، والى العمود الذى إليه يقصد ، فتأتيه المعانى إرسالا [2] ، وتنثال عليه الألفاظ انثيالا ، ثم لا يقيده على نفسه ؛ ولا يدرسه أحدا من ولده ، وكانوا أميين لا يكتبون ، ومطبوعين لا يتكلفون ؛ وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر وأقهر ، وخطباؤهم أوجز ، والكلام عليهم أسهل ، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا الى تحفظ أو يحتاجوا الى تدارس ، وليس هم كمن حفظ علم غيره ، واحتذى كلام من كان قبله الخ اهـ ملخصا .

خطباء الجاهلية

خطباء الجاهلية كثيرون ، ومن أشهرهم .

« قس بن ساعدة الإيادى » ، قال الميدانى كان من حكماء العرب ، وأعقل من سمع به منهم ، وأول من كتب من فلان ، وأول من أقر بالبعث من غير علم ، وأول من قال : أما بعد ، وأول من قال : البينة على من ادعى واليمين

---

(١) أوردنا كلام الجاحظ لنستدل به على قدرة العرب على الارتجال فى الخطابة . فأما قصر الخطابة عليهم دون غيرهم من الأمم ، فأمر يرجع الفصل فيه الى من درسوا لغات هذه الأمم بجانب اللغة العربية ، فإنهم هم الذين يستطيعون أن يفصلوا فى هذا الموضوع ، ولم يكن الجاحظ — فيما نظن — من عار فى هذه اللغات .

(٢) جمع رسل كقفل . الجملة من أى شىء .

وكان من عادتهم إذا خطبوا فى غير الزواج — أن يقفوا على نشر (١) من الارض فوق جمل كقس فى عكاظ لإبعاد مدى الصوت ولزيادة التأثير بإظهار الملامح وحركات الجوارح ، وأخذ (٢) المخاصر بأيمانهم .

يصيبون فصل (٣) القول فى كل خطبة . إذا وصلوا أيديهم بالمخاصر ومنهم من يمسك العصا فى السلم ، والقوس فى الحرب ، والإشارة بأيديهم رفعا وخفضا ، وقبضا ، وبسطا ، لتأدية المقاصد ، وإيقاظ السامعين ، والاعتمام :

أنا ابن جلا ، وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى

والظاهر أنهم كانوا يرتجلون القول ارتجالا ، وذلك بطباعهم أشبه وبحالهم أنسب ، فإنهم كانوا أميين ، والتحضير من شأن المتحضرين ، وقد كان لهم من زلاقة ألسنتهم وقوة بديهتهم ما يغنيهم عن ذلك ، وكانت تفاجئهم دواعيها مفاجأة ؛ فلا يتكلفون لفظا ولا معنى ، وإنما يتجه أحدهم الى مراده ، بما حضره من عبارات ومعان :

قال الجاحظ : وجملة القول ، أنا لا نعرف الخطب إلا للعرب والفرس ، وأما الهند ، فإنما لهم معان مدونة ، لا تضاف الى رجل معروف ، ولليونانيين فلسفة وصناعة منطق ، وكان صاحب المنطق بكيء اللسان ، وفى الفرس خطباء إلا أن كل كلام للفرس ، وكل معنى للعجم ، فإنما هو عن طول فكرة ،

---

(١) نشر بفتح النون والشين وإسكانها : المرتفع .

(٢) جمع مخصرة كمكنسة ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوها وما يشير به الخطيب إذا خطب والملك إذا خاطب .

(٣) الحق .

واجتهاد وخلوة ، ومشاورة ، ومعاونة ، وطول تفكر ، ودراسة كتب ، وحكاية الثاني علم الأول [1] .

وكل شيء للعرب ، فإنما هو بديهة وارتجال . وكأنه إلهام ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ، ولا إجالة فكرة ، ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرف وهمه الى جملة المذاهب ، والى العمود الذى إليه يقصد ، فتأتيه المعانى إرسالا [2] ، وتنثال عليه الألفاظ انثيالا ، ثم لا يقيده على نفسه ، ولا يدرسه أحدا من ولده ، وكانوا أميين لا يكتبون ، ومطبوعين لا يتكلفون ؛ وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر وأقهر ، وخطباؤهم أوجز ، والكلام عليهم أسهل ، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا الى تحفظ أو يحتاجوا الى تدارس ، وليس هم كمن حفظ علم غيره ، واحتذى كلام من كان قبله الخ اهـ ملخصا .

خطباء الجاهلية

خطباء الجاهلية كثيرون ، ومن أشهرهم .

« قس بن ساعدة الأيادى » ، قال الميدانى كان من حكماء العرب ، وأعقل من سمع به منهم ، وأول من كتب من فلان ، وأول من أقر بالبعث من غير علم ، وأول من قال : أما بعد ، وأول من قال : البينة على من ادعى واليمين

---

(١) أوردنا كلام الجاحظ لنستدل به على قدرة العرب على الارتجال فى الخطابة ، فأما قصر الخطابة عليهم دون غيرهم من الأمم ، فأمر يرجع الفصل فيه الى من درسوا لغات هذه الأمم بجانب اللغة العربية ، فإنهم هم الذين يستطيعون أن يفصلوا فى هذا الموضوع ، ولم يكن الجاحظ — فيما نظن — من عار فى هذه اللغات .

(٢) جمع رسل كقفل . الجملة من أى شيء .

خير من ضنى [١] آجل ، وما بكيت من زمان ، إلا دهانى بعده زمان ، وربما شجانى [٢] من لم يكن أمره عنانى . وما عجبت من أحدوثة ، إلا رأيت بعدها أعجوبة . واعلموا أن أشجع القوم العطوف [٣] وخير الموت تحت ظلال السيوف . الخ . (والوصية بتمامها فى بلوغ الأرب جزء ٣)

وأوصى « الأوس بن حارثة » ابنه « مالكاً » ، حينما حضرته الوفاة ، فقال من الأمالى ج ١ ورواها أبو هلال العسكرى ج ٢ ص ١٩٦ ببعض تغيير .

« يا مالك ، المنية ولا الدنية [٤] ، والعتاب ؛ قبل العقاب ، والتجلد ، لا التبلد [٥] ، واعلم أن القبر ، خير من الفقر ، وشر شارب المشتف [٦] وأقبح طاعم المقتف [٧] وذهاب البصر ، خير من كثير من النظر ، ومن كرم الكريم ، الدفاع عن الحريم ، ومَنْ قَلَّ ذل ، ومن أمر [٨] فل . خير الغنى القناعة وشر الفقر الضراعة [٩] ، والدهر يومان ، فيوم لك ، ويوم عليك ، فإذا كان لك ، فلا تبطر وإذا كان عليك ، فاصْبِر ، فكلاهما سينحسر ، فإنما تعز [١٠] من ترى ، ويعجزك من لا ترى ، ولو كان الموت يشترى ! ، لسلم منه أهل الدنيا ، ولكن الناس فيه مستوون الشريف الأبلج ، واللئيم المعلهج [١١] والموت المفيت ، خير من أن يقال لك . هبيت ؛ [١٢] وكيف بالسلامة ، لمن ليست له إقامة ؟ !! . وشر من المصيبة سوء الخلف ، وكل مجموع إلى تلف حياك إلهك .

---

(١) مرض ملازم . (٢) أحزننى . (٣) الكرار على عدو .
(٤) النقيصة . (٥) ضد التجلد أى الجزع .
(٦) المستقصى . (٧) الآخذ بعجله ، وقيل الآتى على ما فى الإناء من طعام
(٨) كثر عدده . وفل . غلب . (٩) الذلة والخضوع . (١٠) تغلب
(١١) الأبلج المضىء المشرق . والمعلهج كالمزعفر : الأحمق اللئيم والمهجين .
(١٢) الجبان الذاهب العقل من هبت كعنى .

« وأوصت امرأة عوف بن محلم الشيباني ابنتها ، حين حملها زوجها الحرث بن عمرو ، ملك كندة ، فقالت :

« أي بنية ، إن الوصية لو تركت لفضل أدب ، تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ، ومعونة للعاقل ، ولو أن المرأة استغنت عن الزواج لغنى أبويها ، وشدة حاجتهما إليها ، كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال .

أي بنية ، إنك فارقت الجو الذي منه خرجت ، وخالفت العش الذي فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه : فأصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا فكوني له أمة يكن لك عبداً وشيكا [٢] .

يا بنية ، احملي عنى عشر خصال ، تكن لك ذخرا وذكرا : الصحبة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح . ولا يشم منك إلا طيب ريح . والكحل أحسن الحسن ؛ والماء أطيب المفقود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عند منامه ، فإن حرارة الجوع ملهبة [٣] ، وتنغيص النوم مبغضة [٤] والاحتفاظ بيته وماله ، والإرعاء [٥] على حشمه [٦] وعياله [٧] فإنك إن أفشيت سره . . .

---

(١) الاستغاثة مصدر صرخ .

(٢) سريعا . (٣) من لهبت كفرح النار اشتعلت ، أي داع إلى الغيظ .

(٤) ما يدعو الى البغض ويحمل عليه . (٥) الإبقاء .

(٦) الخدم . (٧) نصراؤه من أهل وجيرة وعبيد .

لم تأمنى غدره ، وإن عصيت أمره أو غرت [١] صدره . ثم اتقى — بعد ذلك — الفرح ، إن كان ترحا . والاكتئاب عنده إن كان فرحا ، فإن الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكونى أشد ما تكونين له إعظاما يكن أشد ما يكون لك إكراما . وأشد ما تكونين له موافقة ، يكن أطول ما تكونين له مرافقة : واعلمى أنك لا تصلين الى ما تحبين ، حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وهواه على هواك ، فيما أحببت وكرهت والله يخير [٢] لك ، مجمع الامثال جـ ٢ ، ص ١٤٣ .

---

(١) وغر صدره كوعد ووجل وغرا بفتح الغين وسكونها وأوغره ملاه غيظا (٢) خار الله لك فى الامر جعل لك فيه خيرا

ولسنا على رأى صاحب كتاب الأدب الجاهلى فى تهوين شأن الخطابة فى العصر الجاهلى ، وأنها كانت قليلة الخطر ، غير ممتازة ، وإن ما كان منها فى الحروب أشبه بالمحاورات ، لفقدان الحضارة والتنازع السياسى والدينى إذ لا يعقل أن أمة حربية كالأمة العربية ، أظهر خلالها الأنفة من العار ، والأخذ بالثأر والتفاخر بالأنساب — لا تقوى فيها الخطابة ، ولقد كانوا قبل الإسلام يتنازعون أسباب السلطة ، من رفادة وحجابة وغيرهما

وقد أخذوا وقتئذ بحظ من الحضارة ، وعرفوا الكتابة ، وليس معقولا أن نظفر الخطابة من ضعفها الذى ذكره الدكتور ؛ إلى قسوتها العظيمة التى يعترف بها هو فى صدر الإسلام ، على أن ما ذكره الجاحظ من وصف الخطباء ، وحركاتهم ، ومواقفهم وأزيائهم ، وتخصرهم بالمخاصر ، وما استشهد به على ذلك من أشعار قديمة[1] ينفى كل ريب فى بلوغهم فى الخطابة مبلغا عظيما قبيل الإسلام

وهذا شىء ، والتشكك فى الخطب المنقولة عن هذا العصر شىء آخر ، قد يعذر فيه المتشككون ، إلا فى الخطب القصيرة البليغة كخطبة هانىء ابن قبيصة فى يوم ذى قار ، وبعض الوصايا لأنها مما يحرص عليه ويتواصى بحفظه ، فهى — لقصرها وفصاحتها وجرسها — مما يسهل حفظه وتناقله

ومع ذلك فالجميع — من مصدقين ومرتابين — متفقون على أن ما وضع منها قد أحكم نسجه ، واجتهد فى صياغته على غرار ما سبقه فى العصر الجاهلى ، فجاء قوى الشبه به

المحاورات

فى المصباح المنير ، حاورته راجعته الكلام ، وفى القاموس ، التحاور

(١) قال زهير يمدح هرما

هذا وليس كمن يعيا بخطبته ... يوما ولا عائبا أن ناطق نطقا

سجع الكهان

وأما الكهان فهم كثيرون فى كل زمان ومكان يركن إليهم العوام ، ويستنبئونهم الأخبار ، ويستوصفونهم الدواء ويستكشفونهم الأسرار ويستعبرونهم الأحلام ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن الاعتقاد عليهم ، وكره أسجاعهم ، خوفاً على العامة أن يفتتنوا بهم ، وأن يخدعوا بتضليلهم .

وأشهر هؤلاء فى الجاهلية . شق وسطيح ، وكانا متعاصرين فى عهد كسرى أنو شروان ، وولدا فى يوم واحد ، وهو اليوم الذى توفيت فيه طريفة [١]. الكاهنة الحميرية وهى التى تنبأت بخراب سد مأرب ، ويقال إنها قبل أن تموت ، دعت بهما ، فتفلت فى فيهما ، وعمراً طويلا . ويقال إن شقا كان شق إنسان ، له يد واحدة ، ورجل واحده وعين واحدة وإن سطيحا لم يكن فى جسمه عظم وكان منسطحاً على الأرض ، يقدر على قيام ولا قعود . وكان وجهه فى صدره وليس له رأس ولا عنق .

وعجائب المخلوقات كثيرة ، ولكن يظهر أن ما نسب إلى هذين الكاهنين مبالغ فيه ، ولا زالت العامة ، تتأثر بعجبى ، وتثق بأخبارهم ، ويظن أنهم مستودع الأسرار . ومحل عطف الخالق القهار .

روى أن مالك بن نصر اللخمى ، رأى رؤيا هالته ، فبعث إلى جميع الكهان ، فقال لهم : انى رأيت رؤيا فظعت [٢] بها فقالوا . قصها علينا نخبرك بتأويلها ، فقال . لا أصدق فى تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها فقالوا : لا يقدر على هذا إلا شق وسطيح فأحضر سطيح ، فسئل فقال : رأيت

---

(١) طريفة بالتصغير كما فى معجم البلدان .

(٢) فظع بالأمر كتعب ضاق به ذرعاً .

حمة [١] ، خرجت من ظلمة ؛ فوقعت بأرض تهمة [٢] وأكلت منها كل ذات جمجمة ، فقال الملك : صدقت ، فما تأويلها ؟ فقال سطيح . أحلف بما بين الحرتين [٣] من حنش [٤] ؛ ليهبطن أرضكم الحبش ، وليملكن ما بين أبين [٥] إلى جرش [٦]. فقال الملك . إن هذا لنا لغائظ . فهل هو فى زمنى أو بعده ؟ فقال بل . بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين ؛ يمضين من السنين . قال . أفيدوم لهم ملكها ، أم ينقطع ؟ قال . بل ينقطع . لبضع وسبعين من السنين ؛ ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين الخ .

ثم سأل شقا ، كما سأل سطيحا ، فقال له .

رأيت حمة ، خرجت من ظلمة ، فوقعت بين روضه وأكمه [٧] فأكلت منها كل ذات نسمة [٨] قال أصبت ، فما عندك فى تأويلها ؟ فقال .

أحلف بما بين الحرتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان ، وليغلبن على كل طفلة [٩] البنان ، وليملكن ما بين أبين إلى نجران .

فقال . إن هذا لنا لغائظ ، فهل يكون فى زمانى أو بعده ؟ قال بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شأن ، ويذيقهم أشد الهوان . الخ .

---

(١) قطعة . (٢) تهمة بالفتح لغة فى تهامة وبالتحريك الأرض المنصوبة إلى البحر .

(٣) الحرة أرض ذات حجارة سوداء . (٤) حية .

(٥) بفتح أوله وكسره مخلاف باليمن منه عدن ، وقيل موضع بجبل عدن .

(٦) جرش — كزفر — مخلاف باليمن من جهة مكة ، وقيل مدينة عظيمة باليمن .

(٧) أرض مرتفعة كالزابية (٨) روح : (٩) ناعمة .

سجع الكهان

وأما الكهان فهم كثيرون فى كل زمان ومكان يركن إليهم العوام، ويستنبئونهم الأخبار؛ ويستوصفونهم الدواء ويستكشفونهم الأسرار ويستعبرونهم الأحلام، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن الاعتماد عليهم، وكره أسجاعهم، خوفا على العامة أن يفتتنوا بهم، وأن يخدعوا بتضليلهم.

وأشهر هؤلاء فى الجاهلية. شق وسطيح، وكانا متعاصرين فى عهد كسرى أنو شروان، وولدا فى يوم واحد، وهو اليوم الذى توفيت فيه طريفة [1] الكاهنة الحيرية وهى التى تنبأت بخراب سد مأرب، ويقال إنها قبل أن تموت دعت بهما، فتفلت فى فيهما، وعمرا طويلا. ويقال إن شقا كان شق إنسان، له يد واحدة، ورجل واحده وعين واحدة وإن سطيحا لم يكن فى جسمه عظم وكان منسطحاً على الأرض، يقدر على قيام ولا قعود. وكان وجهه فى صدره وليس له رأس ولا عنق.

وعجائب المخلوقات كثيرة، ولكن يظهر أن ما نسب إلى هذين الكاهنين مبالغ فيه، ولا زالت العامة، تتأثر بعجيب، وتثق بأخبارهم، وتظن أنهم مستودع الأسرار. وعلى عطف الخالق القهار.

روى أن مالك بن نصر اللخمى، رأى رؤيا هالته، فبعث إلى جميع الكهان، فقال لهم: انى رأيت رؤيا فظعت [2] بها فقالوا. قصها علينا نخبرك بتأويلها، فقال. لا أصدق فى تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها فقالوا: لا يقدر على هذا إلا شق وسطيح فأحضر سطيح، فسئل فقال: رأيت

---

(١) طريفة بالتصغير كما فى معجم البلدان.

(٢) فظع بالأمر كتعب ضاق به ذرعا.

حمة [١] ، خرجت من ظلمة ؛ فوقعت بأرض تهمة [٢] وأكلت منها كل ذات جمجمة ، فقال الملك : صدقت ، فما تأويلها ؟ فقال سطيح . أحلف بما بين الحرتين [٣] من حنش [٤] ؛ ليهبطن أرضكم الحبش ، وليملكن ما بين أبين [٥] إلى جرش [٦] . فقال الملك . إن هذا لنا لغائظ . فهل هو فى زمنى أو بعده ؟ فقال بل . بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين ؛ يمضين من السنين . قال . أفيدوم لهم ملكها ، أم ينقطع ؟ قال . بل ينقطع . لبضع وسبعين من السنين ؛ ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين الخ .

ثم سأل شقا ، كما سأل سطيحا ، فقال له .

رأيت حمة ، خرجت من ظلمة ، فوقعت بين روضه وأكمه [٧] فأكلت منها كل ذات نسمة [٨] قال أصبت ، فما عندك فى تأويلها ؟ فقال .

أحلف بما بين الحرتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان ، وليغلبن على كل طفلة [٩] البنان ، وليملكن ما بين أبين إلى نجران .

فقال . إن هذا لنا لغائظ ، فهل يكون فى زمانى أو بعده ؟ قال بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شأن ، ويذيقهم أشد الهوان . الخ .

---

(١) قطعة . (٢) تهمة بالفتح لغة فى تهامة وبالتحريك الأرض المنصوبة إلى البحر .

(٣) الحرة أرض ذات حجارة سوداء . (٤) حية .

(٥) بفتح أوله وكسره مخلاف باليمن منه عدن ، وقيل موضع بجبل عدن .

(٦) جرش — كزفر — مخلاف باليمن من جهة مكة ، وقيل مدينة عظيمة باليمن .

(٧) أرض مرتفعة كالزابية (٨) روح : (٩) ناعمة .

مميزات النثر الجاهلي

في مبانيه، وأساليبه، ومعانيه

مبانيه وأساليبه .

من يتتبع مأثور النثر في العصر الجاهلي، يتبين منه الأمور الآتية .

(١) خلوه من اللحن : لأن القوم عرب صرحاء ، يتكلمون بالسليقة وقد

سلموا فى هذا العصر من الاختلاط بغيرهم فسلمت ألسنتهم مما أصابهم بعد بالاختلاط .

(٢) وندرة الأعجمى فى كلامهم، لسبب السابق . وما أخذوه من غيرهم طبعوه بطابعهم . وصاغوه فى قوالبهم فصار أشبه شىء بكلامهم .

(٣) واستعمال الألفاظ فى معانيها الحقيقية ، وقلة استعمال المجاز ، وأما الكناية القريبة فكثيرة فى كلامهم ، اتقاء التصريح بما يستهجن .

(٤) وغلبة الإيجاز فى كلامهم من غير إخلال بالمعنى . وأكثر ما يتجلى ذلك فى الحكم والأمثال والغالب على خطبهم الإيجاز كما سبق .

(٥) والجرى على مقتضى البلاغة والفطرة البدوية ، فى التعبير بدون قصد إلى عبارات معينة ، ولا تكلف لألفاظ خاصة ولا جرى وراء محسن من المحسنات ، كجناس أو تورية لأنهم أميون يرتجلون ولا يحضرون .

(٦) ولين الأسلوب وسهولته ، ووضوح ألفاظه أحيانا وصعوبته وغموض ألفاظه فى بعض الأحيان ، ولا عيب عليهم فيما نشعر به نحن الآن من غموض لأنهم كانوا يخاطبون من يفهم عنهم .

(٧) وضعف الربط بين الجمل ، أو فقدانه ، كما ترى فى أكثر ما نسب إلى أكثم من الخطب والوصايا .

(٨) وغلبة السجع ، ثم الازدواج ، وقلة الإرسال فيما أثر من نثر هذا العصر .

ولعل هذا الترتيب عكس ما كانوا عليه ، وأن أكثر كلامهم كان مرسلا . إذ الإرسال بهم أشبه وبحالتهم أنسب وإنما كثر السجع فى المأثور لعلوقه بالآذان . وحركته فى الطباع ، والمسجوع أخو الموزون ، أما المرسل ، فسريع التبدد ، عسر الحفظ .

معانيه

الأغراض التى كان يتعاورها العرب فى جاهليتهم بالنثر تتناول : الحث على القتال ، والأخذ بالثأر ، والدعوة إلى الصلح أحيانا ، والتفاخر والتنافر ، والتحاور والكهانة ووصف السحب والسماء والحيوان ، وتوصية البنين ، ونحو ذلك مما هو شديد الارتباط بمعيشتهم ، مناسب لبيئتهم .

وأول ما يبدو للناظر فى معانيهم ، البساطة وعدم التعمق كما هو شأنهم فى كل أمورهم ، فلا يكدون الذهن فى تحصيلها ، ولا يحاولون الاغراب فى ابتداعها ، كما تفعل الأمم المتحضرة ، ذات المظاهر المتنوعة وكثيراً ما يوفقون مع هذه البساطة إلى الحكم الصائبة والآراء الحكيمة الباقية على وجه الزمان ، شاهدة بالبراعة وسداد النظر وإصابة الحجة .

ثم البعد عن المبالغات ، والتهويلات لا لفهم الصدق ، والصراحة ، فإذا وصفوا شيئا جلوه على حقيقته وإذا تخيلوا انتزعوا خيالهم مما يحيط بهم من مرئيات على وجه لا يبعد عن الامكان العقلى أو العادى ، وإذا شبهوا ، أحسنوا التشبيه .

ولرجحان عقولهم ، وسلامة فطرهم ، جرت الحكم والأمثال على ألسنتهم بكثرة .

« الشعر »

تعريفه . عرفه العروضيون باعتباره رديفا للنظم ، فقالوا « هو الكلام الموزون المقفى قصدًا » ، فيخرج ما جاء فى كلام الله تعالى وكلام رسوله ، صلى الله عليه وسلم : بكلام يجيء موزونا من غير أن يقصد إليه ، كقوله :

هل أنت إلا أصبع دميت؟ وفى سبيل الله ما لقيت

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يعجبه الشعر أحيانا . ويحب أن يتمثل به ، ولكنه كان يقدم فيه ويؤخر حتى يخرج عن الوزن الشعرى . قال مرة : ويأتيك من لم تزود بالأخبار فقيل له صلى الله عليه وسلم : ويأتيك بالأخبار من لم تزود فأصر منكراً الشعر على نفسه . كيف لا ، وقد نزهه عند ربه ، فقال : وما علمناه الشعر ، وما ينبغى له وقد بين السر فى ذلك فى آية أخرى ، إذ يقول ، والشعراء يتبعهم الغاوون ، الآيات .

أما الشعراء والأدباء : فلا يكتفون فى تعريف الشعر بهذا القيد ، بل يضيفون إليه قيداً آخر ، وهو التأثير فى النفس ، الذى منشه اشتماله على خيال دقيق ، أو تشبيه بديع ، أو حكمة صائبة . قال ابن رشيق : قال غير واحد من العلماء : الشعر ما اشتمل على الاستعارة الرائقة ، أو التشبيه الواقع ، أو مثل سائر ، وما سوى ذلك فإنما لقائله فضل الوزن . ثم قال بعد ذلك : والشعر ما أطرب ، وهز النفوس . وحرك الطباع .

وعرفه ابن خلدون بمثل ذلك .

فلا بد فى الشعر من قيدى الوزن والقافية ، والتأثير فى النفس ، فما فقد الوزن والقافية ليس بشعر عند العرب ، وإن كان مشتملا على الخيال ومؤثرا فى النفس ، كالنثر الفنى البديع . وكذا ما كان موزونا مقفى ، غير مؤثر فى النفس ، كالمنظومات العلمية ، والأشعار الهزيلة السقيمة ، التى لا تطرب ، ولا تتأثر بها القلوب ، كأشعار الفقهاء والناشئين ومن لاحظ لهم من الشعر الجزل .

ولكن بعض العرب قد أطلق لفظ الشعر على المنثور المشتمل على خيال بديع ، فإن حسان بن ثابت رضى الله عنه ، قال لابنه : — وقد وصف له زنبورا لسعه بقوله : كأنه ملتف فى بردى حبرة — قال ابنى الشعر ورب الكعبة . وهذا تجوز أطلق فيه الشعر على جزئه الأهم ، وهو الخيال .

وهذا الاطلاق يوافق اصطلاح الفرنجة واليونان فى تعريف الشعر ، فليس الشعر عندهم سوى الخيال البديع ، والكلام الذى يستهوى القلوب ، ويستميل الآذان بحسنه وجماله ، وسواء أكان موزونا مقفى أم لا .

غير أن الوزن يزيده قوة وجمالا ، والموسيقا تكسبه روعة وبهاء . فإذا قال قائل : إنى إذا ذهبت إلى دار حبيبتى فى أمر يعنينى ، فقابلتنى ، ذهلت عما ذهبت من أجله ، كان ذلك شعرا . فإذا نظم ، كان أجمل وأقوى أثرا كما قال المجنون :

فياليل ! كم من حاجة لى مهمة إذا جئتكم بالليل ، لم أدر ما هيا

وإن غنى به ، كان أشد وقعا ، وأعمق أثرا[1] .

وخلاصة القول : أن الذى عليه العرب وأدباؤهم وشعراؤهم ، أنه لابد فى الشعر العربى من القيدين السابقين : الوزن والجمال الفنى الذى يبعث على التأثر النفسى ، سواء أكان مصدره رقة الألفاظ وجمالها ، أم روعتها وجزالتها ، أم المعانى ، أم هما معا .

فأما أهل عصرنا ، فيحاول كثير منهم الخروج على هذا الاصلاح ومجاراة الفرنجة فى تعريف الشعر ، ويرون أنه لا يشترط فيه التزام الوزن والقافية ، وكثيرا ما نسمعهم يطلقوا الشعر على النثر الفنى ، فيقولون شعر منثور وقصيدة نثرية .

ويرى بعضهم أنه لابد من المحافظة على الوزن والقافية ، إلا أنه لا ينبغى أن نلزم الشاعر قافية واحدة فى القصيدة كلها ، بل له أن ينتقل من قافية إلى أخرى بعد عدة أبيات .

ويرى آخرون منهم أن قيد القافية لاداعى إليه البته فللشاعر أن يأتى بقواف

(١) جورجى زيدان بتصرف .

وأعدل هذه الآراء أوسطها . فإذا طالت القصيدة ؛ واشتملت على عدة أغراض وأفرد كل غرض منها بقافية ، كانت بمثابة عدة مقطوعات أو قصائد فى أغراض شتى ، وهذا محتمل ، وإن كان الذين ألفوا النهج العربي لا يستهوى نفوسهم سواه ، ولا يتأثرون بغيره من المناهج المستحدثة .

أما بقية الآراء فتطرفة ، تفقد الشعر بهاءه ، وتذهب بهجته ، وتضيع روعته ، وما حمل عليها — فيما نظن — إلا صعوبة القافية ، واعتياصها عليهم لقلة بضاعتهم من اللغة ، وعجزهم عن مجاراة السابقين .

شاعرية العرب

العرب أقوى الأمم شاعرية[1] وأشعر الأمم السامية ، والدليل على ذلك كثرة أشعارهم وشعرائهم ، فى قرن ونصف قبل الهجرة كثرة تدعو إلى الدهشة والعجب وانظر — إن شئت — إلى ما اشتمل عليه الأغانى ، والحماسة ، والأمالى ، والكامل ، وأمالى ابن الشجرى ، والمفضليات وطبقات الشعراء لابن قتيبة [illegible] — من الشعر الجاهلى — تر البحر الزاخر والثروة العظيمة .

[illegible] المؤرخون أن أبا تمام كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة عدا القصائد [illegible] ، وأن حمادا كان يحفظ ألف قصيدة لكل حرف من حروف [illegible] ، وكان خلف الأحمر يحفظ ستة عشر ألف أرجوزة ، وكان أبو ضمضم يروى أشعاراً لمائة شاعر ، كل منهم اسمه عمرو . وإن قلنا إن ذلك مبنى على المبالغة ؛ فدلالته ظاهرة — وكانت كل طوائفهم تقول الشعر ، رجالا ونساء ، وشباناً وشيباً ، وإن لم يكونوا كلهم شعراء .

وإنما بلغوا هذه المرتبة فى الشعر لفراغهم من الأعمال الزراعية والصناعية وعدم اشتغالهم إلا بما لا يعوق عن الكلام ، كرعى الإبل والأغنام ، ذلك

---

(١) جورجى زيدان .

إلى شدة حسهم ، وصفاء قرائحهم ، وسرعة خاطرهم ، وحريتهم ، واستقلالهم ، ومساعدة بيئتهم ، فسماؤهم صافية ، وأرضهم مبسوطة الرقعة وصحراؤهم ساكنة ، هادئة ، تملأ القلب روعة ، وتبعث على التفكر والتأمل ، وهم — مع ذلك — ذوو نفوس حساسة ، وأعصاب مرهفة ، وطباع ثائرة ، قد عرفوا بالبديهة والارتجال ، وتفوقوا فى صناعة الكلام ، وحياتهم كلها غارات وحروب ، وهم — كذلك — أهل حب وهيام ، وحل وترحال .

فإذا تفرقوا ذكروا أحبابهم فتحركت أشجانهم ، ثم إذا عادوا هاجت ذكرياتهم الإطلال ، وجاشت صدورهم بالأشعار ، وقد أعانهم على ذلك لغة غزيرة المادة ، كثيرة المترادفات ، مكنتهم من نظم القوافى الطوال ، واسعفتهم بحاجاتهم فى سرعة ويسر .

فليس بغريب أن يكون العرب أشعر من سواهم ، وليس بعجب أن يصلنا عنهم ذلك البحر الزاخر من الشعر ، فى تلك الفترة القصيرة قبل الإسلام على أن ما وصلنا من شعر هذه الفترة ، إنما هو غيض من فيض ، وقطرة من بحر ، إذ أن أكثره قد ضاع بعدم التدوين ، وموت كثير من الرواة فى الغزو والفتوح الإسلامية ، ونسيان كثير مما حفظ أولا — قال أبو عمرو بن العلاء : ما جاءكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم كثير ، وشعر كثير[1] ، وقال عمر بن الخطاب[2] . كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد ، وغزوا فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر ، فلم يئلوا إلى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب فألفوا ذلك ، وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عنهم منه أكثره . اهـ .

---

(١) طبقات ابن سلام . (٢) طبقات ابن سلام .

أما ما قيل من الشعر قبل هذا العهد ، فقد باد ، وتبدد فى الهواء وذهبت به أمنية العرب . كما ذهبت بكثير من تاريخهم البعيد .

نشأة الشعر

والأشعار التى وصلتنا من هذا العهد ، لا يمكن أن تكون قد بلغت هذا الرقى اللفظى والمعنوى والموسيقى ، إلا بعد أن قطعت مراحل كثيرة واجتازت أطواراً عدة ، تقلبت فيها ، ولا يتصور أن تكون بنت تلك الفترة ، بل لابد أن تكون نتيجة أجيال طويلة ، تقلب فيها الشعر . حتى وصل إلى هذا الرقى العظيم ، وكل شىء فى هذه الدنيا يولد ناقصاً . ثم يأخذ فى النمو إلى أن يستوفى حظه من الكمال ، وفى بعض أقوال شعراء هذه الفترة ما يؤيد ذلك ، فامرؤ القيس يقول :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا ... نبكى الديار ، كما بكى ابن خذام

وعنترة بن شداد يقول :

هـــل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم ؟

وزهير يقول :

ما أرانا نقـــول إلا معارا ... أو معادا من قولنـــا مكرورا

فهذه الأشعار وأمثالها ناطقه بأن قائليها قد سبقوا بقول الشعر ، بل أن بعضها يقول : إن الأولين قد ألموا بكل المعانى ، فلم يدعوا لنا شيئا منها ؛ وذلك دليل على كثرة الشعر والشعراء السابقين ، على عهد القائل .

أما : متى قالت العرب الشعر . ومن أول من قال منهم الشعر ؟ فليس فى الإمكان معرفة ذلك ؛ فقد عجز التاريخ عن الإحاطة به كما عجز عن الإحاطة بأوائل الأشياء كلها ؛ كالبناء والحياكة والنجارة وغـــيرها ، وليس أدعى إلى السخرية من تلك الكتب ، التى تتصدى لبيان أوائل الأشياء ، فقد ضمت بين دفتيها ما لا يحصى من الخرافات والكذب ، ويدخل فى هـذا الباب

ما نقله صاحب الجمهرة من نسبة أشعار الى آدم وإبليس والملائكة ، وعاد وثمود لما هي عليه من ركاكة اللفظ ، وضعف المعنى ، والجهل بلغات آدم وإبليس والملائكة ، ولو سلم أن آدم عليه السلام كان ينطق بالعربية وهو مستبعد ، لأن العرب لم يكونوا قد خلقوا بعد — فلا يعقل أن تكون عربيته هي عربيتنا فى هذا العصر كما أنه ليس فى الإمكان أن نصدق شيئاً مثل ذلك عن عاد وثمود ، والله تعالى يقول : « وأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى » ، وقال فى عاد : « فهل ترى لهم من باقية » ، وقال : « وعاداً وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله » ، ومن حمل هذا الشعر ومن أداه ، منذ ألوف السنين كما يقول ابن سلام ؟!

والذى يمكن أن يقال : إن العرب قالت الشعر فى زمن متغلغل فى القدم ، ذلك أن الشعر شقيق الغناء ، والغناء من لوازم الإنسان فى كل زمان ومكان وإنما كان شقيقه لأن التغنى عادة لا يكون إلا بالكلام الموزون ، الذى تصلح تقاطيعه لتقاطيع الغناء ، وتناسب نغماته ، ولا بد أن العرب تغنت منذ خلقت وفهمت وفكرت وتكلمت ، ولا بد أنها قالت الشعر فى ذلك الزمن السحيق ، الذى لا يعلمه إلا الله ، ولا بد أن يكون الشعر فى أول أمره هزيلا ضئيلا قصيرا ، غير بالغ من الرقى الموسيقى ، ولا من جمال اللفظ والمعنى حظا يذكر ، ثم أخذ يرقى شيئاً فشيئاً ، وتستقيم أوزانه ، وتسلم قوافيه من العيوب ، وترتقى خيالاته ومعانيه وألفاظه وأساليبه ، حتى بلغ هذا الحد الذى بلغنا . أما كيف نطق العرب به أولا ؟ فالمعقول أن يكون أحد المتغنين قد وفق ذات يوم الى وزن جميل ، فأحس جماله فنقله الى غيره من إخوانه ، فاستحسنه وقلده ، وساقت المصادفات وزناً آخر الى مغن آخر ، ثم ثالثاً الى ثالث ، ورابعاً الى رابع وهكذا حتى تمت لهم تلك الأوزان التى دونها الخليل مستنبطاً إياها من أشعارهم بعد الاستقراء والبحث .

قال أبو بكر الباقلانى فى إعجاز القرآن : « إن العرب بدءوا بالنثر ، وتوصلوا منه الى الشعر ، وكان عثورهم عليه فى الأصل بالاتفاق ، فلما استحسنوه واستطابوه

ورأوا الأسماع تألفه، والنفوس تنبله، تتبعوه وتعلموه وتكلفوا له. وقال ابن رشيق: وكان الكلام كله منثورا، فاحتاجت العرب الى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأنجاد، وسمحائها الأجواد لتهز أنفسها الى الكرم، وتدل أبناءها على حسن الشيم، فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام، فلما تم لهم وزنه، سموه: شعرا، لأنهم شعروا به. اهـ

والموازين لا تقف عند حد، كما أن النغمات الموسيقية لا تنتهى عند حد، فيستطيع المبتكرون أن يسمونا ألوانا منها لا تحصى ولا تعد، ولذا نجد المحدثين من الشعراء ابتكروا أوزانا أخرى، ولا زال أهل عصرنا يبتكرون أوزانا للشعر العامى جديدة، وقد قالوا إن الزجل لا يمكن أن تعد أوزانه.

وليس من الممكن الجزم بأن العرب بدأت بالرجز، لموافقة وزنه لسير الإبل فإن للغناء الشأن الأول فى قرض الشعر، وقد يكون الطويل أو الوافر أو الكامل أو الهزج، أسهل تناولا على كثير من الناس من الرجز، كما هو المشاهد فى عصرنا وإذا كانوا قد أخذوا الرجز عن سير الإبل، فما الذى هداهم الى بقية البحور؟! وهل كانوا موسيقيين حتى يفرعوها عنه؟! ومن كانت الأمم الأخرى تركب الإبل فأخذت عنها أشعارها؟

والمعقول أيضاً: أن يكون الشعر قد بدأ قصيرا، ثم أخذ يطول، الى أن بلغ هذا المبلغ، أما تعيين من أطاله؛ وأنه مهلهل، أو امرؤ القيس؛ أو الأفوه الأودى، أو عمرو بن قميئة، أو لقيط بن يعمر الإيادى، فادعاء عريض فنحن لم نطلع على شعر من سبقهم، وقد يكون فيهم من أطال الشعر مثلهم، ولكن ضاعت أشعارهم.

ولو قيل: إن أول من عرف بإطالة الشعر فلان أو فلان، لكان كلاما

كلاما مقبولا ومعقولا ، قال السيوطى فى المزهر نقلا عن حمز بن شبة : الشعر والشعراء أول لا يوقف عليه ، وقد اختلف فى ذلك العلماء وادعت كل قبيلة لشاعرها أنه الأول ، ولم يدعوا ذلك لقائل البيتين والثلاثة ، لأنهم لا يسمون ذلك شعراً ، فادعت اليمانية لامرىء القيس وبنو أسد لعبيد بن الأبرص وتغلب المهلهل ، وبكر لعمرو بن قيئة والمرقش الأكبر . وإياد لأبى داؤد .

وزعم بعضهم أن الأفوه الأودى أقدم من هؤلاء ، وأنه أول من قصد القصيد ، وهؤلاء النفر متقاربون ، لا يسبق أقدمهم الهجرة بأكثر من مائة سنة (١) .

---

(١) قال ابن رشيق : زعم الرواة أن الشعر إنما كان رجزاً وقطعاً ، وأنه إنما قصد على عهد هاشم بن عبد مناف ، وكان أول من قصده مهلهل وامرؤ القيس وبينهما وبين مجىء الإسلام نيف وخمسون ومائة سنة . ذكر ذلك الجمحى وغيره ا ه وقال فى مكان : وكان مهلهل أول من قصد القصائد قال الفرزدق : ومهلهل الشعراء ذاك الأول . وقال فى مكان ثالث : قال أبو عبيدة انما كان الشاعر يقول من الرجز البيتين أو الثلاثة ونحو ذلك اذا حارب أو شاتم أو فاخر حتى كان العجاج أول من أطاله وقصده ونسب فيه وذكر الديار واستوقف الركاب عليها ووصف ما فيها وبكى على الشباب ووصف الراحلة كما فعلت الشعراء بالقصيد فكان كامرىء القيس فى الشعراء :

وقال غيره أول من أطال الرجز الأغلب العجلى . وزعم الجمحى وغيره أنه أول من رجز ولا نظن ذلك صحيحاً لأنه انما كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونحن نجد الرجز أقدم من ذلك .

الشعر الجاهلى ★

ص ٤٣

ثانياً المعلقات

اسم أطلق على قصائد طوال من الشعر الجاهلى . وسبب تسميتها بهذا الاسم ما رواه بعضهم من " أن العرب عمدت إلى سبع قصائد اختارتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب فى القباطى المدرجة، وعلقتها فى أستار الكعبة، فمنه يقال مذهبة امرئ القيس ومذهبة زهير والمذهبات سبع ، وقد يقال لها المعلقات " وممن أيد هذا الرأى ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد، وابن رشيق صاحب العمدة، وابن خلدون فى مقدمته وكلهم من المغاربة .

ومن العلماء من أنكر تعليقها على الكعبة ورأى أن هذه القصائد الطوال إنما جمعت فى العصر العباسى، جمعها حماد الراوية (أحد علماء الأدب ورواته والمتوفى سنة ١٥٦) ذلك أنه لما رأى زهد الناس فى الشعر جمع هذه القصائد وقال لهم أنها هى المشهورات ، فسميت القصائد المشهورة . ولم يصح عند هؤلاء العلماء قول من قال إنها علقت على الكعبة .

وممن ذهب إلى هذا الرأى أبو جعفر النحاس أحد علماء اللغة والأدب المتوفى سنة ٣٣٨ . وكذلك الباحثون المحدثون ينقسمون إلى مذهبين ولكل على قوله أدلة لا محل لذكرها هنا .

كذلك يختلفون فى عدد المعلقات أو الطوال وعدد أصحابها فبعضهم يجعلها ثمانيا، وبعضهم يجعلها عشرا . والقول المشهور انها سبع وأن أصحابها هم امرؤ القيس وزهير وطرفة ولبيد وعنترة وعمرو بن كلثوم والحارس بن حلزة .

وعلى الجملة فهى من خير شعر العرب وأدله على لغتهم ، وبلاغتهم ووصف حياتهم الاجتماعية ومناحيهم فى الحياة. عنى العلماء بجمعها وشرحوها شروحا مختلفة ، مختصرة ومطولة ، كما عنى كثير من المستشرقين بترجمة بعضها إلى لغات مختلفة ودراستها والتعليق عليها .

★ المعلقات وشرحها [illegible] كتاب . المعلقات العشر بشروحها [illegible] ، إعداد [illegible] بيروت ط٢ [illegible]

طرفة بن العبد

مات سنة ٧٠ قبل الهجرة و٥٥٠ أو ٥٥٢ للميلاد

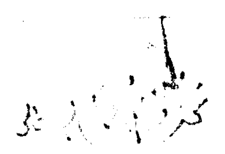
نسبه ومكانه في الشعراء

هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ابن عكابة صعب بن علي بن بكر بن وائل - وطرفة - بالتحريك في الأصل واحد الطرفاء وهو الأثل، وبها لقب طرفة واسمه عمرو. وهو أشعر الشعراء بعد امرىء القيس ومرتبته ثاني مرتبة ولهذا ثنى بمعلقته. قاله عبدالقادر البغدادي. ولا يعارض هذا ما تقدم في ترجمة امرىء القيس من الخلاف في الأربعة امرىء القيس، وزهير، والنابغة، والأعشى، لأن المراد معلقته فقط إذ ليس له فيما عداها ما يوازن حوليات زهير.

قال ابن قتيبة: هو أجود الشعراء قصيدة وله بعد المعلقة شعر حسن وليس عند الرواة من شعره وشعر عبيد إلا القليل، وهذا الكلام وقفت عليه في بعض كتب الجاحظ قال: وإلا لكانت منزلتهما دون ما يقال وهذا يستقيم في عبيد لأنه عمر كثيراً أما طرفة فإنه قتل وهو ابن ست وعشرين سنة كما قالت أخته.

عددنا له ستاً وعشرين حجة ... فلما توافاها استوى سيداً ضخما
فجعنا به لما رجونا إيابه ... على خير حال لا وليداً ولا قحما

وقول عبدالقادر البغدادي إنه في الرتبة الثانية من الشعر مخالف لقول ابن سلام فيه فإنه عده في الطبقة الرابعة وقرنه بعبيد بن الأبرص وعلقمة الفحل



التميمي؟ وعدي بن زيد العبادي؟ قال: فأما طرفة فأشعرهم واحدة وهي قوله:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد   تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

ويليها أخرى مثلها وهي:

أصحوت اليوم شاقتك هر   ومن الحب جنون مستعر

ثم من بعد. له قصائد حسان جياد قال محمد بن الخطاب: قال الذين قدموا طرفة هو أشعرهم بحداثة سنه ما بلغ القوم في طول أعمارهم وإنما بلغ نيفاً وعشرين سنة وقيل بل عشرين سنة فخب وركض معهم.

ذكاؤه وشيء من خبره

وكان طرفة في صغره ذكياً حديد الذهن حضر يوماً مجلس عمرو بن هند فأنشد المسيب بن علس قصيدته التي يقول فيها:

وقد تلاقى الهم عند احتضاره   بناج عليه الصيعرية مكدم

فقال طرفة (استنوق الجمل) وذلك أن الصيعرية من سمات النوق دون الفحول فغضب المسيب، وقال من هذا الغلام فقالوا طرفة بن العبد فقال ليقتلنه لسانه فكان كما تفرس فيه.

ومات أبو طرفة وهو صغير فأبى أعمامه أن يقسموا ماله وكانت أم طرفة من بني تغلب اسمها وردة فقال:

ما تنظرون بحق وردة فيكم   صغر البنون ورهط وردة غيّب
قد يبعث الأمر العظيم صغيره   حتى تظل له الدماء تصبب
والظلم فرق بين حيي وائل   بكر تساقيها المنايا تغلب

في أبيات. ويقال إن أول شعر قاله أنه خرج مع عمه في سفر فنصب فخاً فلما أراد الرحيل قال:

يا لك من قبرة بمعمر   خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري   قد رفع الفخ فماذا تحذري
لا بد يوماً أن تصادي فاحذري

والأشطار الثلاثة الأولى مذكورة في قصة كليب وهو أقدم من طرفة.
ويروى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تمثل بقوله:

بعيداً غدا ما أقرب اليوم من غد

ولعل المراد أنه تمثل به مقلوباً أو نحو ذلك لأن الله ما علمه الشعر وما ينبغي له.

خبر مقتله

وسبب قتله أنه هجا عمرو بن هند وقابوس أخاه بقصيدته التي منها:

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثاً حول قبتنا تخور

ومنها:

لعمرك إن قابوس بن هند ليخلط ملكه نوك كبير

فلم تبلغ عمراً لأنه كان لا يجسر أحد أن يخبره لشدة بأسه وكانت العرب تسميه مضرط الحجارة لشدة بأسه. فاتفق أن عمرو بن هند هذا خرج يوماً للصيد فأمعن في الطلب فانقطع في نفر من أصحابه حتى أصاب طريدته فنزل وقال لأصحابه اجمعوا حطباً وفيهم عبد عمرو بن مرثد أحد أقارب طرفة فقال لهم عمرو أوقدوا فأوقدوا وشووا فبينا عمرو يأكل من شوائه وعبد عمرو يقدم إليه إذ نظر إلى خصر قميصه منخرقاً فأبصر كشحه وكان من أحسن أهل زمانه جسماً وقد كان بينه وبين طرفة أمر وقع بينهما منه شر فهجاه طرفة بقصيدته التي يقوم فيها:

ولا خير فيه غير أن له غنى وأن كشحاً إذا قام أهضما

فقال له عمرو بن هند يا عبد عمرو لقد أبصر كشحك حيث يقول: * ولا خير فيه غير أن له غنى * البيت. فغضب عبد عمرو وقال لقد قال في الملك أقبح من هذا فقال عمرو بن هند وما الذي قال فندم عبد عمرو على الذي سبق منه وأبى أن يسمعه ما قال فقال أسمعنيه وطرفة آمن فأسمعه القصيدة فسكت عمرو على ما وقر في نفسه وكره أن يعجل عليه لمكان قومه فلما طالت المدة ظن طرفة أنه قد رضي عنه وكان المتلمس وهو جرير بن عبدالمسيح هجا عمرو بن هند أيضاً فقدما إليه فجعل يريهما المحبة ليأنسا به فلما طال مقامهما عنده قال لهما لعلكما اشتقتما إلى أهلكما؟ قالا: نعم فكتب لهما إلى عامله بالبحرين وهجر واسمه ربيعه

ابن الحارث العبدي، وقيل اسمه المكبر فلما هبط النجف وقيل أرضاً قريبة من الحيرة إذا هما بشيخ معه كسرة يأكلها وهو يتبرز ويقتل القمل فقال له المتلمس بالله ما رأيت شيخاً أحمق منك ولا أقل عقلاً فقال له الشيخ وما الذي أنكرت عليّ فقال تتبرز وتأكل وتقتل القمل قال إني أخرج خبيثاً وأدخل طيباً وأقتل عدواً ولكن أحمق مني من يحمل حتفه بيمينه وهو لا يدري فتنبه المتلمس فإذا هو بغلام من أهل الحيرة فقال له يا غلام أتقرأ قال نعم ففتح كتابه ودفعه إليه فلما نظر إليه قال ثكلت المتلمس أمه وإذا في الكتاب إذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً فرمى المتلمس صحيفته في نهر يقال له كافر وفي ذلك يقول:

والقيتها بالثني من بطن كافر كذلك أقنو كل قط مضلل

وضرب بصحيفته المثل ثم تبع طرفة ليرده فلم يدركه وقيل بل أدركه وقال له تعلم أن ما كتب فيك إلا بمثل ما كتب فيّ فقال طرفة إن كان قد اجترأ عليك فما كان ليجترىء عليّ فهرب المتلمس إلى الشام وانطلق طرفة إلى العامل المذكور حتى قدم عليه بالبحرين وهو بهجر فدفع اليه كتاب عمرو بن هندفقرأه فقال: تعلم ما أمرت به فيك قال نعم أمرت أن تجيزني وتحسن إليّ فقال له العامل إن بيني وبينك خنولة أنا لها راع فاهرب من ليلتك هذه فإني قد أمرت بقتلك فاخرج قبل أن تصبح ويعلم بك الناس فقال له طرفة اشتدت عليك جائزتي وأحببت أن أهرب وأجعل لعمرو بن هند عليّ سبيلاً كأني أذنبت ذنباً والله لا أفعل ذلك أبداً فلما أصبح أمر بحبسه وجاءت بكر بن وائل فقالت: قدم طرفة فدعا به صاحب البحرين فقرأ عليهم كتاب الملك ثم أمر بطرفة فحبس وتكرم عن قتله وكتب إلى عمرو بن هند أن ابعث إلى عاملك فإني غير قاتل الرجل فبعث إليه عمرو بن هند رجلاً من بني تغلب يقال له عبد هند واستعمله على البحرين وكان رجلاً شجاعاً وأمره بقتل طرفة وقتل ربيعة بن الحارث العبدي فقدمها عبد هند فقرأ عهده على أهل البحرين ولبث أياماً واجتمعت بكر بن وائل فهمت به، وكان طرفة يحضهم وانتدب له رجل من عبد القيس ثم من الحواثر يقال له أبو ريشة فقتله فقبره معروف بهجر بأرض منها لقيس بن ثعلبة ويزعمون أن الحواثر ردته إلى أبيه وقومه لما كان من قتل صاحبهم إياه كذا قال ابن السكيت: ويعارضه ما تقدم من أن أباه مات وهو صغير. ولما حبسه العبدي المتقدم بعث إليه بجارية اسمها خولة فلم

يقبلها وفي ذلك يقول:

ألا اعتزليني اليوم يا خول أو غضي فقد نزلت حدباء محكمة العضي

ومنها البيت المشهور يخاطب به عمرو بن هند:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

« معلقة طرفة بن العبد »

١ ـ لِخَوْلَةَ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ تَلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ

٢ ـ وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسىً وَتَجَلَّدِ

٣ ـ كَأَنَّ حُدُوجَ المَالِكِيَّةِ غُدْوَةً خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ

٤ ـ عَدَوْلِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابنِ يَامِنٍ يَجُورُ بِهَا المَلَّاحُ طَوْراً وَيَهْتَدِي

---

١ ـ خولة: امرأة من كلب. والأطلال: واحدها طلل وهو ما شخص من آثار الدار. وثهمد: اسم موضع. والبرقة والأبرق والبرقاء: كل رابية فيها رمل وطين أو حجارة وطين يختلطان.

يقول: لهذه المرأة أطلال ديار بالموضع الذي يخالط أرضه حجارة وحصى من ثهمد فتلمع تلك الأطلال لمعان بقايا الوشم في ظاهر الكف.

٢ ـ التجلد: تكلف الجلادة، وهو التصبر. تفسير البيت هنا كتفسيره في قصيدة امرىء القيس.

٣ ـ الحدوج: جمع حدج، وهو مركب من مراكب النساء. والمالكية منسوبة إلى مالك بن سعد بن ضبيعة. والخلايا: جمع خلية، وهي السفينة العظيمة. والنواصف: جمع ناصفة وهي الرحبة الواسعة تكون في الوادي. دد: موضع. سفين: جمع سفينة.

يقول: كأن مراكب العشيقة المالكية ـ غدوة فراقها بنواحي وادي دد ـ سفن عظام، شبه الإبل وعليها الهوادج بالسفن العظام.

٤ ـ عدولي: قبيلة من أهل البحرين. يجور: يعدل عن القصد. طوراً: حيناً. يهتدي: يقصد. وابن يا من: رجل تاجر من أهل البحرين.

يقول: هذه السفن التي تشبهها هذه الإبل من هذه القبيلة أو من سفن هذا الرجل، والملاح يجريها مرة على استواء واهتداء وتارة يعدل بها فيميلها عن سنن الاستواء، ثم

٥ - يَشُقُّ حُبابَ الماءِ حَيْزومُها بِها كَما قَسَمَ التُّرْبَ المُفايِلُ باليَدِ
٦ - وفي الحَيِّ أحْوَى يَنْفُضُ المَرْدَ شادِنٌ مُظاهِرُ سِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدِ
٧ - خَذُولٌ تُراعِي رَبْرَباً بِخَميلَةٍ تَناوَلُ أطْرافَ البَريرِ وَتَرْتَدِي
٨ - وَتَبْسِمُ عَنْ ألْمَى كَأنَّ مُنَوِّراً تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصٍ لَهُ نَدِي

شبه سوق الإبل تارة على الطريق وتارة على غير الطريق بإجراء الملاح السفينة مرة على سمت الطريق عادلاً عن ذلك السمت.

٥ - حباب الماء: زبده وطرائقه التي تكون فيه. والحيزوم: الصدر، المفايل: الذي يلعب بالفيال وهي لعبة للأعراب، وهو أن يجمع المقامر تراباً أو رملاً ثم يخبيء فيه خبيئاً، ثم يقسمه ثم يخمن في أيها هو، فإذا أصاب الفايل ظفر. شبه شق السفن الماء بشق المفايل التراب المجموع بيده.

٦ - أحوى: ظبي في ظهره خطان خضراوان. والمرد: ثمر الأراك، وهو المدرك منه، وشادن: ظبي ليس بالكبير. والمظاهر: قد جمع بين اللؤلؤ والزبرجد. والسمط: النظم من اللؤلؤ وجمعه سموط.
يقول: وفي الحي حبيب يشبه ظبياً أحوى في كحل العينين وسمرة الشفتين في حال نفض الظبي ثمر الأراك.

٧ - الخذول: التي قد تخلفت عن صواحبها. والربرب: القطيع من الظباء والبقر وغير ذلك. والخميلة: الأرض السهلة اللينة ذات الشجر. والبرير: ثمر الأراك.
يقول: هذه الظبية التي أشبهها الحبيب ظبية خذلت أولادها وذهبت مع صواحبها في قطيع من الظباء ترعى معها في أرض ذات شجر أو ذات رملة منبتة تتناول أطراف الأراك وترتدي بأغصانه، وإنما خص تلك الحال لمدها عنقها إلى ثمر الشجرة، شبه طول عنق الحبيب وحسنه بذلك.

٨ - ألمى: أسمر. والمنوّر: الأقحوان الذي قد ظهر نوره، أي زهره. وتخلل: دخل في خلله أي في وسطه. حر الرمل: خالصه والدعص: الكثيب من الرمل. يقول: وتبسم الحبيبة عن ثغر ألمى الشفتين كأنه أقحوان خرج نوره في دعص ندي يكون ذلك الدعص فيما بين رمل خالص لا يخالطه تراب، وإنما جعله ندياً ليكون الأقحوان غضاً ناضراً.

٩ - سَقَتْهُ إِيَاةُ الشَّمْسِ إِلاَّ لِثَاتِهِ ... أُسِفَّ وَلَمْ تَكْدِمْ عَلَيْهِ بِإِثْمِدِ

١٠ - وَوَجْهٌ كَأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ رِدَاءَهَا ... عَلَيْهِ نَقِيُّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَخَدَّدِ

١١ - وَإِنِّي لأُمْضِي الهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ ... بِعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي

١٢ - أَمُونٍ كَأَلْوَاحِ الإِرَانِ نَسَأْتُهَا ... عَلَى لاَحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ

١٣ - تُبَارِي عِتَاقَ النَّاجِيَاتِ وَأَتْبَعَتْ ... وَظِيفاً وَظِيفاً فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ

١٤ - تَرَبَّعَتِ القُفَّيْنِ بِالشَّوْلِ تَرْتَعِي ... حَدَائِقَ مَوْلِيِّ الأَسِرَّةِ أَغْيَدِ

---

٩ - إِيَاة الشمس: ضوؤها وشعاعها. واللثات: جمع لثة، وهي مغرز أصول الأسنان. سقته: حسّنته وبيّضته وأشربته حسناً. أسفّ: ذر عليه. الكدم: العض. الإثمد: الكحل. والمعنى: كأن الشمس أعارته ضوءها باستثناء اللثات. ونساء العرب تذر الإثمد على الشفاه واللثات فيكون ذلك أشد للمعان الأسنان.

١٠ - التخدد: التغضن والتشنج.
يقول: وتبسم عن وجه كأن الشمس كسته ضياءها وجمالها فاستعار لضياء الشمس اسم الرداء ثم ذكر أن وجهها نقي اللون غير متشنج متغضن.

١١ - العوجاء: الضامرة. والمرقال: السريعة في سيرها. عند احتضارها. الاحتضار والحضور واحد.
يقول: وإني لأمضي همي وأنفذ إرادتي عند حضورها بناقة نشيطة في سيرها تخب خبباً وتذمل ذميلاً في رواحها واغتدائها.

١٢ - الأمون: التي يؤمن عثارها. والإران: التابوت. نسأتها بالصاد: زجرتها وبالسين ضربته بالمنسأة وهي العصا. اللاحب: الطريق الواضح المنقاد. البرجد: كساء مخطط.
يقول: هذه الناقة الموثقة الخلق يؤمن عثارها في سيرها وعدوها، وعظامها كألواح التابوت العظيم ضربتها بالمنسأة على طريق واضح كأنه كساء مخطط في عرضه.

١٣ - تباري: تعارض. والعتاق: الكرام، والناجيات: السريعات. والوظيف: عظم الساق. والمور: الطريق. والمعبد: المذلل.
يقول: هي تباري إبلاً كراماً مسرعات في السير وتتبع وظيف رجلها وظيف يدها فوق طريق مذلل بالسلوك والوطء بالأقدام والحوافر والمناسم.

١٤ - القف: ما غلظ من الأرض وارتفع وهو دون الجبل. والشول: النوق التي ارتفعت ألبانها. والحدائق: البساتين. والمولى: من الولي وهو المطر الثاني. الأسرة: بطون

١٥ - تَرِيعُ إِلَى صَوْتِ الْمُهِيبِ وَتَتَّقِي ... بِذِي خُصَلٍ رَوْعَاتِ أَكْلَفَ مُلْبِدِ
١٦ - كَأَنَّ جَنَاحَيْ مَضْرَحِيٍّ تَكَنَّفَا ... حِفَافَيْهِ شُكَّا فِي الْعَسِيبِ بِمِسْرَدِ
١٧ - فَطَوْراً بِهِ خَلْفَ الزَّمِيلِ وَتَارَةً ... عَلَى حَشَفٍ كَالشَّنِّ ذَاوٍ مُجَدَّدِ
١٨ - لَهَا فَخِذَانِ أُكْمِلَ النَّحْضُ فِيهِمَا ... كَأَنَّهُمَا بَابَا مُنِيفٍ مُمَرَّدِ
١٩ - وَطَيٌّ مَحَالٍ كَالْحَنِيِّ خُلُوفُهُ ... وَأَجْرِنَةٌ لُزَّتْ بِرَأْيٍ مُنَضَّدِ
٢٠ - كَأَنَّ كِنَاسَيْ ضَالَةٍ يَكْنُفَانِهَا ... وَأَطْرَ قِسِيٍّ تَحْتَ صُلْبٍ مُؤَيَّدِ

الأودية. الأغيد: الناعم الحلق، وتأنيثه غيداء.

يقول: قد رعت هذه الناقة أيام الربيع كلا القفين بين نوق جفت ضروعها وقلت ألبانها ترعى هي حدائق واد قد وليت أسرتها وهو مع ذلك ناعم التربة.

١٥ - تريع: ترجع. والمهيب: الداعي. الروعات: الفزعات. والأكلف: الفحل الذي في لونه حمرة إلى السواد. والملبد: الذي يخطر بذنبه فيتلبد البول والبعر على وركيه.

يقول: هي ذكية القلب ترجع إلى راعيها وتجعل ذنبها حاجزاً بينها وبين فحل تضرب حمرته إلى السواد متلبد الوبر.

١٦ - المضرحي: النسر. وحفافاه: جانباه، وشكا: أدخلا. العسيب: الذنب بلا شعر، والمسرد: الأشفى وهو المثقب. والسرد: الثقب. يقول: كأن جناحي نسر أبيض غرزاً بأشفى في عظم ذنبها فصارا في جانبيه، شبه شعر ذنبها بجناحي نسر أبيض في الباطن.

١٧ - يقول: طوراً ترفع ذنبها وتضرب به خلف الزميل أي الرديف، ومرة تضرب به على ضرعها.

١٨ - النحض: اللحم. والمنيف: العالي. والممرد: الأملس.

يقول: لهذه الناقة فخذان أكمل لحمهما فشابها مصراعي باب قصر عال مملس أو مطول في العرض.

١٩ - المحال: فقار الظهر، الواحدة محالة. والحني: القسي الواحدة حنيه. والخلوف: أطراف الأضلاع. وأجرنة: جمع جران، وهو باطن العنق. ولزت: شدت. دأي: جمع دأية وهي فقار تكون في العنق. منضد: نضد بعضه على بعض.

يقول: ولها فقار مطوية متراصفة متداخلة كأن الأضلاع المتصلة بها قسي ولها باطن عنق ضم وقرن إلى فقار عنق قد نضد بعضها على بعض.

٢٠ - الكناس: شيء يتخذه الوحش، وتأوي إليه. والضال: السدر البري. والأطر:

٢١ ـ لَهَا مِرْفَقَانِ أَفْتَلانِ كَأَنَّمَا ... تَمُرُّ بِسَلْمَيْ دَالِجٍ مُتَشَدِّدِ
٢٢ ـ كَقَنْطَرَةِ الرُّومِيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا ... لَتُكْتَنَفَا حَتَّى تُشَادَ بِقَرْمَدِ
٢٣ ـ صُهَابِيَّةُ العُثْنُونِ مُوجَدَةُ القَرَى ... بَعِيدَةُ وَخْدِ الرِّجْلِ مَوَّارَةُ اليَدِ
٢٤ ـ أُمِرَّتْ يَدَاهَا فَتْلَ شَزْرٍ وَأُجْنِحَتْ ... لَهَا عَضُدَاهَا فِي سَقِيفٍ مُسَنَّدِ
٢٥ ـ جَنُوحٌ دِفَاقٌ عَنْدَلٌ ثُمَّ أُفْرِعَتْ ... لَهَا كَتِفَاهَا فِي مُعَالًى مُصَعَّدِ

العطف، والمؤيد: القوى. والأيد: القوة.

يقول: كأن بيتين من بيوت الوحش في أصل ضالة صارا في ناحيتي هذه الناقة وقسياً معطوفة تحت صلب مقوى.

٢١ ـ الافتلان: المتباينان. والسلم: الدلو التي لها عروة واحدة. والدالج: الذي يمشي بين الحوض والبئر.

يقول: لهذه الناقة مرفقان قويان شديدان بائنان عن جنبيها فكأنها تمر مع دلوين من دلاء الدالجين الأقوياء، شبهها بسقاءٍ حمل دلوين إحداهما بيمناه والأخرى بيسراه فبانت يداه عن جنبيه.

٢٢ ـ لتكتنفا: لتوثيا من أكنافها لتبنى. وتشاد: ترفع. والقرمد: الآجر الواحدة قرمدة. والقنطرة: الحنية. شبه الناقة في تراصف عظامها وتداخل أعضائها بقنطرة تبنى لرجل رومي قد حلف صاحبها ليماطن بها حتى ترفع وتجصص بالآجر.

٢٣ـ صهابية: منسوبة إلى الصهبة وهي بياض تخالطه حمرة، والعثنون: ما تحت لحييها من الشعر. والموجدة: المحكمة. وناقة أجد: إذا اجتمعت عظام فقارها، والقرى: الظهر. وموارة اليد: أي أن كتفيها يتبعان يديها في سهولة. الوخد: ضرب من السير السريع.

يقول: في عثنونها صهبة وفي ظهرها قوة وشدة ويبعد ذميل رجليها ومور يديها في السير.

٢٤ ـ أمرّت: فتلت. والشزر: الفتل المتعالي. اجنحت: ميلت.

يقول: فتلت يداها فتلاً بعدتا به عن كركرتها وأميلت عضداها تحت جنبين كأنها سقف أسند بعض لبنه إلى بعض.

٢٥ ـ الجنوح: التي يميل أحد شقيها، وهو أنشط لها. والدفاق: التي تدفق بالسير. والعندل: الضخمة الرأس. وأفرغت: عوليت.

يقول: هذه الناقة شديدة الميلان عن سمت الطريق لفرط نشاطها في السير مسرعة غاية الإسراع عظيمة الرأس وقد عليت كتفاها في خلق معلى مصعّد.

٢٦ - كَأَنَّ عُلُوبَ النِّسْعِ فِي دَأَيَاتِهَا مَوَارِدُ مِنْ خَلْقَاءَ فِي ظَهْرِ قَرْدَدِ
٢٧ - تَلَاقَى وَأَحْيَانًا تَبِينُ كَأَنَّهَا بَنَائِقُ غُرٌّ فِي قَمِيصٍ مُقَدَّدِ
٢٨ - وَأَتْلَعُ نَهَّاضٌ إِذَا صَعَّدَتْ بِهِ كَسُكَّانِ بُوصِيٍّ بِدَجْلَةَ مُصْعِدِ
٢٩ - وَجُمْجُمَةٌ مِثْلُ العَلَاةِ كَأَنَّمَا وَعَى المُلْتَقَى مِنْهَا إِلَى حَرْفِ مِبْرَدِ
٣٠ - وَخَدٌّ كَقِرْطَاسِ الشَّآمِي وَمِشْفَرٌ كَسِبْتِ اليَمَانِي قَدُّهُ لَمْ يُحَرَّدِ
٣١ - وَعَيْنَانِ كَالمَاوِيَّتَيْنِ اسْتَكَنَّتَا بِكَهْفَيْ حَجَاجَيْ صَخْرَةٍ قَلْتِ مَوْرِدِ

٢٦- العلوب: الآثار. والنسع: حبل مضفور من جلود. والدأيات: منتهى الأضلاع قيل: في الظهر، وقيل: في الصدر. والموارد: طرق المياه. والخلقاء: الصخرة الملساء. والقردد: الأرض الصلبة المستوية.

ومعنى البيت: أن النسوع لا تؤثر في هذه الناقة إلا كما تؤثر الموارد في الصخرة الملساء.

٢٧ - تلاقى: تجتمع. وتبين: تفرق. وغر: بيض وهو من نعت البنائق واحدها بنيقة والواحدة غراء. والمقدد: المشقق.

تلاقى: أصله تتلاقى تجتمع هذه الموارد يكون بعضها يلي بعضاً ويتصل بعضها ببعض.

٢٨- أتلع: الطويل العنق. النهاض: سريع بالحركة مبالغة الناهض. البوصي: ضرب من السفن. السكان: ذنب السفينة.

يقول: هي طويلة العنق فإذا رفعت عنقها أشبه ذنب سفينة في دجلة تصعد.

٢٩- الجمجمة: عظام الرأس. والعلاة: الزبرة. وعى: انضم.

يقول: ولها جمجمة تشبه العلاة في الصلابة فكأنما انضم طرفها إلى حد عظيم يشبه المبرد في الحدة والصلابة.

٣٠- المشفر: الشفة. والسبت: جلود النعال المدبوغة. ولم يحرد: لم يعوج. التحريد: اضطراب القطع وتفاوته.

شبه خدها في الملاسة بالقرطاس ومشفرها بالسبت في اللين واستقامة القطع.

٣١- الماويتان: المرآتان. والكهف: الغار في الجبل. والقلت: النقرة في الصخرة والجبل. والمورد: الطريق إلى الماء. استكنتا: صارتا في كن يسترهما.

يقول: لها عينان تشبهان مرآتين في الصفاء والنقاء والبريق وتشبهان ماء في القلت في الصفاء، وشبه عينيها بكهفين في غؤورهما. وحجاجيها بالصخرة في الصلابة.

٣٢ - طَحُورَانِ عُوّارَ القَذَى فَتَرَاهُمَا   كَمَكْحُولَتَيْ مَذْعُورَةٍ أُمِّ فَرْقَدِ
٣٣ - وَصَادِقَتَا سَمْعِ التَّوَجُّسِ لِلسُّرَى   لِهَجْسٍ خَفِيٍّ أَوْ لِصَوْتٍ مُنَدَّدِ
٣٤ - مُؤَلَّلَتَانِ تَعْرِفُ العِتْقَ فِيهِمَا   كَسَامِعَتَيْ شَاةٍ بِحَوْمَلَ مُفْرَدِ
٣٥ - وَأَرْوَعَ نَبَّاضٍ أَحَذُّ مُلَمْلَمٌ   كَمِرْدَاةِ صَخْرٍ فِي صَفِيحٍ مُصَمَّدِ
٣٦ - وَإِنْ شِئْتَ سَامَى وَاسِطَ الكُورِ رَأْسُهَا   وَعَامَتْ بِضَبْعَيْهَا نَجَاءَ الخَفَيْدَدِ
٣٧ - وَإِنْ شِئْتَ لَمْ تُرْقِلْ وَإِنْ شِئْتَ أَرْقَلَتْ   مَخَافَةَ مَلْوِيٍّ مِنَ القِدِّ مُحْصَدِ

---

٣٢ ـ طحوران: دفوعان. يقال طحرة إذا رماه. والعوار، والعائر: ما أفسد العين. والفرقد: ولد البقرة.
يقول: عيناها تطرحان وتبعدان القذى عن نفسيهما ثم شبههما بعيني بقرة وحشية لها ولد وقد أفزعها صائد أو غيره.
٣٣ ـ التوجس: التسمع. والهجس: الصوت الخفي. والمندد: الذي يرفع صوته.
يقول: لها أذنان مرهفتا السمع، تتحسّسان الصوت خلال المسير في الليل، فتدركان الصوت الخفي والصوت المرتفع.
٣٤ـ المؤللة: المحددة. والعتق: الكرم والنجابة. السامعتان: الأذنان. الشاة: الثور الوحشي. حومل: موضع بعينه.
يقول: لها أذنان محددتان تحديد الآلة تعرف نجابتها فيهما وهما كأذني ثور وحشي منفرد في حومل.
٣٥ـ الأروع: الفزع. النباض: المتحرك. والأحذ: الأملس. وقال أبو عمرو الشيباني: الخفيف، السريع. الململم: المجتمع المستوي. والمرادة: حجر ملء الكف تكسر به الحجارة. والصفيح من الحجارة: العريض. والمصمد: الصلب الذي لا خور فيه.
يقول: لها قلب يرتاع لأدنى شيء لفرط ذكائه سريع الحركة خفيف صلب مجتمع الخلق يشبه صخرة يكسر بها الصخور في الصلابة فيما بين أضلاع تشبه حجارة عراضاً موثقة محكمة.
٣٦ ـ سامى: عالى. وواسط الكور: العود الذي يكون في وسطه، والكور: الرحل. والضبعان: العضدان. والنجاء: السرعة. والخَفَيْدَد: الظليم وهو ذكر النعام.
يقول: إن شئت جعلت رأسها موازياً لواسط رحلها في العلو من فرط نشاطها وجذبي زمامها إلي وأسرعت في سيرها حتى كأنها تسبح بعضديها إسراعاً مثل إسراع الظليم.
٣٧ـ الإرقال: ضرب من السير السريع. وأراد بالملوي: السوط. والمحصد: المحكم الفتل.

٣٨ - وَأَعْلَمُ مَخْرُوتٌ مِنَ الأَنْفِ مَارِنٌ عَتِيقٌ مَتَى تَرْجُمْ بِهِ الأَرْضَ تَزْدَدِ
٣٩ - عَلَى مِثْلِهَا أَمْضِي إِذَا قَالَ صَاحِبِي أَلا لَيْتَنِي أَفْدِيكَ مِنْهَا وَأَفْتَدِي
٤٠ - وَجَاشَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ خَوْفاً وَخَالَهُ مُصَاباً وَلَوْ أَمْسَى عَلَى غَيْرِ مَرْصَدِ
٤١ - إِذَا القَوْمُ قَالُوا: مَنْ فَتًى؟ خِلْتُ أَنَّنِي عُنِيتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ
٤٢ - أَحَلْتُ عَلَيْهَا بِالقَطِيعِ فَأَجْذَمَتْ وَقَدْ خَبَّ آلُ الأَمْعَزِ المُتَوَقِّدِ
٤٣ - فَذَالَتْ كَمَا ذَالَتْ وَلِيدَةُ مَجْلِسٍ تُرِي رَبَّهَا أَذْيَالَ سَحْلٍ مُمَدَّدِ
٤٤ - وَلَسْتُ بِحَلَّالِ التِّلاعِ مَخَافَةً وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ القَوْمُ أَرْفِدِ

يقول: هي مذللة مروضة فإن شئت أسرعت في سيرها، وإن شئت لم تسرع مخافة سوط ملوي محكم الفتل.

٣٨- الأعلم: المشفر، والمخروت: المشقوق. والمارن: اللين. وإذا أومأت إلى الأرض برأسها ازدادت سيراً.

٣٩ - على مثل هذه الناقة أسير وأمضي إذا قال صاحبي: إنّا هالكون من خوف الفلاة.

٤٠ - جاشت: ارتفعت إليه من الخوف ولم تستقر. خاله: ظنه. المرصد: الطريق.

يقول: وارتفعت نفسه أي زال قلبه عن مستقره لفرط خوفه فظنه هالكاً، وإن أمسى على غير الطريق.

٤١ - يقول: إذا القوم قالوا: من فتى لهذه المفازة؟ خلت أنهم يعنونني، ويقولون: ليس لها غيرك، فلم أكسل عن أن أقول: أنا لها ولم أتبلد عن سلوكها.

٤٢ - أحلت: رفعت. القطيع: السوط. فأجذمت: فأسرعت. خبَّ: جرى واضطرب. والأمعز والمعزاء: الموضع الغليظ الكثير الحصى. المتوقد: الذي قد توقد بالحر.

يقول: أقبلت على الناقة أضربها بالسوط فأسرعت في السير في حال خبب آل الأماكن التي اختلطت تربتها بالحجارة والحصى.

٤٣ - ذالت: تبخترت. الوليدة: الأمة. السحل: الثوب الأبيض. الممدد: الذي ينجر في الأرض.

يقول: فتبخترت هذه الناقة كما تتبختر جارية ترقص بين يدي سيدها فتريه ذيل ثوبها الأبيض الطويل في رقصها.

٤٤ - التلاع: مجاري المياه من رؤوس الجبال إلى الأودية.

والمعنى: إني لست ممن يستتر في التلاع، مخافة الضيف، ولكن أظهر وأعطي من سألني. ومعنى يسترفد: يستعطي والرفد: العطية.

٤٥ - وَإِنْ تَبْغِنِي فِي حَلْقَةِ القَوْمِ تَلْقَنِي ... وَإِنْ تَقْتَنِصْنِي فِي الحَوانِيتِ تَصْطَدِ

٤٦ - مَتَى تَأْتِنِي أُصْبِحْكَ كَأْساً رَوِيَّةً ... وَإِنْ كُنْتَ عَنْهَا غَانِياً فَاغْنَ وَازْدَدِ

٤٧ - وَإِنْ يَلْتَقِ الحَيُّ الجَمِيعُ تُلاقِنِي ... إِلَى ذِرْوَةِ البَيْتِ الرَّفِيعِ المُصَمَّدِ

٤٨ - نَدَامَايَ بِيضٌ كَالنُّجُومِ وَقَيْنَةٌ ... تَرُوحُ عَلَيْنَا بَيْنَ بُرْدٍ وَمُجْسَدِ

٤٩ - رَحِيبٌ قِطَابُ الجَيبِ مِنْهَا رَفِيقَةٌ ... بِجَسِّ النَّدَامَى بَضَّةُ المُتَجَرَّدِ

٥٠ - إِذَا نَحْنُ قُلْنَا أَسْمِعِينَا انْبَرَتْ لَنَا ... عَلَى رِسْلِهَا مَطْرُوفَةً لَمْ تُشَدَّدِ

---

٤٥ - إن تطلبني في موضع يجتمع القوم فيه للمشورة وإجالة الرأي، تلقني لما عندي من الرأي لا أتخلف عنهم وإن تطلب صيدي في حوانيت الخمارين تجدني أشرب وأسقي من حضرني.

٤٦ - أصبحك: من الصبوح. وهو شرب الغداة، والكأس: هو الإناء الذي فيه الخمر. والمعنى: متى تأتني تجدني قد أخذت خمرا كثيرا لأشرب وأسقي من حضرني، ومعنى روية: مروية، ومعنى فاغن وازدد: تحتمل وجهين أحدهما فاغن بما عندك، والآخر فازدد غنى.

٤٧ - إن يلتق الحي الجميع للمفاخرة، وذكر المعالي: تجدني معهم. «وذروة كل شيء» أعلاه وإنما يريد بالبيت هنا الأشراف الذين يقصدون، فشبههم بالبيت الرفيع. والمصمد: الذي يصمد إليه أي يقصد.

٤٨ - الندامى: الذين يتواصلون على الشراب، والقينة: المغنية. تروح علينا: تجيئنا عشياً. والمجسد: المصبوغ بالزعفران.

يقول: ندامايَ أحرار كرام تتلألأ ألوانهم وتشرق وجوههم ومغنية تأتينا رواحاً لابسة برداً أو ثوباً مصبوغاً بالزعفران أو ثوباً مشبع الصبغ.

٤٩ - الرحيب: الواسع. والبضة: الرخصة. والرحيب: الواسعة قطاب الجيب. قطاب: قطعة.

يقول: هذه القينة واسعة الجيب لادخال الندامى أيديهم في جيبها للمسها، ثم قال: هي رقيقة على جس الندامى إياها وما يعرى من جسدها ناعم اللحم رقيق الجلد صافي اللون.

٥٠ - أسمعينا: غنينا. ومعنى انبرت: اعترضت. على رسلها: على هيئتها. مطروقة: مسترخية لينة. لم تشدد: لم تجتهد ولم تكترث.

يقول: إذا سألناها الغناء عرضت تغنينا متئدة في غنائها على ضعف نغمتها لا تشدد فيها.

٥١ ـ وَمَازَالَ تَشْرَابِي الخُمُورَ وَلَذَّتِي ... وَبَيْعِي وَإِنْفَاقِي طَرِيفِي وَمُتْلَدِي

٥٢ ـ إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي العَشِيرَةُ كُلُّهَا ... وَأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ البَعِيرِ المُعَبَّدِ

٥٣ ـ رَأَيْتُ بَنِي غَبْرَاءَ لا يُنْكِرُونَنِي ... وَلاَ أَهْلُ هَذَاكَ الطِّرَافِ المُمَدَّدِ

٥٤ ـ أَلاَ أَيُّهذا اللائِمِي أَحْضُرَ الوَغَى ... وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي

٥٥ ـ فَإِنْ كُنْتَ لاَتَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي ... فَذَرْنِي أُبَادِرْهَا بِمَا كَسَبَتْ يَدِي

٥٦ ـ فَلَوْلاَ ثَلاَثٌ هُنَّ مِنْ عِيشَةِ الفَتَى ... وَجَدِّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ عُوَّدِي

٥٧ ـ فَمِنْهُنَّ سَبْقِ العَاذِلاتِ بِشَرْبَةٍ ... كُمَيْتٍ مَتَى مَا تُعْلَ بِالمَاءِ تُزْبِدِ

---

٥١ ـ تشرابي: بمعنى شربي إلا أنه يستعمل للكثير. الطريف: الحديث. والمتلد: القديم.
يقول: لم أزل أشرب الخمر واشتغل باللذات وبيع الاعلاق النفيسة واتلافها حتى كأن هذه الأشياء لي بمنزلة المال المستحدث والمال الموروث.

٥٢ـ تحامتني: تركتني. العشيرة: أهل بيته ويدخل فيهم من يخالطه. وأفردت أفراد البعير: أفردت إفراداً مثل إفراد البعير الأجرب. المعمد: الأجرب وقيل المهنوء الذي سقط وبره فأفرد عن الإبل أي تركت ولذاتي.

٥٣ ـ للغبراء: الأرض وبنو غبراء: الفقراء ويدخل فيهم الأضياف. والطراف: بناء من أدم يتخذه المياسير.
ومعنى البيت: أنه يخبر أن الفقراء يعرفونه لأنه يعطيهم والأغنياء يعرفونه لجلالته واخراجه معهم.

٥٤ ـ الا أيهذا اللائمي في حضور الحرب لئلا أقتل وفي أن أنفق مالي لئلا افتقر، لا ينفعني ذلك من الموت شيئاً فدعني أنفق مالي ولا أخلفه.

٥٥ ـ إن كنت لا تستطيع أن تبقيني، فذرني ولذاتي قبل أن يأتيني الموت.

٥٦ ـ عيشة الفتى: ما يعيش به ويلتذ. وجدك: وحقك، ونفسك. وقيل: وأبيك. وقوله: لم أحفل: لم أبال. عوده: من يحضره عن موته في مرضه وينوح عليه.
يقول: فلولا حبي ثلاث خصال هن من لذة الفتى الكريم لم أبال متى قام عودي من عندي آيسين من حياتي أي لم أبال متى مت.

٥٧ ـ الكميت: الحمراء التي تضرب إلى السواد. ما تعل بالماء: تمزج به تزبد لأنها معتقة.
يقول: أني أسبق العوافل بشربة من الخمر كميت اللون متى صب الماء عليها أزبدت.

٥٨ - وَكَرِّي إذَا نَادَى المُضَافُ مُحَنَّباً ... كَسِيدِ الغَضَا نَبَّهْتَهُ المُتَوَرِّدِ
٥٩ - وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجِبٌ ... بِبَهْكَنَةٍ تَحْتَ الخِبَاءِ المُعَمَّدِ
٦٠ - كَأَنَّ البُرِينَ والدَّمَالِيجَ عُلِّقَتْ ... عَلَى عُشَرٍ أَوْ خِرْوَعٍ لَمْ يُخَضَّدِ

٦١ - كَرِيمٌ يُرَوِّي نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ ... سَتَعْلَمُ إنْ مُتْنَا غَداً أَيُّنَا الصَّدِي
٦٢ - أَرَى قَبْرَ نَحَّامٍ بَخِيلٍ بِمَالِهِ ... كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي البَطَالَةِ مُفْسِدِ
٦٣ - تَرَى جُثْوَتَيْنِ مِنْ تُرَابٍ عَلَيْهِمَا ... صَفَائِحُ صُمٌّ مِنْ صَفِيحٍ مُنَضَّدِ
٦٤ - أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ وَيَصْطَفِي ... عَقِيلَةَ مَالِ الفَاحِشِ المُتَشَدِّدِ

---

٥٨ - كرّي: عطفي. المضاف: الذي قد أضافته الهموم. والمحنب: الذي في يده انحناء. السيد: الذئب. الغضا: شجر وذئابه أخبث الذئاب. ونبهته: هيجته. والمتورد: الذي يطلب أن يرد الماء.

٥٩ - الدجن: الندى والمطر الخفيف وقيل: هو إلباس الغيم السماء وإن لم يكن مطر ومعنى والدجن معجب: أي معجب من رآه. والبهكنة: الحسنة الخلق. والخباء: بيت من شعر وأدم. والمعمد: الذي له أعمدة.

يقول: إني أقصر يوم الغيم بالتمتع بامرأة ناعمة حسنة الخلق تحت بيت مرفوع بالعمد.

٦٠ - البرين: الخلاخيل. الدماليج: الدملج والدملوج هو المعضد من الحلي. والعشر والخروع ضربان من الشجر.

يقول: كأن خلاخيلها وأسورتها ومعاضدها معلقة على أحد هذين الضربين من الشجر، وجعله غير مخضد ليكون أغلظ.

٦١ - يقول: أنا كريم يروي نفسه أيام حياته بالخمرة، ستعلم إن متنا غداً أيّنا العطشان.

٦٢ - النحام: الزحار عن الحق وعند السؤال. الغوي: الذي يتبع هواه ولذاته.

ومعنى البيت: أن من يبخل بماله عند أداء الحق وعند السؤال وعند لذاته إذا مات فقد استوى هو ومن ينفق ويقضي لذاته، وفضله في حياته.

٦٣ - الجثوة: الكومة من التراب المجتمع. الصفائح: الصخور الرقاق. والصم: الصلبة. والصفيح: المنضد الذي نضد بعضه على بعض.

يقول: أرى قبري البخيل والجواد كومتين من التراب عليهما حجارة عراض صلاب قد نضدت.

٦٤ - يعتام: يختار. والكريم: الشريف الفاضل. يصطفي: يأخذ صفوته وهو خيرته،

٦٥ - أرَى الدَّهرَ كَنزاً نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ ... وَمَا تَنْقُصِ الأَيَّامُ وَالدَّهْرُ يَنْفَدِ
٦٦ - لَعَمْرُكَ إنَّ المَوْتَ مَا أَخْطَأَ الفَتَى ... لَكَالطِّوَلِ المُرْخَى وَثِنْيَاهُ فِي اليَدِ
٦٧ - فَمَالِي أَرَانِي وابْنَ عَمِّي مَالِكاً ... مَتَى أَدْنُ مِنْهُ يَنْأَ عَنِّي وَيَبْعُدِ
٦٨ - يَلُومُ وَمَا أَدْرِي عَلَامَ يَلُومُنِي ... كَمَا لَامَنِي فِي الحَيِّ قُرْطُ بنُ أَعْبَدِ
٦٩ - وَأَيْأَسَنِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ طَلَبْتُهُ ... كَأَنَّا وَضَعْنَاهُ إلى رَمْسِ مُلْحَدِ
٧٠ - عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ قُلْتُهُ غَيْرَ أَنَّنِي ... نَشَدْتُ فَلَمْ أُغْفِلْ حَمُولَةَ مَعْبَدِ
٧١ - وَقَرَّبْتُ بِالقُرْبَى وَجَدِّكَ إنَّنِي ... مَتَى يَكُ عَهْدٌ لِلنَّكِيثَةِ أَشْهَدِ
٧٢ - وَإنْ أُدْعَ لِلْجُلَّى أَكُنْ مِنْ حُمَاتِهَا ... وَإنْ يَأْتِكَ الأَعْدَاءُ بِالجَهْدِ أَجْهَدِ
٧٣ - وَإنْ يَقْذِفُوا بِالقَذْعِ عِرْضَكَ أَسْقِهِمْ ... بِكَأْسِ حِيَاضِ المَوْتِ قَبْلَ التَّهَدُّدِ

وعقيلة المال: أكرمه وأنفسه عند أهله والفاحش: السيء الخلق، والمتشدد: البخيل.
يقول: أرى الموت يختار الكرام بالإفناء، ويصطفي كريمة مال البخيل المتشدد بالإبقاء
وقيل: بل معناه أن الموت يعم الأجواد والبخلاء فيصطفي الكرام وكرائم أموال البخلاء.

٦٥ - شبه البقاء بكنز ينقص كل ليلة وما لا يزال ينقص فإن مآله إلى النفاد.

٦٦ - الطول: الحبل. وثنياه: ما ثني منه والمعنى: أن الموت في إخطائه الفتى، أي في أن يطول عمره، بمنزلة حبل بين يدي دابة وطرفه في يدي رجل، والحبل مرخى، فمتى شاء جذبه فكذلك الفتى متعلق بالموت، والموت متعلق به.

٦٧ - يقول: فمالي أراني وابن عمي متى تقربت منه تباعد عني. يستغرب هجرانه إياه مع تقربه منه.

٦٨ - يلومني مالك وما أدري ما السبب الداعي إلى لومه إياي كما لامني هذا الرجل في القبيلة.

٦٩ - إنه جعلني ذا يأس من الخير، فهو بمنزلة الموتى، إذ كان لا يرجو منه خيراً.

٧٠ - إنه ذمني على غير ذنب، كان مني إليه، إلا أنني طلبت حمولة معبد.

٧١ - وقربت نفسي بالقرابة التي ضمنا حبلها ونظمنا خيطها، وأقسم بحظك وبختك أنه متى حدث له أمر يبلغ فيه غاية الطاقة ويبذل فيه المجهود أحضره وأنصره.

٧٢ - وإن دعوتني للأمر العظيم والخطب الجسيم أكن من الذين يحمون حريمك، وإن يأتك الأعداء لقتالك أجهد في دفعهم عنك غاية الجهد.

٧٣ - القذع: الكلام القبيح والشتم. والعرض: الصحيح أنه النفس.

٧٤ - بِلا حَدَثٍ أحْدَثْتُهُ وَكَمُحْدِثٍ   هِجَائي وَقَذْفي بالشَّكَاةِ وَمُطْرَدِي

٧٥ - فَلَوْ كَانَ مَوْلاَيَ امْرءاً هُوَ غَيْرُهُ   لَفَرَّجَ كَرْبِي أوْ لأنْظَرَني غَدي

٧٦ - وَلكِنَّ مَوْلاَيَ امْرؤٌ هُوَ خَانِقِي   عَلَى الشُّكْرِ والتَّسْآلِ أوْ أنَا مُفْتَدِي

٧٧ - وَظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أشَدُّ مَضَاضَةً   عَلَى المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

٧٨ - فَذَرْني وَخُلْقِي إنَّني لَكَ شَاكِرٌ   وَلَوْ حَلَّ بَيْتِي نَائِياً عِنْدَ ضَرْغَدِ

٧٩ - فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ قَيْسَ بنَ خَالِدٍ   وَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ عَمْروَ بنَ مَرْثَدِ

٨٠ - فَأَلْفَيْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَعَادَنِي   بَنُونَ كِرامٌ سَادَةٌ لِمُسَوَّدِ

٨١ - أنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الذي تَعْرِفُونَهُ   خَشَاشٌ كَرَأسِ الحَيَّةِ المُتَوَقِّدِ

يقول: وإن أساء الأعداء القول فيك وأفحشوا الكلام أوردتهم حياض الموت قبل أن أهددهم.

٧٤ - أجفى وأهجر وأضام من غير حدث إساءة أحدثته، ثم أهجى وأشكى وأطرد كما يهجى من أحدث إساءة وجر جريرة.

٧٥ - فلو كان ابن عمي غير مالك لفرج كربي أو لأمهلني زماناً.

٧٦ - ولكن ابن عمي رجل يضيق الأمر عليّ حتى كأنه يأخذ عليّ متنفسي على حال شكري إياه وسؤالي عوارفه وعفوه أو كنت في حال افتدائي نفسي منه. يقول: هو لا يزال يضيق الأمر عليّ سواء شكرته على آلائه أو سألته بره وعطفه أو طلبت تخليص نفسي منه.

٧٧ - وظلم الأقارب أشد تأثيراً في تهييج نار الحزن والغضب من وقع السيف القاطع المحدد أو المصنوع بالهند. الحسام: القطع.

٧٨ - خل بيني وبين خلقي وكلني إلى سجيتي فإني شاكر لك وإن بعدت غاية البعد حتى ينزل بيتي عند هذا الجبل الذي بضرغد.

٧٩ - يقول: لو شاء ربي بلغني منزلتهما وقدرهما. وقيس بن خالد وعمرو بن مرثد سيدان، من سادات العرب مذكوران بوفور المال ونجابة الأولاد.

٨٠ - لو بلغني الله منزلتهما لصرت وافر المال وزارني بنون موصوفون بالكرم والسؤدد لرجل مسود يعني به نفسه.

٨١ - الضرب: الذي بين السمين والمهزول.

يقول: أنا الضرب الذي عرفتموه، والعرب تتمدح بخفة اللحم لأن كثرته داعية إلى الكسل والثقل ثم قال: وأنا دخّال في الأمور بخفة وسرعة، شبه تيقظه وذكاء ذهنه بسرعة حركة رأس الحية وشدة توقده.

٨٢ - فَـآلَيْتُ لا يَنْفَكُّ كَشْحي بِطانَةً لِعَضْبٍ رَقيقِ الشَّفْـرَتَـيْنِ مُهَنَّـدِ

٨٣ - حُسَامٍ إذا ما قُمْتُ مُنْتَصِراً بِهِ كَفَى العَـوْدَ مِنْهُ البَـدْءُ لَيْسَ بِمِعْضَـدِ

٨٤ - أَخِي ثِقَـةٍ لا يَنْثَنِي عَنْ ضَرِيبَـةٍ إذا قِيلَ مَهْـلاً قَـالَ حَـاجِـزُهُ قَـدِ

٨٥ - إذَا ابْتَدَرَ القَوْمُ السِّلاحَ وَجَدْتَنِي مَنِيعاً إذَا بَلَّتْ بِـقَـائِـمِـهِ يَـدِي

٨٦ - وَبَرْكٍ هُجُودٍ قَدْ أَثَارَتْ مَخَافَتِي نَـوادِيهـا أَمْـشِـي بِـعَـضْـبٍ مُجَـرَّدِ

٨٧ - وَمَرَّتْ كَهَاةٌ ذَاتُ خَيْفٍ جُلالَةٌ عَقِيلَةُ شَيْـخٍ كَـالْـوَبِيـلِ يَلَنْـدَدِ

٨٢- آليت: حلفت. لا ينفك: لا يزال. والكشح: الجنب ومعناه لا يزال جنبي لاصقاً بالسيف. والعضب: السيف القاطع. وشفرتاه: حداه. ولقد حلفت أن لا يزال كشحي لسيف قاطع رقيق الشفرتين مصنوع في الهند بمنزلة البطانة للظهارة.

٨٣- لا يزال كشحي بطانة لسيف قاطع إذا قمت منتقماً به من الأعداء كفت الضربة الأولى، به الضربة الثانية فيغني البدء عن العود. وليسْ سيفاً يقطع به الشجر.

٨٤- أخي ثقة: يوثق بـه ويثق بنفسه. الثني: الصرف والنبو. الضريبة: ما يضرب بالسيف. مهلاً: كف. قدي وقدني: حسبي.

يقول: هذا السيف سيف يوثق بمضائه كالأخ الذي يوثق بإخائه، لا ينصرف عن ضريبة اي لا ينبو عما ضرب به إذا قيل لصاحبه كف عن ضرب عدوك قال: مانع السيف وهو صاحبه: حسبي فإني قد بلغت ما أردت من قتل عدوي.

٨٥- أي إذا عجلوا إليه وتبادروا. المنيع: الذي لا يقهر ولا يغلب. يقول: إذا استبق القوم أسلحتهم وجدتني منيعاً لا أقهر ولا أغلب إذا ظفرت يدي بقائم هذا السيف.

٨٦ - البرك: الإبل. والهجود: النيام. نواديها: ما ندّ منها. ويروى بواديها: أوائلها وسوابقها.

٨٧- الكهاة: الضخمة المسنة. الخيف: جلد الضرع الأعلى الذي يسمى الجراب. والجلالة: الجليلة العظيمة. الوبيل: العصا الضخمة. اليلندد والألندد والألد: الشديد الخصومة.

يقول: فمرت بي في حال إثارة مخافتي إياها ناقة ضخمة وهي كريمة مال شيخ قد يبس جلده ونحل جسمه من الكبر حتى صار كالعصا الضخمة يبساً ونحولاً وهو شديد الخصومة.

٨٨ - تَقُولُ وَقَدْ تَرَّ الوَظِيفُ وَسَاقُها   أَلَسْتَ تَرَى أنْ قَدْ أَتَيْتَ بِمُؤْيَدِ

٨٩ - وَقَالَ: ألاَ مَاذا تَرَوْنَ بِشَارِبٍ   شَدِيدٍ عَلَيْنَا بَغْيُهُ مُتَعَمِّدِ

٩٠ - فَقَالَ ذَرُوهُ إنَّما نَفْعُها لَهُ   وَإلاَّ تَرُدُّوا قَاصِيَ البَرْكِ يَزْدَدِ

٩١ - فَظَلَّ الإمَاءُ يَمْتَلِلْنَ حُوَارَها   وَيُسْعَى عَلَيْنَا بالسَّدِيفِ المُسَرْهَدِ

٩٢ - فَإنْ مُتُّ فانْعَيني بِمَا أَنَا أَهْلُهُ   وَشُقِّي عَلَيَّ الجَيْبَ يَا ابْنَةَ مَعْبَدِ

٩٣ - وَلاَ تَجْعَلِيني كَامْرِيءٍ لَيْسَ هَمُّهُ   كَهَمِّي وَلاَ يُغْنِي غَنَائي وَمَشْهَدِي

٩٤ - بَطِيءٍ عَنِ الجُلَّى سَرِيعٍ إلَى الخَنَا   ذَلِيلٍ بِأَجْمَاعِ الرِّجَالِ مُلَهَّدِ

٩٥ - فَلَوْ كُنْتُ وَغْلاً في الرِّجَالِ لَضَرَّنِي   عَدَاوَةُ ذِي الأَصْحَابِ والمُتَوَحِّدِ

---

٨٨ - ترّ: سقط وقطع. والوظيف: عظم الساق والذراع. والمؤيد: الداهية.
يقول: قال هذا الشيخ: في حال عقري هذه الناقة الكريمة النجيبة وسقوط وظيفها وساقها عند ضربي إياها بالسيف ألم تر أنك أتيت بداهية شديدة بعقرك مثل هذه الناقة الكريمة النجيبة.

٨٩ - يقول: قال الشيخ للحاضرين: أي شيء ترون أن يفعل بشارب خمر اشتد بغيه علينا عن تعمد وقصد؟

٩٠ - وقال الشيخ: دعوا طرفة إنما نفع هذه الناقة له وإلا تردوا وتمنعوا ما بعد هذه الإبل يزدد طرفة من عقرها ونحرها.

٩١ - الإماء: الخدم. يمتللن: يشوين في الملة وهي الرماد الحار. والحوار: ولد الناقة. والسديف: شطائب السنام. المسرهد: الناعم الحسن الغذاء.

٩٢ - إذا هلكت فأشيعي خبر هلاكي بالثناء الذي استحقه واستوجبه، وشقي جيبك عليّ. يا ابنة أخي.

٩٣ - لا تعدلي بي من لا يغني غناء مثل غنائي ولا يشهد الوقائع شهوداً مثل شهودي.

٩٤ - البطء: ضد العجلة. الجلى: الأمر العظيم. الخنا: الفحش. يقول: ولا تجعليني كرجل يبطىء عن الأمر العظيم ويسرع إلى الفحش وكثيراً ما يدفعه الرجال بأجماع أكفهم فقد ذل غاية الذل.

٩٥ - الوغل: الضعيف الخامل الذي لا ذكر له. والمتوحد: المنفرد. يقول: لو كنت ضعيفاً من الرجال لضرتني معاداة ذي الأتباع إياي ولكنني قوي منيع لا تضرني معاداته إياي.

٩٦ ـ وَلَكِنْ نَفَى عَنِّي الرِّجَالَ جَرَاءَتِي عَلَيْهِم وَإِقْـدَامِي وَصِـدْقِي وَمَحْتِـدِي

٩٧ ـ لَعَمْـرُكَ ما أمْـرِي عَلَيَّ بِغُمَّـةٍ نَهَارِي وَلَا لَـيْـلِي عَلَيَّ بِسَـرْمَـدِ

٩٨ ـ وَيَوْمَ حَبَسْتُ النَّفْسَ عِنْدَ عِرَاكِهَا حِفَـاظـاً عَـلَى عَـوْرَاتِـهِ وَالتَّهَـدُّدِ

٩٩ ـ عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى الفَتَى عِنْدَهُ الرَّدَى مَتَى تَعْتَـرِكْ فِيـهِ الفَـرَائِصُ تُرْعِدِ

١٠٠ ـ وَأَصْفَرَ مَضْبُوحٍ نَظَرْتُ حِوَارَهُ عَـلَى النَّارِ وَاسْتَـوْدَعْتُـهُ كَفَّ مُجْمِـدِ

١٠١ ـ سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيَـأْتِيـكَ بِـالأَخْبَـارِ مَنْ لَمْ تُـزَوِّدِ

١٠٢ ـ وَيَأْتِيكَ بِالأَنْبَاءِ مَنْ لَمْ تَبِعْ لَهُ بَتَـاتـاً وَلَمْ تَضْـرِبْ لَهُ وَقْتَ مَـوْعِـدِ

---

٩٦ ـ ولكن نفى عني مباراة الرجال ومجاراتهم شجاعتي وإقدامي في الحروب وصدق صريمتي وكرم أصلي.

٩٧ ـ إني لا أتحير في أمري نهاراً، ولا أؤخره ليلاً فيطول عليَّ الليـل. والسرمـد: الطويـل. الغمة: الأمر المبهم الذي لا يهتدى له.

٩٨ ـ يقول: وربَّ يوم حبست فيه نفسي عن القتال والفزعات وتهدد الأقران محافظة على حسبي.

٩٩ ـ الموطن: مستقر الحرب. والردى: الهلاك. وتعترك: تزدحم. والفريصة: لحمة عند يقول: حبست نفسي في موضع من الحرب يخشى الكريم هناك الهلاك حتى أن الفرائص تزدحم فيه مضطربة وترعد من فرط الفزع.

١٠٠ ـ ضبحت الشيء: قربته حتى أثرت فيه. الحوار والمحاورة: مراجعة الحديث. يقول: ورب قدح أصفر قد قرب من النار حتى أثرت فيه، وإنما فعل ذلك ليصلب ويصفر انتظرت مراجعته ونحن مجتمعون على النار له وأودعت القدح كف رجل معروف بالخيبة وقلة الفوز.

١٠١ ـ ستظهر لك الأيام ما لم تكن تعلمه ويأتيك بالخبر من لم تسأله عن ذلك.

١٠٢ ـ سينقل إليك الأخبار من لم تشتر له متاع المسافر ولم تحدد له وقتاً لنقل الأخبار إليك.

لبيد بن ربيعة

مات سنة ٤٠ للهجرة و٦٦٠ للميلاد

نسبه

هو لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس ابن عيلان بن مضر. وكان يقال لأبيه ربيعة المقترين لجوده، ومات أبوه وهو صغير في حرب كانت بين عامر وبني لبيد. وأم لبيد عبسية اسمها تامرة بنت زنباع.

طبقته في الشعراء

ولبيد معدود من الشعراء المجيدين والفرسان المشهورين ومن المعمرين وعدّه ابن سلام في الطبقة الثالثة وقرنه بنابغة بن جعدة وأبي ذؤيب الهذلي والشماخ. قال ابن سلام: فأما الشماخ فكان شديد متون الشعر. أشد أسراً من كلام لبيد، وفيه كزازة ولبيد أسهل منه منطقاً، وسئل هو من أشعر العرب؟ فقال: الملك الضليل يعني امرأ القيس فقال السائل: ثم من؟ فقال: الغلام القتيل يعني طرفة فقال له السائل: ثم من؟ فقال: الشيخ أبو عقيل يعني نفسه. وروي أن النابغة استنشده وهو شاب عند باب النعمان بن المنذر فأنشده قصيدته التي أولها:

ألم تلمم على الدِّمن الخوالي لسلمى بالمذاب فالقفال

فقال له النابغة: أنت أشعر بني عامر، زدني فأنشده:

طلل لخولة بالرسيس قديم بمعاقل فالأنعمين وشوم

فقال له: أنت أشعر هوازن، زدني فأنشده قوله:

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبّد غولها فرجامها

المعلقة، فقال له النابغة: اذهب فأنت أشعر العرب. وروي أن الفرزدق مرّ بمسجد بني أقيصر بالكوفة وعليه رجل ينشد قول لبيد:

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها

فسجد، فقيل له: ولِمَ يا أبا فراس؟ فقال: أنتم تعرفون سجدة القرآن وأنا أعرف سجدة الشعر. وبالجملة فمحل لبيد في الشعر مشهور، وقال من قدمه على غيره: إنه أقل الشعراء لغواً في شعره، وحكمه في شعره كثيرة، ولم يصح أنه قال بعد إسلامه إلا قوله:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه القرين الصالح

خبره مع الربيع بن زياد:

وكان لبيد في صغره تلوح عليه مخايل النجابة ومات أبوه وهو صغير، وكانت بين بني عبس وبني عامر عداوة فوفد بنو زياد المشهورون وهم عمارة وأنس وقيس والربيع العبسيون على النعمان بن المنذر، ووفد عليه العامريون بنو أم البنين وعليهم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ملاعب الأسنة وكان العامريون ثلاثين رجلاً وفيهم لبيد بن ربيعة وهو يومئذٍ غلام له ذؤابة، وكان الربيع بن زياد العبسي ينادم النعمان وكان النعمان يقدمه على من سواه وكان يدعى الكامل، سمته أمه بذلك لقصة مشهورة استشارت فيها إخوته فلم يشيروا عليها بالصواب فأشار هو به، وكان أصغرهم فضرب النعمان قبة على أبي براء وأجرى عليه وعلى من كان معه النزل، وكانوا يحضرون النعمان لحاجتهم، فتفاخر يوماً العبسيون والعامريون عند النعمان فكاد العبسيون يغلبون العامريين، وكان الربيع إذا خلا بالنعمان يطعن فيهم، ويذكر معايبهم ففعل ذلك مراراً فنزع النعمان القبة التي كان ضربها على أبي براء وقومه وقطع النزل، ودخلوا عليه يوماً فرأوا منه جفاء، وقد كان قبل ذلك يكرمهم ويقدم مجلسهم، فخرجوا من عنده غضاباًوهموابالانصراف ويكون لبيد في رحالهم يحفظ أمتعتهم ويغدو بإبلهم ويرعاها فإذا أمسى انصرف بها، فأتاهم تلك الليلة وهم يتذاكرون أمر الربيع فقال لهم: ما لكم تتناجون: فكتموه وقالوا له إليك عنا. فقال لهم: أخبروني فلعل لكم عندي

فرجاً فزجروه فقال: لا والله لا أحفظ لكم ولا أسرح لكم بعيراً أو تخبروني. وكانت أم لبيد عبسية في حجر الربيع فقالوا له: إن خالك قد غلبنا على الملك وصد عنا وجهه. فقال لهم: وهل تقدرون أن تجمعوا بيني وبينه غداً حين يقعد الملك فأرجز به رجزاً ممضاً مؤلماً لا يلتفت إليه النعمان بعده أبدا؟ فقالوا له: وهل عندك ذلك قال نعم قالوا: إنا نبلوك بشتم هذه البقلة وقدامهم بقلة دقيقة القضبان قليلة الورق. لاصقة فروعها بالأرض تدعى التربة، فاقتلعها من الأرض وأخذها بيده وقال: هذه التربة التفلة الرذلة التي لا تذكى ناراً ولا تسر جاراً عودها ضئيل وفرعها ذليل وخيرها قليل بلدها شاسع ونبتها خاشع وآكلها جائع والمقيم عليها قانع أقصر البقول فرعاً وأخبثها مرعى وأشدها قلعاً فحرباً لجارها وجدعاً القوابي أخا عبس أرجعه عنكم بتعس ونكس وأتركه من أمره في لبس فقالوا له: نصبح ونرى فيه رأينا فقال لهم عامر انظروا إلى غلامكم هذا فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء إنما تكلم بما جرى على لسانه وإن رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم فرمقوه بأبصارهم فوجدوه قد ركب رحلاً يكدم واسطته حتى أصبح. فلما أصبحوا قالوا: أنت والله صاحبه، فحلقوا رأسه وتركوا له ذؤابتين وألبسوه حلة وغدوا به معهم، فدخلوا على النعمان فوجدوه يتغدى ومعه الربيع وليس معه غيره، والدار والمجالس مملوءة بالوفود، فلما فرغ من الغداء أذن للجعفريين فدخلوا عليه والربيع إلى جانبه فذكروا للنعمان حاجتهم فاعترضهم الربيع في كلامهم فقال لبيد وقد دهن إحدى شقي رأسه وأرخى مئزره وانتعل نعلاً واحدة وكذلك كانت الشعراء تفعل في الجاهلية إذا أرادت الهجاء فمثل بين يديه ثم قال:

يا رب هيجا هي خير من دعه	إذ لا تزال هامتي مقزعه
نحن بني أم البنين الأربعة	ونحن خير عامر بن صعصعه
المطعمون الجفنة المدعدعه	والضاربون الهام تحت الخيضعه
مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه	إن استه من برص ملمعه
وإنه يدخل فيها إصبعه	يدخله حتى يواري أشجعه

كأنما يطلب شيئاً أودعه

فلما فرغ لبيد التفت النعمان إلى الربيع يرمقه شزراً وقال كذلك أنت يا ربيع؟ فقال: كذب والله ابن الحمق اللئيم فقال النعمان: أفٍّ لهذا الغلام لقد خبث علي طعامي فقال الربيع: أبيت اللعن أما إني قد فعلت بأمه (لا يكنى) وكانت في حجره فقال لبيد: أنت لهذا الكلام أهل أما إنها من نسوة غير فعل وأنت المرء قال هذا في يتيمته وروي أنه قال له: أما إنها من نسوة غير فعل وإنما قال له ذلك تبكيتاً له وتنديداً على قومه لأنها عبسية فنسبها إلى القبيح وصدقه عليه تهجيناً له ولقومه. فأمر الملك بهم جميعاً فأخرجوا وأعاد على أبي براء القبة وقضى حوائج الجعفريين من وقته وصرفهم. ومضى الربيع بن زياد إلى منزله من وقته فبعث إليه النعمان بضعف ما كان يحبوه وأمره بالانصراف إلى أهله فكتب إليه الربيع إني قد عرفت أنه وقع في صدرك ما قال لبيد وإني لست بارحاً حتى تبعث إلى من يجردني فيعلم من حضرك من الناس أني لست كما قال فأرسل إليه إنك لست صانعاً باتقائك مما قال لبيد شيئاً ولا قادراً على ما زلّت به الألسن فالحق بأهلك فلحق بأهله وأرسل إلى النعمان بأبيات، فأجابه بأبيات من بحرها ورويها منها:

قد قيل ما قيل إن صدقاً وإن كذباً فما اعتذارك من قول إذا قيلا

وقطعه من ذلك الوقت.

شيء من سيرته:

وكان لبيد من فرسان هوازن وكان الحارث الغساني وهو الأعرج وجه إلى المنذر بن ماء السماء مائة فارس وأمر عليهم لبيداً فساروا إلى عسكر المنذر وأظهروا أنهم أتوه داخلين عليه في طاعته فلما تمكنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم فقتل أكثرهم ونجا لبيد فأتى ملك غسان فأخبره فحمل الغسانيون على عسكر المنذر فهزموهم فكان ذلك يوم حليمة الذي يقول فيه الشاعر:

تخيرن من أزمات يوم حليمة إلى اليوم قد أجرين كل التجارب

«وحليمة» هي بنت ملك غسان. وكان أربد بن قيس المشهور أخا لبيد من أمه وكان يحبه وأربد هذا خرج مع عامر بن الطفيل ليغدرا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدعا عليهما في قصة مشهورة فمات عامر قبل أن يصل إلى أهله ومات أربد بعد وصوله بقليل بسبب صاعقة أنزلها الله عليه ورثاه لبيد بقصائد

مشهورة تركناها خوف الإطالة ومنها بيته المشهور:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم   وبقيت في خلف كجِلْدِ الأَجْرَبِ

حدث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت تنشد بيت لبيد هذا وتقول: رحم الله لبيداً فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم؟ فقال عروة: رحم الله عائشة فكيف لو أدركت من نحن بين ظهرانيهم؟ وقال هشام بن عروة: رحم الله أبي فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم؟ وقال وكيع: رحم الله هشاماً فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم؟ وقال أبو السائب: رحم الله وكيعاً فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم؟ قال أبو جعفر: رحم الله أبا السائب فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم؟ قال أبو الفرج الاصبهاني: ونحن نقول: الله المستعان، فالقصة أعظم من أن توصف.

ومر لبيد بمكة في أول ظهور الإسلام بها وكان عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة فرده عليه قبل ذلك فاتفق أنه مر بنادى قريش ومعهم لبيد ينشدهم شعره فلما أنشدهم قوله * ألا كل شيء ما خلا الله باطل *قال عثمان: صدقت فلما قال * وكل نعيم لا محالة زائل * قال: كذبت، فلم يدر القوم ما عنى به عثمان، فأشار بعضهم إلى لبيد أن يعيد فأعاد فصدقه في النصف الأول وكذبه في النصف الآخر، لأن نعيم الجنة لا يزول فقال لبيد: يا معشر قريش ما كان مثل هذا يكون في مجالسكم، فقام أبي بن خلف أو ابنه فلطم عين عثمان في قصة مشهورة.

حاله في الإسلام:

وأسلم لبيد رضي الله عنه وحسن إسلامه وكان من المؤلفة قلوبهم هو وعلقمة ابن علاثة قال ابن عبد البر: روى صاحب الأغاني بسنده إلى ابن الكلبي والأصمعي أنه قدم في وفد بني جعفر بن كلاب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد موت أخيه أربد فأسلم وحسن إسلامه وهاجر، وهذا يقتضي أن إسلامه قبل الفتح ونزل الكوفة في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وروى أن عمر رضي الله عنه كتب إلى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة أن استنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوا في الإسلام فأرسل إلى الأغلب الراجز العجلي فقال له أنشدني:

فقال:

أرجزاً تريد أم قصيداً لقد طلبت هيناً موجودا

ثم أرسل إلى لبيد فقال: أنشدني فقال: إن شئت ما عفى عنه يعني شعره في الجاهلية فقال: لا أنشدني ما قلت في الإسلام فانطلق فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها، وقال: أبدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر فكتب بذلك المغيرة إلى عمر فنقص من عطاء الأغلب خمسمائة وجعلها في عطاء لبيد فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة. ولما صار الأمر إلى معاوية أراد أن ينقص عطاءه فقال: هذان الفودان يعني الألفين فما بال العلاوة يعني الخمسمائة يريد أنه ترك عطاءه ألفين فقط، فقال لبيد: إنما أنا هامة اليوم أو غد فأعدني اسمها فلعلي لا أقبضها فرق له معاوية فترك عطاءه على حاله فمات لبيد ولم يقبضه.

جوده وكرمه

وكان لبيد من الأجواد المشهورين نذر في الجاهلية أن لا تهب الصَّبا إلا أطعم وكان له جفنتان يغدو بهما ويروح في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم، فهبت الصبا يوماً والوليد بن عقبة على الكوفة فصعد الوليد المنبر فخطب الناس ثم قال: إن أخاكم لبيداً قد نذر في الجاهلية أن لا تهب الصبا إلا أطعم وهذا اليوم من أيامه، وقد هبت الصبا فأعينوه وأنا أول من فعل ثم نزل عن المنبر فأرسل إليه مائة بكرة وكتب إليه بأبيات قالها وهي:

أرى الجزار يشحذ شفرتيه إذا هبت رياح أبي عقيل
أشم الأنف أصيد عامري طويل الباع كالسيف الصقيل
وفي ابن الجعفري بحلفتيه على العلات والمال القليل
بنحر الكوم إذ سحبت عليه ذيول صبا تجاوب بالأصيل

فلما أتاه الشعر وكان ترك قول الشعر قال لابنة له خماسية أجيبيه فلقد رأيتني وما أعيا بجواب شاعر فقالت:

إذا هبت رياح أبي عقيل ذكرنا عند هبتها الوليدا
أشم الأنف أصيد عبشمياً أعان على مروءته لبيدا

بأمثال الهضاب كأن ركباً عليها من بني حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيراً نحرناها فأطعمنا الثريدا
فعد إن الكريم له معاد وظني بابن أروى أن يعودا

فقال لها لبيد: أحسنت لولا أنك استزدتيه فقالت: والله ما استزدته إلا انه ملك ولو كان سوقة لم أفعل.

مدة عمره ووفاته:

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكان لبيد من المعمرين. روى أن الشعبي قال لعبد الملك بن مروان تعيش: يا أمير المؤمنين ما عاش لبيد بن ربيعة وذلك أنه لما بلغ سبعاً وسبعين سنة أنشأ يقول:

باتت تشكي إلى النفس مجهشة وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا
فإن تزادى ثلاثاً تبلغي أملاً وفي الثلاث وفاء للثمانينا

ثم عاش حتى بلغ تسعين سنة فأنشا يقول:

كأني وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عن منكبي ردائيا

ثم عاش حتى بلغ مائة حجة وعشراً فأنشأ يقول:

أليس في مائة قد عاشها رجل وفي تكامل عشر بعدها عمر

ثم عاش حتى بلغ مائة وعشرين سنة فأنشأ يقول:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

وقال الإمام مالك بن أنس: بلغني أن لبيداً مات وهو ابن مائة وأربعين سنة وقيل: إنه مات وهو ابن سبع وخمسين سنة ومائة، في أول خلافة معاوية. وقال ابن عفير: مات لبيد سنة إحدى وأربعين من الهجرة يوم دخل معاوية الكوفة ونزل بالنخيلة. وروي أن عائشة قالت: رويت للبيد اثني عشر ألف بيت.

وصيته :

وروي أنه لما حضرته الوفاة قال مخاطباً لابنتيه :

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
إذا حان يوماً أن يموت أبوكما فلا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذي ليس جاره مضاعاً ولا خان الصديق ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

روى أنها كانتا تذهبان إلى قبره كل يوم وتترحمان عليه وتبكيان من غير صياح ولا لطم ثم تمران بنادي بني كلاب تذكران مآثره وتنصرفان إلى أن تم الحول.

وقال لابن أخيه لما حضره الموت : إذا قبض أبوك فأقبله القبلة وسجه بثوبه ولا تصرخن عليه صارخة وانظر جفنتي اللتين كنت أصنعهما فأصنعهما ثم أحملها إلى المسجد فإذا سلم الإمام فقدمهما لهم فإذا طعموا فقل لهم فليحضروا جنازة أخيهم ففعل ذلك.

معلقة لبيد بن ربيعة

١ - عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا ... بِمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا
٢ - فَمَدَافِعُ الرَّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا ... خَلَقاً كَمَا ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلَامُهَا
٣ - دِمَنٌ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدِ أَنِيسِهَا ... حِجَجٌ خَلَوْنَ حَلَالُهَا وَحَرَامُهَا
٤ - رُزِقَتْ مَرَابِيعَ النُّجُومِ وَصَابَهَا ... وَدْقُ الرَّوَاعِدِ جَوْدُهَا فَرِهَامُهَا
٥ - مِنْ كُلِّ سَارِيَةٍ وَغَادٍ مُدْجِنٍ ... وَعَشِيَّةٍ مُتَجَاوِبٍ إِرْزَامُهَا

---

١ - عفت: درست وامحت. والمحل: المكان الذي يحل فيه. المقام: الإقامة. بمنى: اسم موضع. تأبد: توحش. الأوابد: الوحوش. غولها ورجامها: موضعان.

يقول: عفت ديار الأحباب وانمحت منازلهم ما كان منها للحلول دون الإقامة وما كان منها للإقامة، وهذه الديار كانت بالموضع المسمى منى، وقد توحشت الديار الغولية والرجامية منها لارتحال قطانها واحتمال سكانها.

٢ - المدافع: مجاري المياه، الأودية التي يتصل بعضها ببعض. الريان: واذ قيل جبل معروف. وعرّيَ: خلا. والوسم: الأثر. خلقاً: يريد متجرداً بعد جدته. والسّلام: الحجارة. والوحى: جمع وحي وهو الكتاب.

يصف أن هذه الديار بمنزلة كتاب في حجر، لأنه لا يتبين من بعيد لأن نقشه ليس بشيء مخالف للونه إنما يتبين إذا تقرّب منه ويستدل بعضه على بعض.

٣ - الدمن: جمع دمنة وهي الآثار. وتجرّم: تكمّل. وقيل تقطع؛ بعد عهد أنيسها: بعد نزول الأنيس فيها. والحجج: السنون واحدها حجة. حلالها: الشهور الحلال. حرامها: الشهر الحرم.

يقول: قد مضت بعد ارتحالهم عنها سنون بكمالها. هذا يؤكد محو آثارها.

٤ - المرابيع: واحدة مرباع وهو المطر الذي يكون في أول الربيع. صابها وأصابها واحد. الودق: المطر الداني من الأرض. الرواعد: السحائب ذوات الرعد. والجود: المطر الشديد الكثير. والرهام: جمع رهمة وهي المطرة اللينة. يصف أن الأمطار مالت على هذه الديار فعفت آثارها.

٥ - السارية: السحابة التي تمطر ليلاً. والغادي: ما أمطر غدوة. الدجن: من الإدجان إلباس الغيم السماء. أرزامها: واحدها رزمة وهو الصوت الشديد، وقيل: أصوات الرعد الذي فيها.

٦ - فَعَلا فُرُوعُ الأَيْهُقَانِ وَأَطْفَلَتْ ... بِالجَلْهَتَيْنِ ظِبَاؤُهَا وَنَعَامُهَا
٧ - والعَيْنُ سَاكِنَةٌ عَلَى أَطْلائِهَا ... عُوذاً تَأَجَّلُ بِالفَضَاءِ بِهَامُهَا
٨ - وَجَلا السُّيُولُ عنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا ... زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَهَا أَقْلامُهَا
٩ - أَوْ رَجْعُ وَاشِمَةٍ أُسِفَّ نَؤُورُهَا ... كِفَفاً تَعَرَّضَ فَوْقَهُنَّ وِشَامُهَا
١٠ - فَوَقَفْتُ أَسْأَلُهَا وَكَيْفَ سُؤَالُنَا ... صُمّاً خَوَالِدَ مَا يَبِينُ كَلامُهَا

---

٦ - فعلا: ارتفع. فروع: الأعالي. الأيهقان: الجرجير البري. أطفلت: صارت ذوات أطفال.

والمعنى: فعلت فروع هذا الضرب من النبت وأصبحت الظباء والنعام ذوات أطفال بجانبي هذه الديار.

٧ - والعين: البقر واحدتها عيناء. ساكنة: مطمئنة. أطلاؤها: أولادها الواحد طلا.

والعوذ: الحديثات النتاج. تأجّل: تصير آجلاً وهو القطيع من الظباء وربما استعمل في البقر. الفضاء: المتسع من الأرض. والبهام: جمع بهمة وهي الصغيرة من أولادها.

والمعنى: أنه يصف أن هذه الديار صارت مألفاً للوحوش لخلائها يؤكد طموس الآثار بها.

٨ - جلا: كشف. الطلول: ما شخص من آثار الديار. الزبر: الكتب. تُجِدُّ: تجدِّد. متونها: أوساطها.

والمعنى: أنه يصف أن هذا السيل، قد كشف عن بياض وسواد، فشبهه بكتاب قد تطمس فأعيد على بعضه، وترك ما تبين منه فكتابه مختلف، فكذلك آثار هذه الديار.

٩ - الرجع: ترديدها الوشم وهو أن تغرز المعصم ثم تذر عليه النؤور. أسفّ: سفي وذر عليه النؤور. والنؤور: الإثمد. والكفف الدّارات من الوشم: تعرّض: أقبل وأدبر. والوشام: جمع وشم.

ومعنى البيت: أنه يريد أن هذه الديار كذلك الكتاب أو كهذا الوشم الذي هذه صفته.

١٠ - الصم: الصخور الصلاب. وقيل: لا تفهم ما يقوله. وخوالد: بواق. أبان: أفصح.

ومعنى البيت: فوقفت أسأل الطلول عن سكانها وكيف سؤالنا حجارة صلاباً بواق لا يظهر كلامها.

١١ - عُرِيَتْ وَكَانَ بِهَا الجَمِيعُ فَأَبْكَرُوا   مِنْهَا وَغُودِرَ نُؤْيُهَا وَثُمَامُهَا
١٢ - شَاقَتْكَ ظُعْنُ الحَيِّ يَوْمَ تَحَمَّلُوا   فَتَكَنَّسُوا قُطُناً تَصِرُّ خِيَامُهَا
١٣ - مِنْ كُلِّ مَحْفُوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّهُ   زَوْجٌ عَلَيْهِ كِلَّةٌ وَقِرَامُهَا
١٤ - زُجَلاً كَأَنَّ نِعَاجَ تُوضِحَ فَوْقَهَا   وَظِبَاءَ وَجْرَةَ عُطَّفاً أَرْآمُهَا
١٥ - حُفِزَتْ وَزَايَلَهَا السَّرَابُ كَأَنَّهَا   أَجْزَاعُ بِيشَةَ أَثْلُهَا وَرِضَامُهَا

١١- عريت: خلت من أهلها. أبكروا: ارتحلوا منها بكرة ويقال: ارتحلوا في أول الزمان ومنه الباكورة. غودر: ترك وخلف. والنؤي: حاجز يجعل حول الخباء لئلا يصل السيل إليه. والثمام: نبت يجعل حول الخيمة أيضاً لمنع السيل، ويقي من الحر.

ومعنى البيت: أن أهل هذه الديار ارتحلوا عنها ولم يبق لهم أثر إلا ما وصف من النؤي والثمام..

١٢- شاقتك: دعتك إلى الشوق إليها. الظعن: النساء اللواتي في الهوادج. وتحملوا: ارتحلوا بأحمالهم. تكنسوا: دخلوا في الهوادج. شبهها بالكنس الواحد كناس وهو شيء يتخذه الظباء.

يقول: دعتك إلى الاشتياق والنزاع وحملتك عليهما نساء القبيلة حين دخلن هوادجهن جماعات في حال صرير خيامهن المحمولة أو دخلن هوادج غطيت بثياب القطن.

١٣- المحفوف: الهودج قد حف بالثياب. عصية: خشبة. والزوج: النمط. والكلة: الستر الرقيق. والقرام: الستر، وقيل: ثوب يجعل تحت الرجل والمرأة، يكون فوق الفراش وهذا أصحُّ ما قيل فيه.

١٤- الزجل: الجماعات والواحدة زجلة. والنعاج: بقر الوحش ولا يقال إلا للإناث منهن. توضح ووجرة: موضعان. عطف: ملتفتات. الأرآم: الظباء الخوالص البياض.

يقول: تحمّلوا جماعات كأن إناث بقر الوحش فوق الإبل، شبه النساء ببقر توضح وظباء وجرة في كحل أعينها.

١٥ - الحفز: الدفع. زايلها: حركها، وقيل فارقها. والجزع: جانب الوادي. بيشه: اسم موضع. الأثل: شجر. الرضام: جبال صغار.

ومعنى البيت: أن هذه الأجمال لما زايلها السراب بينت كأنها شجر قد ضربته الريح فهو يخفق أو كأنها جبال صغار.

١٦ - بَلْ ما تَذَكَّرُ مِنْ نُوارٍ وقد نأَتْ … وتقطَّعت أسبابُها ورمامُها
١٧ - مُرِّيَّةٌ حلَّتْ بفَيْدَ وجاوَرَتْ … أهلَ الحِجازِ فأَيْنَ منكَ مرامُها
١٨ - بمشارِقِ الجبلين أو بمُحَجَّرٍ … فتضمَّنَتْها فَرْدَةٌ فرُخامُها
١٩ - فصواعِقٌ إنْ أيمَنَتْ فمِظَنَّةٌ … مِنها وِحافُ القَهْرِ أو طِلخامُها
٢٠ - فاقطعْ لبانةَ من تعرَّضَ وصلُه … ولَخيرُ واصلِ خلَّةٍ صَرَّامُها
٢١ - واحْبُ المجامِلَ بالجزيلِ وصَرْمُه … باقٍ إذا ضَلَعَتْ وزاغَ قِوامُها
٢٢ - بِطَليحِ أسْفارٍ تَرَكْنَ بَقيَّةً … مِنها فأَحْنَقَ صُلْبُها وسَنامُها

---

١٦ - نوار: اسم امرأة. والنّوار: النّفور من الوحش. نأت: بعدت. أسبابها: حبالها يعني حبال المودة. والرمام: جمع رمة وهي قطعة من الحبل المخلقة.
والمعنى: ما تذكر من نوار وقد تقطع جديد وصلها وقديمه.

١٧ - حلّت: نزلت. وفيد: موضع بطريقة مكة. مرامها: مطلبها.
والمعنى: انها مريّة فليست من أهلك، وقد حلّت بفيد، وقد بعدت عنك، وجاورت أهل الحجاز وهم أعداؤك، فما طلبك منها.

١٨- الجبلان: جبلا طيء وهما: سلمى وأجا. ومحجّر: اسم موضع. وفردة: اسم موضع. ورخامها: موضع حواليها.
يقول: حلت نوار بمشارق أجا وسلمى، أي جوانبهما التي تلي المشرق، أو حلّت بمحجّر فتضمنتها فردة فالأرض المتصلة بها وهي رخام.

١٩ - فهذه المواضع يظن بها أنها فيها أي خليق بها أن تكون فيها.

٢٠ - اللبانة: الحاجة. تعرّض وصله: تغيّر وحال. والخلة: الصداقة. الصُرّام: القطاع، والصّرْم: القطيعة.
يقول: فإن كنت تحت مودة صديقك فلا تسأله حاجة.

٢١ - وأحبُّ المجامل: اخصّص بالعطاء. والمجامل: الذي يجاملك بإظهار المودة وسره على خلاف ذلك. ضلعت: جارت ومالت.
والمعنى: أخصص من يظهر لك جميلاً بأكثر مما يظهر لك، وقطيعته باقية إذا طلعت خلته ومال قوامها.

٢٢ - الطليح: المعيية وقيل: المهزولة. أحنق: أضمر. يقول: إذا زال قِوام خلته فأنت قادر على قطعه بركوب ناقة أعيتها الأسفار وتركت بقية من لحمها وقوتها مضمر صلبها وسنامها.

٢٣ - فَإذا تَغَالى لَحْمُها وَتَحَسَّرَتْ وَتَقَطَّعَتْ بَعْدَ الكَلالِ خِدامُها
٢٤ - فَلَها هِبَابٌ في الزِّمَامِ كَأنَّها صَهْبَاءُ رَاحَ مَعَ الجَنُوبِ جَهامُها
٢٥ - أوْ مُلْمِعٌ وَسَقَتْ لِأحْقَبَ لاحَهُ طَرْدُ الفُحولِ وضَرْبُها وكِدامُها
٢٦ - يَعْلُو بِها حَدَبَ الإكامِ مُسَحَّجاً قَدْ رَابَهُ عِصْيانُها وَوِحامُها
٢٧ - بِأحِزَّةِ الثَّلَبُوتِ يَرْبَأُ فَوْقَها قَفْرَ المَرَاقِبِ خَوْفُها آرَامُها
٢٨ - حَتَّى إذا سَلَخا جُمَادَى سِتَّةً جَزْءاً فَطالَ صِيامُهُ وَصِيامُها

---

٢٣ - تغالى: ارتفع. وقيل: ذهب لحمها. تحسرت: سقط وبرها، وقيل: صارت حسيراً. والخدام: جمع خدمه، وهي سيور تسد بها النعال إلى أرساغ الإبل. يقول: فإذا ارتفع لحمها إلى رؤوس عظامها وعريت عن اللحم وتقطعت السيور التي تشد بها نعالها إلى أرساغها بعد إعيائها.

٢٤ - الهباب: السرعة والنشاط. الصهباء: الحمراء يريد كأنها سحابة صهباء. والجهام: السحاب الذي قد هراق ماء.
ومعنى البيت: فلها في مثل هذا الحال نشاط في السير في حال قود زمامها فكأنها في سرعة سيرها سحابة حمراء قد ذهبت الجنوب بقطعها التي هراقت ماءها فانفردت عنها وتلك أسرع ذهاباً من غيرها.

٢٥ - الملمع: التي قد استبان حملها. وسقت: جمعت. والأحقب: الحمار الذي في وركيه بياض. لاحه: غيّره، الكدام: العض. ضربها: ضربها بأرجلها. إنها تشبه في شدة سيرها هذه السحابة أو هذه الأتان التي حملت تولباً لمثل هذا الفحل الشديد الغيرة عليها فهو يسوقها سوقاً عنيفاً.

٢٦ - الحدب: ما ارتفع من الأرض. الأكام: الجبال الصغار. المسحّج: المعضّض. الوحام: الشهوة.
يقول: يعلي هذا الفحل الأتان الإكام إتعاباً لها وإبعاداً عن الفحول وقد شككه في أمرها عصيانها إياه في حال حملها واشتهائها إياه قبله.

٢٧ - الأحزّة: جمع حزيز. وهو ما غلظ من الأرض. الثلبوت: ماء لبني ذبيان. يربأ: يعلو ويشرف. المراقب: مواضع مشرفة ينظر منها من يمر بالطريق. والأرام: حجارة تجعل أعلاماً ليعرف بها الطريق إلى الجبل.

٢٨ - جزأ الوحش يجزأ جزءاً: اكتفى بالرطب عن الماء.
يقول: أقاما بالثلبوت حتى مرّ عليهما الشتاء ستة أشهر وجاء الربيع فاكتفيا بالرطب وطال إمساك العير وإمساك الأتان عنه.

٢٩ - رَجَعا بأمرِهما إلى ذي مِرَّةٍ ... حَصِدٍ ونُجْحُ صَرِيمَةٍ إبْرامُها
٣٠ - وَرَمَى دَوابِرَها السَّفا وَتَهَيَّجَتْ ... رِيحُ المَصايِفِ سَوْمُها وَسِهامُها
٣١ - فَتَنازَعا سَبِطاً يَطِيرُ ظِلالُهُ ... كَدُخانِ مُشْعَلَةٍ يُشَبُّ ضِرامُها
٣٢ - مَشْمُولَةٍ غُلِثَتْ بِنابِتِ عَرْفَجٍ ... كَدُخانِ نارٍ ساطِعٍ أسْنامُها
٣٣ - فَمَضَى وَقَدَّمَها وَكانَتْ عادَةً ... مِنْهُ إذا هِيَ عَرَّدَتْ إقْدامُها
٣٤ - فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِيِّ وَصَدَّعا ... مَسْجُورَةً مُتَجاوِراً قُلّامُها
٣٥ - مَحْفُوفَةً وَسْطَ اليَراعِ يُظِلُّها ... مِنْها مُصَرَّعُ غابَةٍ وَقِيامُها

---

٢٩ - المِرَّة: القوة. والحصد: المحكم. والصريمة: العزيمة. والابرام: الاحكام.
يقول: أسند العير والأتان أمرهما إلى عزم أو رأي محكم ذي قوة ونجاح الأمر في إبرامه.

٣٠ - الدوابر: مآخير الحوافر واحدتها دابرة. السفا: شوك البهمى. المصايف: جمع المصيف. السوم: المرور. السهام: شدة الحر.
يقول: وأصاب شوك البهمى مآخير حوافرها، وتحرك ريح الصيف مرورها وشدة حرها.

٣١ - أي فتنازع العير والأتان غباراً ممتداً ومشعلة نار قد اشتعلت. يشب: يوقد. والضرام: ما دق من الحطب. يصف سرعة ناقته حتى شبهها بهذا الحمار الذي يطلب الأتان وهي تهرب منه وقد أثار غباراً ممتداً يطير ظلاله.

٣٢ - مشمولة: هَبَّتْ عليها ريح الشمال. ويقال: مخلوطة. غلثت: خلطت. العرفج: نبت كثير الشوك وله دخان كثير. وأسنامها: أشرافها.
شبه الغبار الساطع من قوائم العير والأتان بنار أوقدت بحطب يابس تسرع فيه النار وحطب غض، وجعلها كذلك ليكون دخانها أكثف فيشبه الغبار الكثيف.

٣٣ - يقول: مضى الحمار وقدّم الأتان لكي لا تعند عليه. وعردت: تركت الطريق وعدلت عنه.

٣٤ - العرض: الناحية. السّري: النهر. صدّعا: شقّا وقيل: وافقا قصدا، والمسجورة: المملوءة. المتجاور: المتقارب. والقلّام: ضرب من النبت.
يقول: إنهما قد وردا عيناً مملوءة قد خلا فيها من عرض نهرها وقد تجاور نبتها.

٣٥ - المحفف: الذي قد حفف بالنبات. اليراع: القصب. والمصرع: المائل. الغابة: الأجمة.

٣٦ ـ أَفَتِلْكَ أَمْ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ ... خَذَلَتْ وَهَادِيَةُ الصِّوَارِ قِوَامُهَا
٣٧ ـ خَنْسَاءُ ضَيَّعَتِ الفَرِيرَ فَلَمْ يَرِمْ ... عُرْضَ الشَّقَائِقِ طَوْفُهَا وَبُغَامُهَا
٣٨ ـ لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَهُ ... غُبْسٌ كَوَاسِبُ مَا يُمَنُّ طَعَامُهَا
٣٩ ـ صَادَفْنَ مِنْهَا غِرَّةً فَأَصَبْنَهَا ... إِنَّ المَنَايَا لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا
٤٠ ـ بَاتَتْ وَأَسْبَلَ وَاكِفٌ مِنْ دِيمَةٍ ... يُرْوِي الخَمَائِلَ دَائِماً تَسْجَامُهَا
٤١ ـ تَجْتَافُ أَصْلاً قَالِصاً مُتَنَبِّذاً ... بِعُجُوبِ أَنْقَاءٍ يَمِيلُ هَيَامُهَا

والمعنى: أن الحمار والأتان انتهيا من عَدْوهما إلى موضع يشربان به الماء.

٣٦ ـ أفتلك الأتان تشبه ناقتي، أم بقرة وحشية قد افترس السبع ولدها حين خذلته وذهبت ترعى مع صواحبها وقوام أمرها الفحل الذي يتقدم القطيع من بقر الوحش وتخلفت في طلب ولدها.

٣٧ ـ خنساء: يعني البقرة. والخنس: تأخر الأنف في الوجه وقصره. الفرير: ولد البقرة.

الشقائق: جمع شقيقه وهي أرض غليظة بين رملتين. وطوفها: ذهابها ومجيئها. بغامها: صوتها.

يقول: إن هذه البقرة لا تبرح هذه الرملة تطلب ولدها لأن في هذه الرملة نباتاً فهي تصيح لولدها.

٣٨ـ المعفر: الذي قد سحب في العفر وهو التراب. القهد: الأبيض وقيل: ما خالط بياضه صفرة أو حمرة. تنازع: تعاطى. الشلو: بقية الجلد. والغبس: الذئاب والغبسة: لون فيه شبيه بالغبرة. كواسب: تكسب الصيد.

يقول: إنها تجدُّ في الطلب لأجل فقدها ولداً قد ألقي على أديم الأرض وافترسته كلاب أو ذئاب صوائد قد اعتادت الاصطياد دون انقطاع.

٣٩ ـ إن الذئاب صادفن من البقرة غرة فأصبنها بولدها. لا تطيش: لا تخطىء.

٤٠ ـ أسبل: سال. والواكف: القطر. والديمة: المطر الدائم. والخمائل: جمع خميلة وهي الرملة التي قد غطاها النبت كأنه أخملها. والتسجام: المطر.

يقول: باتت البقرة بعد فقدها ولدها وقد أسبل مطر واكف من مطر دائم يروي الرمال المنبتة والأرضين التي بها أشجار في حال دوام سكبها الماء، أي باتت في مطر دائم الهطلان.

٤١ ـ تجتاف: تدخل في جوفه. والقالص: المرتفع الفروع وقيل ناحية. المتنبذ: المتنحي. والعجوب: جمع عجب وهو أصل الذنب. أنقاء: جمع نقاً وهو الكثيب من الرمل

٤٢ - يَعْلُو طَرِيقَةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِراً ... فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا

٤٣ - وَتُضِيءُ فِي وَجْهِ الظَّلامِ مُنِيرَةً ... كَجُمَانَةِ البَحْرِيِّ سُلَّ نِظَامُهَا

٤٤ - حَتَّى إِذَا انْحَسَرَ الظَّلامُ وَأَسْفَرَتْ ... بَكَرَتْ تَزِلُّ عَنِ الثَّرى أَزْلامُهَا

٤٥ - عَلِهَتْ تَبَلَّدُ فِي نِهَاءِ صُعَائِدٍ ... سَبْعاً تُؤَاماً كَامِلاً أَيَّامُهَا

٤٦ - حَتَّى إِذَا يَئِسَتْ وَأَسْحَقَ حَالِقٌ ... لَمْ يُبْلِهِ إِرْضَاعُهَا وَفِطَامُهَا

٤٧ - وَتَسَمَّعَتْ رِزَّ الأَنِيسِ فَرَاعَهَا ... عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ وَالأَنِيسُ سَقَامُهَا

الذي لم يخالطه غيره. والهيام: الرمل اللين.

والمعنى: أنها متنحية عن معظم الشجر متنحية عن الطريق لتأمن وتستتر من البرد والمطر بأغصان الشجر ولا تقيها البرد والمطر لتقلصها وتنهال كثبان الرمل عليها مع ذلك.

٤٢- يعلو طريقة متن هذه البقرة مطر متتابع في ليلة مظلمة وقد غطى السحاب فيها النجوم.

٤٣- البقرة تضيء من شدة بياضها. ووجه الظلام: أوله. وهي قلقة كاللؤلؤة إذا سُلَّ خيطها فسقطت.

٤٤ - حتى إذا انكشف وانجلى ظلام الليل وأضاء بكرت البقرة من مأواها فتزل قدمها عن التراب الندي لكثرة المطر الذي أصابه ليلاً.

٤٥ - علهت: اشتد جزعها. تبلّد: تحيَّر. والنهاء: جمع نهي وهو الغدير. وصعائد: اسم موضع.

يقول: أسرعت في الجزع وترددت متحيرة في وهاد هذا الموضع ومواضع غدرانه سبع ليال وقد كملت أيام تلك الليالي، أي ترددت في طلب ولدها سبع ليال بأيامها كاملة.

٤٦ - أسحق: أخلق. الحالق: الممتلىء لبناً.

يقول: حتى إذا يئست البقرة من ولدها وصار ضرعها الممتلىء لبناً خلقاً لانقطاع لبنها، ولم يبل ضرعها ارضاعها ولدها ولا فطامها إياه وإنما أبلاه فقدها إياه.

٤٧ - الرزّ: الصوت الخفي.

يقول: فتسمعت البقرة صوت الناس فأفزعها ذلك وإنما سمعته عن ظهر غيب (أي لم تر الأنيس) ثم قال: والناس سقام البقرة وداؤها لأنهم يصيدونها.

٤٨ ـ فَعَدَتْ كِلا الفَرْجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ مَـوْلَى المَخَـافَـةِ خَلْفُهـا وَأَمـامُهـا
٤٩ ـ حَتَّى إذا يَئِسَ الـرُّمَـاةُ وَأَرْسَلُوا غُضُفـاً دَوَاجِنَ قَـافِـلاً أَعْصَـامُهـا
٥٠ ـ فَلَحِقْنَ واعْتَكَـرَتْ لَهَا مَـدْرِيَّةٌ كَـالسَّمْهَـرِيَّـةِ حَـدُّهَـا وَتَمَـامُهـا
٥١ ـ لِتَـذُودَهُنَّ وَأَيْقَنَتْ إِنْ لَمْ تَـذُدْ أَنْ قَـدْ أَحَمَّ مِنَ الحُتُـوفِ حِمَامُهـا
٥٢ ـ فَتَقَصَّدَتْ مِنْهَا كَسَابِ وَضُرِّجَتْ بِـدَمٍ وَغُـودِرَ فِي المَكَـرِّ سُخَامُهـا
٥٣ ـ فَبِتِلْكَ إِذْ رَقَصَ اللَّوامِعُ بِالضُّحَى واجْتَـابَ أَرْدِيَـةَ الـسَّـرابِ إِكَـامُهـا

---

٤٨ ـ الفرج: موضع المخافة، والفرج ما بين قوائم الدواب.
يقـول: فقدت البقـرة وهي تحسب أن كـلا فـرجيهـا مـولى المخـافـة، أي مـوضعهـا وصاحبها. وأنها لم تقف على أن صاحب الصوت خلفها أم أمامها فغدت مذعـورة لا تعرف منجاها من مهلكها.

٤٩ ـ الغضف من الكـلاب: المسترخيـة الآذان. الدواجن: المعلَّمـات. القفول: اليبس. أعصامها: بطونها.
يقـول: حتى إذا يئس الرمـاة من البقرة وعلمـوا أن سهامهم لا تنالها وأرسلوا كـلاباً مسترخية الآذان معلَّمة ضوامر البطون أو يابسة السواجير.

٥٠ ـ فلحقت الكـلاب هـذه البقرة فـرجعت هـذه البقـرة عليهن تـطعنهن. واعتكـرت: رجعت. والمدريَّة: القرون الحادة. السمهرية: الرِّماح. تمامها: طولها.

٥١ ـ لتذودهن: لتطردهن. أحمَّ: دنا وحضر. والحمام: الموت. الحتف: قضاء الموت.
يقول: عطفت البقـرة وكرَّت لتـرد وتطرد عن نفسهـا وأيقنت أنها إن لم تذدهـا قتلتها الكلاب.

٥٢ ـ تقصَّد: قتل. كساب: اسم كلبة وكذلك سخام.
يقـول: فقتلت البقرة كسـاب من جملة الكلاب فحمَّرتها بـالدم وتـركت سخـامـاً في موضع كرها صريعة (أي قتلت هاتين الكلبتين) التضريج: التحمير بـالدم. والمكَرِّ: موضع كرها.

٥٣ ـ رقص: اضطرب. اللوامع: الأرضون التي تلمع بالسراب وقيل: السراب. اجتاب: لبس. والإكام: الجبال الصغار.
يقـول: فبتلك الناقة التي أشبهت البقرة والأتـان أقضي حوائجي في الهـواجر ورقص لوامع السراب ولبس الإكام أرديته كناية عن احتدام الهواجر.

٥٤ - أَقْضِي اللُّبَانَـةَ لا أُفَـرِّطُ رِيبَـةً ... أَوْ أَنْ يَـلُومَ بِحَـاجَـةٍ لُـوَّامُـهـا

٥٥ - أَوَ لَمْ تَكُنْ تَـدْرِي نَـوَارُ بِـأَنَّنِي ... وَصَّـالُ عَقْـدِ حَبَـائِـلٍ جَـذَّامُـهـا

٥٦ - تَـرَّاكُ أَمْكِـنَـةٍ إِذَا لَمْ أَرْضَـهـا ... أَوْ يَـرْتَبِطْ بَعْضَ النُّفُـوسِ حِـمَامُـهـا

٥٧ - بَـلْ أَنْتِ لا تَـدْرِينَ كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ ... طَـلْقٍ لَـذِيـذٍ لَهْـوُهَـا وَنِـدَامُـهـا

٥٨ - قَدْ بِتُّ سَامِرَهَا وَغَايَةِ تَاجِرٍ ... وَافَيْتُ إِذْ رُفِعَتْ وَعَزَّ مُدَامُهـا

٥٩ - أُغْـلِي السِّبَاءَ بِكُـلِّ أَدْكَنَ عَاتِقٍ ... أَوْ جَـوْنَـةٍ قُـدِحَتْ وَفُضَّ خِتَـامُـهـا

٦٠ - بِصَبُوحِ صَافِيَةٍ وَجَذْبِ كَرِينَةٍ ... بِمُـوَتَّـرٍ تَـأْتَـالُـهُ إِبْهَـامُـهـا

---

٥٤ - اللبانة: الحاجة. التفريط: التضييع. الريبة: التهمة. واللوام مبالغة اللائم.
يقول: بركوب هذه الناقة وإتعابها في حرّ الهواجر أقضي وطري ولا أفرّط في طلب بغيتي ولا أدع ريبة أن يلومني لائم.

٥٥ - نوار: اسم امرأة. الحبائل: جمع حبالة وهي مستعارة للعهد والمودة. والجذّام: القطّاع.

٥٦ - أترك الأمكنة إذا رأيت فيها ما يُكره إلا أن يدركني الموت فيحبسني.

٥٧ - ليلة طلق وطلقة: إذا لم يكن فيها حرّ يؤذي ولا برد.
يقول: أنت يا نوار لا تعلمين كم من ليلة ساكنة غير مؤذية بحر ولا برد لـذيذة اللهو والمنادمة.

٥٨ - سامرها: من السمر وهو حديث الليل. وغاية تاجر: الراية التي ينصبها ليعرف موضعه. وعزّ مدامها: عزّت الخمر ونفقت لكثرة من يشتريها من هذا الخمار.
قد بتّ محدث تلك الليلة، أي كنت سامر ندمائي فيها، وربّ راية خمار أتيتها حين رفعت ونصبت وغلت خمرها وقلّ وجودها.

٥٩ - أغلي: اشتري غالياً. والسِّباء: اشتراء الخمر. الأدكن: الزق الأغبر. العاتق: الخالصة. وقيل: التي عتقت. الجونة: الخابية. قدحت: مزجت. فضّ: كسر.
يقول: أشتري الخمر غالية السعر باشتراء كل زق أدكن أو خابية سوداء قد فضّ ختامها واغترف منها.

٦٠ - الصبوح: شرب الغداة. كرينة: المغنية. تأتاله: تعالجه. الموتر: العود له أوتار.
يقول: كم من صبوح من خمر صافية فيه استمتعت بها باصطحابها وضرب عوّاده عودها استمتعت بالإصغاء إلى أغانيها.

٦١ ـ باكَرْتُ حَاجَتَها الدَّجاجَ بِسُحْرَةٍ لأَعَلَّ مِنها حِينَ هَبَّ نِيَامُها
٦٢ ـ وَغَداةِ ريحٍ قَدْ وَزَعْتُ وَقِرَّةٍ إذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمالِ زِمَامُها
٦٣ ـ وَلَقَدْ حَمَيْتُ الحَيَّ تَحْمِلُ شِكَّتي فُرُطٌ وِشَاحِي إذْ غَدَوْتُ لِجامُها
٦٤ ـ فَعَلَوْتُ مُرْتَقِباً عَلى مَرْهُوبَةٍ حَرِجٍ إلى أَعْلامِهِنَّ قَتامُها
٦٥ ـ حتَّى إذا أَلْقَتْ يَداً في كافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْراتِ الثُّغُورِ ظَلامُها
٦٦ ـ أَسْهَلْتُ وانْتَصَبَتْ كَجِذْعِ مُنِيفَةٍ جَرْداءَ يَحْصَرُ دُونَها جُرّامُها
٦٧ ـ رَفَّعْتُها طَرْدَ النَّعامِ وَفَوْقَهُ حتَّى إذا سَخِنَتْ وَخَفَّ عِظامُها

---

٦١ ـ باكرت صياح الديك لأسقى من الخمر سقياً متتابعاً.
٦٢ ـ وزعت: كففت. والقِرّة: البرد. والمعنى: أنه إذا اشتد البرد، كففته بإطعام الطعام وايقاد النيران.
٦٣ـ حميت الحي: منعتها من أن تصاب. الشوكة: السلاح. الفرط: المتقدم. يقول: ولقد حميت قبيلتي وأنا على فرس أتوشح بلجامها إذا نزلت لأكون متهيئاً لركوبها.
٦٤ـ المرتقب: الموضع الذي يرتقب فيه. الهبوة: الغبرة. ويروى على مرهوبة. المخوفة. الحرج: الضيق. وعورته: أشدّه مخافة.
يقول: حتى ربأت لهم على جبل قريب من جبال الأعداء ومن راياتهم.
٦٥ـ الكافر: الليل، سمي به لكفره الأشياء أي لستره، والكفر: الستر. والأجنان: الستر أيضاً. الثغر: موضع المخافة. وعورته: أشدّه مخافة.
يقول: حتى إذا غربت الشمس وأظلم الليل وستر مواضع المخافة.
٦٦ـ أسهل: أتى السهل من الأرض. المنيفة: العالية الطويلة. الجرداء: القليلة السعف والليف. الحصر: ضيق الصدر. الجرّام: الصرّام.
والمعنى: أني أحرس أصحابي نهاراً على هذا المرتقب، فإذا جاء الليل أسهلت بفرسي وهي منتصبة بعد الكلال والتعب كجذع هذه النخلة المشرفة.
٦٧ ـ رفعتها: طرّدتها طرداً مثل طرد النعام.
يقول: حملت فرسي وكلفتها عدوا مثل عدو النعام يصلح لاصطياد النعام حتى إذا جدّت في الجري وخف عظامها في السير.

٦٨ - قَلِقَتْ رِحَالَتُها وَأَسْبَلَ نَحْرُها ... وَابْتَلَّ مِنْ زَبَدِ الحَمِيمِ حِزامُها
٦٩ - تَرْقَى وَتَطْعَنُ في العِنَانِ وَتَنْتَحِي ... وِرْدَ الحَمَامَةِ إِذْ أَجَدَّ حَمامُها
٧٠ - وَكَثِيرَةٍ غُرَبَاؤُهَا مَجْهُولَةٍ ... تُرْجَى نَوافِلُها وَيُخْشَى ذَامُها
٧١ - غُلْبٍ تَشَذَّرُ بِالذُّحولِ كأنَّها ... جِنُّ البَدِيِّ رَوَاسِياً أقْدامُها
٧٢ - أَنْكَرْتُ باطِلَها وَبُؤْتُ بِحَقِّها ... عِنْدِي وَلَمْ يَفْخَرْ عَلَيَّ كِرامُها
٧٣ - وَجَزُورِ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ إلى النَّدَى ... بِمَغالِقٍ مُتَشابِهٍ أَجْسامُها
٧٤ - أَدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِرٍ أَوْ مُطْفِلٍ ... بُذِلَتْ لِجِيرانِ الجَمِيعِ لِحامُها

---

٦٨ - القلق: سرعة الحركة. أسبل: سالم. الحميم: العرق وأيضاً الماء الحار.
يقول: اضطربت رحالتها على ظهرها من إسراعها في عدوها وسال نحرها عرقاً وابتلّ حزامها منه.

٦٩ - ترقى: ترفع رأسها. الانتحاء: الاعتماد. الحمام: القطا. ومعنى البيت: أن فرسه يسرع هذه السرعة كما تسرع القطاة إلى شرب الماء وهي في إثر قطا.

٧٠- الذيم والذام: العيب. يقول: ربَّ دار كثرت غاشيتها ولا يعرف بعضهم بعضاً ترجى عطاياها ويخشى عيبها.

٧١ - الغلب: الغلاظ الأعناق. التشذر: التهديد. الذحول: الأحقاد. البدي: موضع الرواسي: الثوابت. هم رجال غلاظ الأعناق كالأسود، أي خلقوا خلقة الأسود، يهدد بعضهم بعضاً بسبب الأحقاد التي بينهم ثم شبههم بجن البدي في ثباتهم في الخصام والجدال.

٧٢- باء بكذا: أقرَّ به. يقول: انكرت باطل دعاوى تلك الرحال الغلب، وأقررت بما كان حقاً منها عندي ولم يغلبني بالفخر كرامها.

٧٣- الجزور: الناقة تشترى للذبح. الأيسار: جمع يسر وهو الذي يضرب بالقداح. والمغالق: القداح التي يضرب بها. الواحد مغلق ومغلاق.
يقول: وربَّ جزور أصحاب ميسر دعوت ندمائي لنحرها وعقرها بأزلام متشابهة الأجسام.

٧٤ - العاقر: التي لا تلد. المطفل: التي معها ولدها. اللحام: جمع لحم.
يقول: أدعو بالقداح لنحر ناقة عاقر أو ناقة مطفل تبذل لحومها لجميع الجيران.

٧٥ - فالضيفُ والجارُ الجَنِيبُ كأنَّما هَبَطا تَبَالَةَ مُخْصِباً أهضامُها
٧٦ - تأوي إلى الأطْنابِ كُلُّ رَذيّةٍ مِثْلِ البَلِيَّةِ قالصٍ أهدامُها
٧٧ - وَيُكَلِّلونَ إذا الرِّياحُ تناوَحَتْ خُلُجاً تُمَدُّ شَوارِعاً أيتامُها

٧٨ - إنّا إذَا التقَتِ المَجامِعُ لَمْ يَزَلْ مِنّا لِزازُ عَظِيمَةٍ جَشّامُها
٧٩ - وَمُقَسِّمٌ يُعْطِي العَشِيرَةَ حَقَّها وَمُغَذْمِرٌ لحقوقِها هضّامُها
٨٠ - فَضْلاً وَذُو كَرَمٍ يُعِينُ على النَّدى سَمْحٌ كَسُوبُ رَغائِبٍ غَنّامُها
٨١ - مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آباؤُهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإمامُها

٧٥- الضيف: النازل غير المقيم. والجار الجنيب: القريب. تبالة: اسم موضع. والأهضام: ما تطامن من الأرض.
ومعنى البيت: أن جاره وضيفه بمنزلة من نزل تبالة من الخصب والسعة.

٧٦ - تأوي: تنضم. والرذيّة: الناقة المهزولة. والبليّة: التامة التي تربط عند قبر صاحبها حتى تموت. قالص: مرتفع مشمر. الأهدام: جمع هدم وهو الثوب الخلق.
المعنى: إن أطنابه وهي حبال الخيام يأوي إليها الفقراء والأرامل لأنه يطعمهم ويعطيهم.

٧٧ - أي يكللون الجفان باللحم بعضها فوق بعض. تناوحت: تقابلت. تمد: تزاد.
ومعنى البيت: أنهم يطعمون الطعام في الشتاء ووقت الجهد.

٧٨- إذا اجتمعت جماعات القبائل فلم يزل يسودهم رجل منا يقمع الخصوم عند الجدال ويتجشم عظائم الأمور.

٧٩ - ومنا مقسم يقسم بالعدل وبغيره. المغذمر: الذي يضرب بعض حقوق الناس ببعض، فيأخذ من هذا ويعطي هذا. والهضّام: النقّاص.
والمعنى: أن السيد منا يوفر حقوق عشيرته بالهضم من حقوق نفسه.

٨٠- الرغائب: جمع الرغيبة وهو ما رغب فيه من علق نفيس أو خصلة شريفة. الغنّام: مبالغة الغانم.
يقول: يفعل ذلك تفضلاً ولم يزل منا كريم يعين أصحابه على الكرم، أي يعطيهم ما يعطون، جواد يكسب رغائب المعالي ويغتنمها.

٨١- يقول: هو من قوم سنت لهم أسلافهم كسب رغائب المعالي واغتنامها، ولكل قوم سنة وإمام سنة يؤتم به فيها.

٨٢ - لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يَبُورُ فَعَالُهُمْ إِذْ لَا تَمِيلُ مَعَ الهَوى أَحْلَامُهَا

٨٤ - فَبَنَوا لَنَا بَيْتاً رَفِيعاً سَمْكُهُ فَسَمَا إِلَيْهِ كَهْلُهَا وَغُلَامُهَا

٨٥ - فَاقْنَعْ بِمَا قَسَمَ المَلِيكُ فَإِنَّمَا قَسَمَ الخَلَائِقَ بَيْنَنَا عَلَّامُهَا

٨٦ - وَإِذَا الأَمَانَةُ قُسِّمَتْ فِي مَعْشَرٍ أَوْفَى بِأَفْضَلِ حَظِّنَا قَسَّامُهَا

٨٧ - وَهُمُ السُّعَاةُ إِذَا العَشِيرَةُ أُفْظِعَتْ وَهُمُ فَوَارِسُهَا وَهُمْ حُكَّامُهَا

٨٨ - وَهُمُ رَبِيعٌ لِلْمُجَاوِرِ فِيهِمُ وَالْمُرْمِلَاتِ إِذَا تَطَاوَلَ عَامُهَا

٨٩ - وَهُمُ العَشِيرَةُ أَنْ يُبَطِّئَ حَاسِدٌ أَوْ أَنْ يَلُومَ مَعَ العِدَى لُوَّامُهَا

---

٨٢ - لا يطبعون: لا تتدنس أعراضهم. البوار: الفساد والهلاك.
يقول: إننا لا نميل مع هوانا وإن عقولنا تغلب هوانا. فلا تدنس أعراضهم بعار ولا تفسد أفعالهم.

٨٤ - بنى الله تعالى لنا بيت شرف ومجد عالي السقف فارتفع إلى ذلك الشرف كهل العشيرة وغلامها، وقيل: بنى لنا سيدنا بيت مجد وشرف.

٨٥ - فاقنع أيها العدو بما قسم الله تعالى فإن قسام المعايش والخلائق علّامها: يريد أن الله تعالى قسم لكل ما استحقه من كمال ونقص ورفعة وصفة.

٨٦ - وإذا قسمت الأمانة بين أقوام كان نصيبنا الأكثر منها يريد أنهم أوفى الأقوام أمانة.

٨٧ - أي أنهم السعاة في صلاح الحي من الديات وغيرها وهم فوارسها الذين يمنعونها وحكامها الذين يرجع إلى رأيهم ويقبل قولهم ولا يرد فيما أصدروه.

٨٨- أي هم بمنزلة الربيع في الخصب لمن جاورهم والمرملات اللواتي لا أزواد لهن واللواتي قد مات أزواجهن.

٨٩- أنهم يتوافقون ويتعاضدون كراهية أن يبطيء الحساد بعضهم عن نصر بعض وميل لئامهم إلى الأعداء أو مظاهرتهم إياهم على الأقارب.

الحارث بن حِلِّزة

مات سنة ٥٢ قبل الهجرة ٥٧٠ للميلاد

نسبه وخبر ولادته:

وهو الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد بن عبدالله بن مالك بن عبيد ابن جسم بن عاصم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمى بن جدلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، وحلزة بكسر الحاء المهملة وكسر اللام المشددة، وهو في اللغة اسم دويبة واسم البومة والذكر بدون هاء ويقال امرأة حلزة للقصيرة والبخيلة والحلز السيء الخلق، وقال قطرب: حكي لنا أن الحلزة ضرب من النبات ولم نسمع فيه غير ذلك.

طبقته في الشعراء وحديثه مع عمرو بن هند:

قال أبو عبيدة: أجود الشعراء قصيدة واحدة جيدة طويلة ثلاثة نفر: عمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة، وطرفة بن العبد. وزعم الأصمعي أن الحارث قال قصيدته هذه وهو ابن مائة وخمس وثلاثين سنة. وكان من حديثه أن عمرو بن هند لما ملك الحيرة وكان جباراً جمع بكراً وتغلب فأصلح بينهم وأخذ من الحيين رهناً من كل حي مائة غلام ليكف بعضهم عن بعض، وكان أولئك الرهن يسيرون ويغزون مع الملك فأصابتهم سموم في بعض مسيرهم فهلك عامة التغلبيين وسلم البكريون فقالت تغلب لبكر بن وائل: أعطونا ديات أبنائنا فإن ذلك لازم لكم، فأبت بكر فاجتمعت تغلب إلى عمرو بن كلثوم فقال عمرو

ابن كلثوم: بمن ترون بكراً تعصب أمرها؟ قالوا: بمن عسى إلا برجل من بني ثعلبة. قال عمرو: أرى الأمر والله سينجلي عن أحمر أصلع أصم من بني يشكر فجاءت بكر بالنعمان بن هرم: أحد بني ثعلبة بن غانم بن يشكر وجاءت تغلب بعمرو بن كلثوم،فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنعمان بن هرم:يا أصم جاءت بك أولاد ثعلبة تناضل عنهم، وقد يفخرون عليك فقال النعمان: وعلى من أظلت السماء يفخرون؟ قال عمرو بن كلثوم: والله إني لو لطمتك لطمة ما أخذوا لك بها. قال: والله إن لو فعلت ما أفلت بها قيس أير أبيك. فغضب عمرو ابن هند غضباً شديداً. وكان يؤثر بني تغلب على بكر، فقال: يا حارثة أعطه لحياً بلسان أنثى أي شبيه بلسانك فقال: أيها الملك أعط ذلك لأحب أهلك إليك فقال: يا نعمان أيسرك أني أبوك، قال: لا، ولكن وددت أنك أمي فغضب عمرو ابن هند غضباً شديداً حتى هم بالنعمان.وقام الحارث بن حلزة فارتجل معلقته هذه ارتجالاً وتوكأ على قوسه وأنشدها واقتطم كفه وهو لا يشعر من الغضب حتى فرغ منها.

قال ابن الكلبي: أنشد الحارث بن عمرو بن هند هذه القصيدة، وكان به وضح فقيل لعمرو بن هند: إن به وضحاً فأمر أن يجعل بينه وبينه ستر، فلما تكلم أعجب بمنطقه فلم يزل عمرو يقول: أدنوه أدنوه حتى أمر بوضع الستر وأقعده معه ثم أطعمه من جفنته وأمر ألا ينضح أثره بالماء، ثم جز نواصي السبعين رجلاً الذين كانوا رهناً في يده من بكر ودفعهم إلى الحارث ثم أمره أن لا ينشد قصيدته إلا متوضئاً ولم تزل تلك النواصي في بني بكر يفتخرون بها وبشاعرهم.

وضرب بالحارث المثل في الفخر فقيل: أفخر من الحارث بن حلزة وكان أبو عمرو الشيباني يعجب لارتجال هذه القصيدة في موقف واحد ويقول لو قالها في حول لم يلم، وقد جمع فيها ذكر عدة من أيام العرب غير بعضها بني تغلب تصريحاً وعرض ببعضها لعمرو بن هند وعاش بعد ذلك مدة.وهو معدود من المعمرين ومات وله من السنين مائة وخمسون سنة.

معلقة الحارث بن حلزة اليشكري

١ - آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ
٢ - بَعْدَ عَهْدٍ لَنَا بِبُرْقَةِ شَمَّا ءَ وَأَدْنَى دِيَارِهَا الْخَلْصَاءُ
٣ - فَالْمُحَيَّا فَالصِّفَاحُ فَأَعْنَا قُ فِتَاقٍ فَعَاذِبٌ فَالْوَفَاءُ
٤ - فَرِيَاضُ الْقَطَا فَأَوْدِيَةُ الشُّرْ بُبِ فَالشُّعْبَتَانِ فَالْأَبْلَاءُ
٥ - لَا أَرَى مَنْ عَهِدْتُ فِيهَا فَأَبْكِي الْـ يَوْمَ دَلْهاً وَمَا يَرُدُّ الْبُكَاءُ
٦ - وَبِعَيْنَيْكَ أَوْقَدَتْ هِنْدُ النَّا رَ أَصِيلًا تُلْوِي بِهَا الْعَلْيَاءُ
٧ - أَوْقَدَتْهَا بَيْنَ الْعَقِيقِ فَشَخْصَيْـ ـنِ بِعُودٍ كَمَا يَلُوحُ الضِّيَاءُ
٨ - فَتَنَوَّرْتُ نَارَهَا مِنْ بَعِيدٍ بِخَزَازَى هَيْهَاتَ مِنْكَ الصِّلَاءُ
٩ - غَيْرَ أَنِّي قَدْ أَسْتَعِينُ عَلَى الْهَـ ـمِّ إِذَا خَفَّ بِالثَّوِيِّ النَّجَاءُ

---

١ - آذنتنا: أعلمتنا. البين: الفراق. الثواء والثوى: الإقامة.
يقول: أعلمتنا أسماء بمفارقتها إيانا، وربَّ مقيم تُمَلُّ إقامته ولم تكن أسماء منهم.
٢ - البرقة: حجارة يخلطها رمل وطين. شمّاء: اسم أكمة. الخلصاء: اسم موضع.
٣ - ٤ كلها مواضع يقول: قد عزمت على مفارقتنا بعد طول العهد.
٥ - دلهاً: باطلاً. يقول: لا أرى في هذه المواضع من عهدت فيها، يريد أسماء فأنا أبكي اليوم ذاهب العقل وأيُّ شيء ردَّ البكاء على صاحبه.
٦ - يقول: وإنما أوقدت هند هذه النار بمرآك ومنظر منك، فكأن البقعة العالية التي أوقدتها عليها كانت تشير إليك بها.
٧ - أوقدت هند تلك النار بين هذين الموضعين بعود فلاحت كما يلوح الضياء.
٨ - التنور: النظر إلى النار. خزازى: جبل كانوا يوقدون عليه غداة الغارة.
يقول: ولقدنظرت إلى نار هند بهذه البقعة على بعد بيني وبينها لأصلاها، ثم قال: بعد منك الاصطلاء جداً.
٩ - الثوي: المقيم. النجاء: السرعة.
يقول: ولكني استعين على امضاء همي وقضاء أمري إذا أسرع المقيم في السير لعظم الخطب وفظاعة الخوف.

١٠ ـ بِزَفُوفٍ كَأَنَّهَا هِقْلَةٌ أُمُّ رِئَالٍ دَوِّيَّةٌ سَقْفَاءُ

١١ ـ آنَسَتْ نَبْأَةً وَأَفْزَعَهَا القُنْـ ـنَاصُ عَصْراً وَقَدْ دَنَا الإِمْسَاءُ

١٢ فَتَرَى خَلْفَهَا مِنَ الرَّجْعِ وَالوَقْـ ـعِ مَنِيناً كَأَنَّهُ إِهْبَاءُ

١٣ ـ وَطِرَاقاً مِنْ خَلْفِهِنَّ طِرَاقٌ سَاقِطَاتٌ أَوْدَتْ بِهَا الصَّحْرَاءُ

١٤ ـ أَتَلَهَّى بِهَا الهَوَاجِرَ إِذْ كُـ ـلُّ ابْنِ هَمٍّ بَلِيَّةٌ عَمْيَاءُ

١٥ ـ وَأَتَانَا عَنِ الأَرَاقِمِ أَنْبَا ءٌ وَخَطْبٌ نُعْنَى بِهِ وَنُسَاءُ

١٦ ـ أَنَّ إِخْوَانَنَا الأَرَاقِمَ يَغْلُو نَ عَلَيْنَا فِي قِيلِهِمْ إِحْفَاءُ

١٧ ـ يَخْلِطُونَ البَرِيءَ مِنَّا بِذِي الذَّنْـ ـبِ وَلاَ يَنْفَعُ الخَلِيَّ الخَلاَءُ

---

١٠ ـ بزفوف: يريد ناقته. والزفيف: السرعة. والهقلة: النعامة. والرئال: ولد النعامة.

يقول: أستعين على امضاء همي وقضاء أمري عند صعوبة الخطب وشدته بناقة مسرعة في سيرها كأنها في اسراعها في السير نعامة لها أولاد طويلة منحنية لا تفارق المفاوز.

١١ ـ آنست: احست. والنبأة: الصوت الخفي. القناص: الصيادون.

يقول: أحست هذه النعامة بصوت الصيادين فأخافها ذلك عشياً وقد دنا دخولها في المساء.

١٢ـ الرجع: رجع قوائمها. والوقع: وقع اخفافها. والمنين: الغبار الدقيق. والإهباء: مصدر أهبى يهبي إهباء إذا أثار التراب.

يقول: فترى خلف هذه الناقة من رجعها قوائمها وضربها الأرض بها غباراً رقيقاً كأنه هباء منبث.

١٣ ـ الطراق: مطارقة نعال الإبل. أودت: أهلكت.

يقول: وترى خلفها إطباق نعلها في أماكن مختلفة قد قطعها وأبطلها قطع الصحراء ووطؤها.

١٤ ـ إذا صاحب الهمّ تحيّر نجوت من الهمّ على ناقتي، ولم يلحقني تحيُّر.

١٥ ـ ولقد أتانا من الحوادث والأخبار أمر عظيم نحن معنيون محزونون لأجله.

١٦ـ الغلو: مجاوزة الحد. الإحفاء: الإلحاح فقال: هو تعدي إخواننا من الأراقم علينا وغلوهم في عدوانهم علينا في مقالتهم.

١٧ ـ الخليّ: البريء الخالي من الذنب. يقول: هم يخلطون بُرَءاءنا بمذنبينا فلا تنفع البريء براءة.

١٨ ـ زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ العَيْـ ـرَ مَوَالٍ لَنَا وَأَنَّا الوَلَاءُ

١٩ ـ أَجْمَعُوا أَمْرَهُم بِلَيْلٍ فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ

٢٠ ـ مِنْ مُنَادٍ وَمِنْ مُجِيبٍ وَمِنْ تَصْـ ـهَالِ خَيْلٍ خِلَالَ ذَاكَ رُغَاءُ

٢١ ـ أَيُّهَا النَّاطِقُ المُرَقِّشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لِذَاكَ بَقَاءُ

٢٢ ـ لَا تَخَلْنَا عَلَى غَرَاتِكَ أَنَّا قَبْلُ مَا قَدْ وَشَى بِنَا الأَعْدَاءُ

٢٣ ـ فَبَقِيْنَا عَلَى الشَّنَاءَةِ تَنْمِيـ ـنَا جُدُودٌ وَعِزَّةٌ قَعْسَاءُ

٢٤ ـ قَبْلَ مَا اليَوْمِ بَيَّضَتْ بِعُيُونِ النَّـ ـاسِ فِيهَا تَغَيُّظٌ وَإِبَاءُ

٢٥ ـ وَكَأَنَّ المَنُونَ تَرْدِي بِنَا أَرْ عَنَ جَوْناً يَنْجَابُ عَنْهُ العَمَاءُ

٢٦ ـ مُكْفَهِرّاً عَلَى الحَوَادِثِ لَا تَرْ تُوهُ لِلدَّهْرِ مُؤْيِدٌ صَمَّاءُ

٢٧ ـ أَيَّمَا خُطَّةٍ أَرَدْتُمْ فَأَدُّو هَا إِلَيْنَا تَمْشِي بِهَا الأَمْلَاءُ

---

١٨ ـ أنهم يلزموننا ذنوب الناس. والعير: هنا السيد، والحمار، والوتد، والقذى، وجبل بعينه.

١٩ ـ أجمعوا أمرهم: أحكموه. الضوضاء: الجلبة والاختلاط. أي لما أحكموا أمرهم بليل أصبحوا في تعبئة لما أحكموه من اسراج وإلجام وكلام.

٢٠ ـ اختلطت أصوات الداعين والمجيبين والخيل والإبل، يريد بذلك تجمعهم وتأهبهم.

٢١ ـ المرقّش: المزين القول بالباطل ليقبل منه الملك باطله ولكن ليس للباطل بقاء.

٢٢ـ لا تخلنا: لا تحسبنا. لا تظننا متذللين متخاشعين لإغرائك الملك بنا فقد وشى بنا أعداؤنا إلى الملوك قبلك.

٢٣ ـ الشناءة: البغض. القعساء: الثابتة.

يقول: فبقينا على بغضهم لنا ترفعنا جدود وحصون منيعة وعزة ثابتة لا تزول.

٢٤ ـ يقول: قبل اليوم عظم شأننا على الناس حتى أعمتهم وغطت على أبصارهم.

٢٥ ـ وكأن الدهر برميه إيانا بمصائبه ونوائبه يرمي جبلاً أرعن أسود ينشق عنه السحاب.

٢٦ ـ المكفهر: الغليظ المتراكب بعضه على بعض. لا ترتوه: لا تنقصه. المؤيد: الشديد الأيد.

يقول: يشتد ثباته على انتياب الحوادث لا ترخيه ولا تضعفه داهية قوية شديدة من دواهي الدهر، ونحن مثل هذا الجبل في المنعة والقوة.

٢٧ ـ الخطة: الأمر يقع بين القوم يشتجرون فيه. الأملاء: الجماعات من الأشراف.

يقول: فوضوا إلى آرائنا كل خصومة أردتم يمشي بها جماعات الأشراف والرؤساء بالتخلص منها إذ لا يجدون عنها مخلصاً.

٢٨ - إنْ نَبَشْتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةَ فالصَّا ... قِبِ فِيهِ الأَمْوَاتُ والأَحْيَاءُ
٢٩ - أوْ نَقَشْتُمْ فَالنَّقْشُ يَجْشَمُهُ النَّا ... سُ وَفِيهِ الصِّحَاحُ وَالأَبْرَاءُ
٣٠ - أوْ سَكَتُّمْ عَنَّا فَكُنَّا كَمَنْ أغْـ ... ـمَضَ عَيْناً في جَفْنِهَا أقْذَاءُ
٣١ - أوْ مَنَعْتُمْ مَا تَسْأَلُونَ فَمَنْ حُدِّ ... ثْتُمُوهُ لَهُ عَلَيْنَا العَلاَءُ
٣٢ - هَلْ عَلِمْتُمْ أيَّامَ يُنْتَهَبُ النَّا ... سُ غِوَاراً لِكُلِّ حَيٍّ عُوَاءُ
٣٣ - إذْ رَفَعْنَا الجِمَالَ مِنْ سَعَفِ البَحْـ ... ـرَيْنِ سَيْراً حَتَّى نَهَاهَا الحِسَاءُ
٣٤ - ثُمَّ مِلْنَا إلَى تَمِيمٍ فَأحْرَمْـ ... ـنَا وَفِينَا بَنَاتُ مُرٍّ إمَاءُ
٣٥ - لاَ يُقِيمُ العَزِيزُ بِالبَلَدِ السَّهْـ ... ـلِ وَلاَ يَنْفَعُ الذَّلِيلَ النَّجَاءُ
٣٦ - لَيْسَ يُنْجِي مُوَائِلاً مِنْ حِذَارٍ ... رَأْسُ طَوْدٍ وَحَرَّةٌ رَجْلاَءُ
٣٧ - وَهُوَ الرَّبُّ والشَّهِيدُ عَلَى يَوْ ... مِ الحِيَارَيْنِ وَالبَلاَءُ بَلاَءُ

٢٨- ملحة والصاقب: موضعان أي إن ذكرتم الأموات الذين قتلوا بين هذين الموضعين أو الأسرى والجرحى يريد أنهم ثأروا لقتلاهم وتغلب لم تثار لقتلاها.

٢٩- فإن استقصيتم في ذكر ما جرى بيننا من جدال وقتال فهو شيء قد يتكلفه الناس ويتبين فيه المذنب من البريء.

٣٠ - وإن اعرضتم عن ذلك أعرضنا عنكم مع اضمارنا الحقد عليكم كمن أغضى الجفون على القذى.

٣١ - أو منعتم ما تسألون من الإنصاف فمن حدثتم عنه أنه قهرنا.

٣٢ - قد علمتم غناءنا في الحروب وحمايتنا أيام إغارة الناس بعضهم على بعض وضجيجهم وصياحهم مما ألم بهم من الغارات.

٣٣ - إذ سرنا سيراً رفيعاً من البحرين حتى انتهت الجمال إلى الحساء ثم لم يكن لها مخلص.

٣٤ - لما بلغنا النهاية عطفنا على تميم ودخلنا إليهم في الأشهر الحرم ومعنا سبايا من بنات مر.

٣٥ - من شدة الأمر لم يكن العزيز الممتنع يقدر على أن يقيم بالبلد السهل لما فيه الناس من الغارة والخوف ولا ينفع الذليل النجاء أي الهرب.

٣٦ - الموائل: الهارب الذي يطلب موئلاً يهرب إليه. والطود: الجبل. والحرّة: كل موضع فيه حجارة سود. والرجلاء: الصلبة الشديدة.

يقول: لم ينج الهارب منا تحصنه بالجبل ولا بالحرّة الغليظة الشديدة.

٣٧ - وهو الملك والشاهد على حسن بلائنا يوم قتالنا بهذا الموضع والعناء عناء، أي قد بلغ الغاية.

٣٨ - مَلِكٌ أَضْلَعَ البَرِيَّةَ مَا يُو جَدُ فِيهَا لِمَا لَدَيْهِ كِفَاءُ
٣٩ - فَاتْرُكُوا الطَّيْخَ وَالتَّعَدِّي وَإِمَّا تَتَعَاشَوْا فَفِي التَّعَاشِي الدَّاءُ
٤٠ - وَاذْكُرُوا حِلْفَ ذِي المَجَازِ وَمَا قُدْ مَ فِيهِ العُهُودُ وَالكُفَلَاءُ
٤١ - حَذَرَ الجَوْرِ وَالتَّعَدِّي وَلَنْ يَنْ قُضَ مَا فِي المَهَارِقِ الأَهْوَاءُ
٤٢ - وَاعْلَمُوا أَنَّنَا وَإِيَّاكُمْ فِيـ ـمَا اشْتَرَطْنَا يَوْمَ اخْتَلَفْنَا سَوَاءُ
٤٣ - أَعَلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ أَنْ يَغْـ ـنَمَ غَازِيهِمْ وَمِنَّا الجَزَاءُ
٤٤ - أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى حَنِيفَةَ أَمْ لَيْـ ـسَ عَلَيْنَا فِيمَا جَنَوْا أَنْدَاءُ
٤٥ - أَمْ جَنَايَا بَنِي عَتِيقٍ فَمَنْ يَغْـ ـدِرْ فَإِنَّا مِنْ حَرْبِهِمْ بُرَءَاءُ
٤٦ - أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى العِبَادِ كَمَا نِيـ ـطَ بِجَوْزِ المُحَمَّلِ الأَعْبَاءُ
٤٧ - أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى قُضَاعَةَ أَمْ مَا جُمِّعَتْ مِنْ مُحَارِبٍ غَبْرَاءُ

---

٣٨ - هو ملك ذلل وقهر الخلق فما يوجد فيهم من يساويه في معاليه.
٣٩ - فاتركوا التكبر واظهار التجبر والجهل وإن لزمتم ذلك ففيه الداء. والطيخ: التكبر. التعاشي: التعامي.
٤٠ - واذكروا العهد الذي كان منا بهذا الموضع وتقديم الكفلاء فيه.
٦ - إن كانت أهواؤكم زينت لكم الغدر والخيانة بعدما تحالفنا وتعاقدنا فكيف تصنعون بما هو في الصحف مكتوب عليكم من العهود والمواثيق فيما علينا وعليكم.
٤١ - إن كانت أهواؤكم زينت لكم الغدر والخيانة بعدما تحالفنا وتعاقدنا فكيف تصنعون بما هو في الصحف مكتوب عليكم من العهود والمواثيق فيما علينا وعليكم.
٤٢ - أي: إنما اشترطنا أن تكون الجنايات علينا وعليكم، فلم الزمتمونا وحدنا ذلك.
٤٣ - أعلينا ذنب كندة أن يغنم غازيهم منكم ومنا يكون جزاء ذلك؟
٤٤ - هل علينا في العهود والمواثيق التي أخذتموها علينا أن تأخذونا بذنوب حنيفة وما أذنبت لصوص محارب. والغبراء: الصعاليك. والفقراء: والأنداء: جمع ندى وهو ما يلحق الإنسان من الشر.
٤٥ - أم علينا جنا يا بني عتيق؟ ثم قال: إن نقضتم العهد فإنا بريئون منكم، ويروى فإنا من غدرهم برآء.
٤٦ - أن بعض العباد (هم العباديون) أصابوا في بني تغلب دماء فلم يدرك بنو تغلب ثأرهم منهم.
٤٧ - أعلينا ما جرت إياد من الوقائع التي فعلت أي أنكم تطالبوننا بما ليس علينا كما طولب طسم بما ليس عليه. والأباء: -ههنا- الذي أبى أن يطيع الملك.

٤٨ ـ لَيْسَ مِنَّا المُضَرَّبُونَ وَلاَ قَيـ ـسٌ وَلاَ جَنْدَلٌ وَلاَ الحَذَّاءُ
٤٩ ـ عَنَتاً بَاطِلاً وَظُلْماً كَمَا تُعْـ ـتَرُ عَنْ حَجْرَةِ الرَّبِيضِ الظِّبَاءُ
٥٠ ـ وَثَمَانُونَ مِنْ تَمِيمٍ بِأَيْدِيـ ـهِمْ رِمَاحٌ صُدُورُهُنَّ القَضَاءُ
٥١ ـ لَمْ يُحِلُّوا بَنِي رِزَاحٍ بِبَرْقَا ءَ نِطَاعٍ لَهُمْ عَلَيْهِمْ دُعَاءُ
٥٢ ـ تَرَكُوهُمْ مُلَحَّبِينَ وَآبُوا بِنِهَابٍ يَصَمُّ مِنْهُ الحُدَاءُ
٥٣ ـ ثُمَّ جَاءُوا يَسْتَرْجِعُونَ فَلَمْ تَرْ جِعْ لَهُمْ شَامَةٌ وَلاَ زَهْرَاءُ
٥٤ ـ ثُمَّ فَاؤُوا مِنْهُمْ بِقَاصِمَةِ الظَّهْـ ـرِ وَلاَ يَبْرُدُ الغَلِيلَ المَاءُ
٥٥ ـ ثُمَّ خَيْلٌ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ مَعَ الغَـ ـلاَّقِ لاَ رَأْفَةٌ وَلاَ إِبْقَاءُ

---

٤٨ ـ المضربون: الذين ضربوا بالسيف. هؤلاء المضربون ليسوا منا، عيرهم بأنهم منهم.

٤٩ ـ العنن: الاعتراض. العتر: الذبح في رجب. والحجرة: الموضع الذي تكون فيه الغنم. والربيض: جماعة الغنم.

يقول: أنكم تُطالبوننا بذنوب غيرنا، كما ذبح أولئك الظباء عن الشياه.

٥٠ ـ الصدور: السنان. والقضاء: الموت.

يقول:- وغزاكم ثمانون من تميم بأيديهم رماح أسنتها القتل، أي القاتلة.

٥١ ـ البرقاء: الأرض ذات الحجارة والرمل.

يقول: ما أحلّ مؤمناً محارم هؤلاء وما كان منهم دعاء على قومنا. يعيرهم بأن أحلوا هؤلاء القوم بهذا الموضع فدعوا عليهم.

٥٢ ـ الملحبون: المقطعون. تصم منه الحداء: أي لكثرة رغاء الإبل والضجة لا يسمع الحداء.

يقول: تركت بني تميم هؤلاء القوم مقطعين بالسيوف وقد رجعوا إلى بلادهم مع غنائم يصم حداء حداتها آذان السامعين.

٥٣ ـ الشامة: السوداء. والزهراء: البيضاء. المعنى أنه لم يرجع إليهم شيء مما أخذ منهم.

٥٤ ـ فاؤوا: رجعوا. وقاصمة الظهر: الخيبة. والغليل والغلة: شِدَّةُ العطش. والمعنى: أن هذا الغليل من الحزن، لا يبرده الماء.

٥٥ ـ المعنى: ثم أصحاب خيل من بعد بني تميم. والغلاّق: من بني حنظلة من تميم. وقوله لا رأفة ولا إبقاء أي ليس لأصحاب الغلاّق رأفة بهم ولا إبقاء عليهم.

٥٦ ـ مَا أصَابُوا مِنْ تَغْلِبِيٍّ فَمَطْلو لٌ عَلَيْهِ إذَا أُصِيبَ العَفَاءُ
٥٧ ـ كَتَكَالِيفِ قَوْمِنَا إذْ غَزَا المُنْـ ـذِرُ هَلْ نَحْنُ لابنِ هِنْدٍ رِعَاءُ
٥٨ ـ إذْ أحَلَّ العَلَاةَ قُبَّةَ مَيْسُو نَ فَأدْنَى دِيَارِهَا العَوْصَاءُ
٥٩ ـ فَتَأوَّتْ لَهُمْ قَرَاضِبَةٌ مِنْ كُلِّ حَيٍّ كَأنَّهُمْ ألْقَاءُ
٦٠ ـ فَهَدَاهُمْ بِالأسْوَدَيْنِ وَأمْرُ الـ ـلَهِ بَلْغٌ يَشْقَى بِهِ الأشْقِيَاءُ
٦١ ـ إذْ تَمَنَّوْنَهُمْ غُرُوراً فَسَاقَتْـ ـهُمْ إلَيْكُمْ أُمْنِيَّةٌ أشْرَاءُ
٦٢ ـ لَمْ يَغُرُّوكُمْ غُرُوراً وَلَكِنْ يَرْفَعُ الآلُ جَمْعَهُمْ وَالضَّحَاءُ
٦٣ ـ أيُّهَا الشَّانِئُ المُبَلِّغُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لِذَاكَ انْتِهَاءُ
٦٤ ـ إنَّ عَمْراً لَنَا لَدَيْهِ خِلَالٌ غَيْرَ شَكٍّ فِي كُلِّهِنَّ البَلَاءُ

٥٦ـ مطلول عليه: أي لا يدرك بثأره ولا يطالب بدمه. والعفاء: الدروس أي ينسى فيصير بمنزلة الشيء الدارس.

٥٧ ـ إن قتل عمرو بن هند فيكم كفعل الغلّاق.

٥٨ ـ والعلاة: اسم أرض قريبة من العوصاء. والعوصاء: أيضاً اسم أرض. يقول: وإنما كان هذا حين أنزل الملك قبة هذه المرأة. العلاة والعوصاء التي هي أقرب ديارها إلى الملك.

٥٩ـ فتأوّت: اجتمع بعضها إلى بعض، والقراضبة: الصعاليك. الألقاء: واحدها لَقى وهو الشيء المطرح وهو من الرجال العِي كأنه المطروح.

يقول: تجمعت له لصوص خبثاء كأنهم عقبان لقوتهم وشجاعتهم.

٦٠ ـ الأبيضين: الخبز والماء. هداهم: تقدمهم.

يقول: وكان يتقدمهم ومعه زادهم من الماء والتمر، وأمر الله بالغ مبالغة يشقى به الأشقياء في حكمه وقضائه.

٦١ـ يقول: الأشْراء: من الأشر، وهو البطر والمعنى: أنكم تمنيتم قتالهم إياكم ومصيرهم إليكم اغترارا بشوكتكم وعدتكم.

٦٢ـ يقول: لم يفاجئوكم مفاجأة ولكن أتوكم وأنتم ترونهم خلال السراب حتى كأنّ السراب يرفع أشخاصهم لكم.

٦٣ ـ الشانىء: المبغض. وهل لذاك انتهاء، أي هل له غاية يبلغ إليها.

٦٤ـ يعني عمرو بن هند. الخلال: الخصال. البلاء: ههنا النعمة، ويكون من الابتلاء، ويكون من الاختبار.

٦٥ ـ مَلِكٌ مُقْسِطٌ وَأَكْمَلُ مَنْ يَمْـ شي وَمِنْ دونِ مَا لَدَيْهِ الثَّنَاءُ
٦٦ ـ إِرَمِيٌّ بِمِثْلِهِ جَالَتِ الجِـ نُّ فَآبَتْ لِخَصْمِهَا الأَجْلَاءُ
٦٧ ـ مَنْ لَنَا عِنْدَهُ مِنَ الخَيْرِ آيَا تٌ ثَلَاثٌ في كُلِّهِنَّ القَضَاءُ
٦٨ ـ آيَةٌ شَارِقُ الشَّقِيقَةِ إِذْ جَا ؤُوا جَمِيعاً لِكُلِّ حَيٍّ لِوَاءُ
٦٩ ـ حَوْلَ قَيْسٍ مُسْتَلْئِمِينَ بِكَبْشٍ قَرَظِيٍّ كَأَنَّهُ عَبْلَاءُ
٧٠ ـ وَصَتِيتٍ مِنَ العَوَاتِكِ مَا تَنْـ هَاهُ إِلَّا مُبْيَضَّةٌ رَعْلَاءُ
٧١ ـ فَرَدَدْنَاهُمْ بِضَرْبٍ كَمَا يَخْـ رُجُ مِنْ خُرْبَةِ المَزَادِ المَاءُ
٧٢ ـ وَحَمَلْنَاهُمْ عَلَى حَزْنِ ثَهْلَا نَ شِلَالاً وَدُمِّيَ الأَنْسَاءُ

---

٦٥ ـ المقسط: العادل. أكمل من يمشي عقلاً وحلماً. «ومن دون ما لديه الثناء»: أي أقل ما فيه أن يثنى عليه ولا يبلغ المثنى عليه ما فيه.

٦٦ ـ إرَميّ: نسبة إلى إرم أي ملكه قدم. جالت: كاشفت من الجلاء. والجن: الدهاة.
والمعنى: أن من كاشف بفخر هذا الملك إنكشف أمره لأن فخره لا يخفى على أحد فأمره منجل.

٦٧ ـ الآيات: العلامات، كلهن القضاء: أي في كلهن يقضى لنا بولاء الملك.

٦٨ ـ بنو الشقيقة: قوم من بني شيبان أغاروا على إبل لعمرو بن هند. وشارق: أتوا من المشرق. ولكل حيٍّ لواء: أي هم أحياء مختلفة.

٦٩ ـ قيس: يعني قيس بن معدي كرب. المستلئم: الذي لبس اللأمة وهي الدرع. قرظي: منسوب إلى البلاد التي ينبت فيها القرظ وهي اليمن. والعبلاء: الهضبة البيضاء. والكبش: الرئيس.

٧٠ ـ الصتيت: الجماعة. والعواتك: نساء من كندة من الملوك. وقوله: «ما تنهاه إلا مبيضة رعلاء» أي لا يكف هذا الجمع إلا ضرب شديد موضح عن بياض العظم، والرعلاء: الضربة التي ترخي اللحم من الجانبين وقيل: ذات الرعل أي الخيل.

٧١ ـ ضربة: عرى المزادة أي فمها والمعنى: أن دمهم يسيل كما يسيل الماء من فم المزادة.

٧٢ ـ الحزن: ما غلظ من الأرض. ثهلان: جبل بعينه. شلالاً: طرداً وسوقاً. والأنساء: جمع نسى وهو عرق في باطن الفخذ.
والمعنى: أنهم ذلُّوا ودماؤهم تسيل، وقد حملناهم على المشقة.

٧٣ - وَفَعَلْنَا بِهِمْ كَمَا عَلِمَ اللّٰـ ـهُ وَمَا إِنْ لِلْحَائِنِينَ دِمَاءُ
٧٤ - ثُمَّ حُجْراً أَعْنِي ابْنَ أُمِّ قَطَامٍ وَلَهُ فَارِسِيَّةٌ خَضْرَاءُ
٧٥ - أَسَدٌ فِي اللِّقَاءِ ذُو أَشْبَالٍ وَرَبِيعٌ إِنْ شَنَّعَتْ غَبْرَاءُ
٧٦ - وَجَبَهْنَاهُمْ بِطَعْنٍ كَمَا تُنْـ ـهَزُ فِي جَمَّةِ الطَّوِيِّ الدِّلَاءُ
٧٧ - وَفَكَكْنَا غُلَّ امْرِئِ القَيْسِ عَنْهُ بَعْدَ مَا طَالَ حَبْسُهُ وَالْعَنَاءُ
٧٨ - وَأَقَدْنَاهُ رَبَّ غَسَّانَ بِالْمُنْـ ـذِرِ كَرْهاً وَمَا تُكَالُ الدِّمَاءُ
٧٩ - وَفَدَيْنَاهُمْ بِتِسْعَةِ أَمْلَا كٍ كِرَامٍ أَسْلَابُهُمْ أَغْلَاءُ

٧٣- أي فعلنا بهم فعلاً عظيماً شديداً. وقوله: ما إن للحائنين دماء. أي من عصى فقد حان أجله ويهدر دمه ولا يطالب به.

٧٤ - الفارسية: الكتيبة نسبها إلى فارس لأن أكثر حديدها من عمل فارس. وخضراء: كثيرة السلاح.

يقول: ثم قاتلنا بعد ذلك حجر ابن أم قطام وكانت له كتيبة فارسية خضراء لما ركب دروعها وبيضها من الصدأ.

٧٥ - ويروى إن شنعت شهباء: وهي السنة الشديدة. والغبراء: السنة القليلة المطر. وشنّعت: جاءت بأمر شنيع.

يعني حجراً أي هو أسد ذو أشبال: ذو أولاد وقوله: وربيع تقديره ذو ربيع والربيع الخصب.

ومعنى البيت: أن حجراً له شدة وبأس وسخاء، وجمعه كثير فغلبناه ورددناه.

٧٦ - يقول: منعناهم أشد منع وأعنف ردع فتحركت رماحنا في أجسامهم كما تحرك الدِّلاء في ماء البئر أي لم يطلب بثأرهم ودمائهم. النهز: التحريك. الجمة: الماء الكثير المجتمع. الطوي: البئر التي طويت بالحجارة أو اللبن.

٧٧ - وامرؤ القيس هو امرؤ القيس بن المنذر أخو عمرو، كان أسر لما قتل المنذر فاستنقذه بنو بكر.

٧٨ - ربُّ غسان: هو الملك الذي تقدم ذكره أو ميسون. قتلته بنو بكر بالمنذر. ما تكال الدماء: ذهبت هدرا.

٧٩ - وفديناهم بتسعة من الملوك وقد أسرناهم وكانت أسلابهم غالية الأثمان لعظم أخطارهم وجلالة أقدارهم. الأسلاب: الثياب والسلاح والفرس.

٨٠ - وَمَعَ الجَوْنِ جَوْنِ آلِ بَنِي الأَوْسِ عَنُودٌ كَأَنَّهُمْ دَفْوَاءُ
٨١ - مَا جَزِعْنَا تَحْتَ العَجَاجَةِ إِذْ وَلَّتْ بِأَقْفَائِهَا وَحَرَّ الصَّلاءُ
٨٢ - وَوَلَدْنَا عَمْرَوَ ابنَ أُمِّ أُنَاسٍ مِنْ قَرِيبٍ لَمَّا أَتَانَا الحِبَاءُ
٨٣ - مِثْلُهَا تُخْرِجُ النَّصِيحَةَ لِلقَوْمِ فَلاَةٌ مِنْ دُونِهَا أَفْلاَءُ

٨٠- الجون: ملك من ملوك كنده. والعنود: هـهنا الكتيبة كأنها تعند في سيرها. والدفواء: الهضبة يصف كثرتها.
يقول: وكانت مع الجون كتيبة شديدة العناد كأنها في شوكتها وعدتها هضبة دفئة.

٨١- لم نجزع حين لقينا الجون وهو في جمع كثير وقاتلناه وولى، وارتفعت الغبرة. والصّلاء: الوقود شبه شدة الحرب بوقود النار.

٨٢- ولدنا هذا الملك بعد زمان قريب لما أتانا الحباء، أو زوجنا أمه من أبيه لما أتانا مهرها، يريد أنّا أخوال هذا الملك.

٨٣- مثل هذه القرابة بيننا وبينك أيها الملك يخرج نصيحتنا لك ثم قال: فلاة من دونها أفلاء معناه نصيحة كثيرة واسعة مثل الفلاة التي دونها أفلاء كثيرة.

الأعشى ميمون

توفي سنة ٧ للهجرة و٦٢٩ للميلاد

نسبته وكنيته:

هو الأعشى ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ابن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمي بن حديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. ويكنى أبا بصير وكانوا يسمونه صناجة العرب لجودة شعره، وكان يقال لأبيه قتيل الجوع سمى بذلك لأنه دخل غاراً يستظل فيه من الحر فوقعت صخرة عظيمة من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعاً وهجاه بعض بني عمه فقال:

أبـوك قتيـل الجـوع قيس بن جنـدل   وخـالـك عبـد من خمـاعـة راضـع

طبقته في الشعراء:

وهو أحد فحول أهل الجاهلية. عده ابن سلام في الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية وقرنه بامرىء القيس وزهير والنابغة، وكان أهل الكوفة يقدمونه عليهم وسئل يونس بن حبيب النحوي من أشعر الناس؟ فقال لا أومىء إلى رجل بعينه ولكن أقول امرؤ القيس إذا ركب والنابغة إذا رهب وزهير إذا رغب والأعشى إذا طرب، وهو أول من سأل بشعره وكان أبو عمرو بن العلاء يعظم محله ويقول: شاعر مجيد كثير الأعاريض والافتنان وإذا سئل عنه وعن لبيد قال: لبيد رجل صالح والأعشى رجل شاعر، وروي أن عبدالملك قال لمؤدب أولاده: أدبهم برواية

شعر الأعشى فإنه قاتله الله: ما كان أعذب بحره وأصلب صخره وقال المفضل: من زعم أن أحدا أشعر من الأعشى فليس يعرف الشعر وقال أبو عبيد: الأعشى هو رابع الشعراء المتقدمين امرىء القيس والنابغة وزهيرقال: كان الأعشى يقدمه على طرفة لأنه أكثر عدد طوال جياد وأوصف للخمر وأمدح وأهجى وأكثر أعاريض وطرفة يوضع مع أصحابه وهم أصحاب الواحدات فمنهم الحارث ابن حلزة وعمرو بن كلثوم التغلبي وسويد بن أبي كاهل اليشكري قال وإنما فضل الأعشى على هؤلاء لأنه سلك أساليب لم يسلكوها فجعله الناس رابعاً للأوائل بآخرة واتفقوا على أن أشعر الشعراء واحدة في الجاهلية طرفة والحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم ثم اختلفوا فيهم، ونظيرهم في الإسلام سويد بن أبي كاهل اليشكري.

وروي أن أبا عمرو قال: اتفقوا على أن أشعر الشعراء امرؤ القيس والنابغة وزهير والأعشى فامرؤ القيس من اليمن والنابغة وزهير من مضر والأعشى من ربيعة. وبعث أبو جعفر المنصور يحيى بن سليم الكاتب إلى حماد الراوية بالكوفة يسأله من أشعر الناس؟ فقال له: ذاك الأعشى صناجها. وروي أن الأخطل قدم الكوفة فأتاه الشعبي يسمع من شعره قال: فوجدته يتغدى فدعاني إلى الغداء فأبيت فقال: ما حاجتك قلت: أحب أسمع من شعرك فأنشدني:

وإذا تعاورت الأكف ختامها ... نفحت فنال رياحها المزكوم

قال لي: يا شعبي ناك الأخطل أمهات الشعراء بهذا البيت فقلت: الأعشى في هذا أشعر يا أبا مالك قال: وكيف؟ قلت: لأنه قال:

من خمر عانة قد أتى لختامه ... حول تسل عمامة المزكوم

فقال: وضرب بالكأس الأرض * هو والمسيح أشعر مني ناك الأعشى أمهات الشعراء إلا أنا.

وقال أبو عبيدة: من قدم الأعشى يحتج بكثرة طواله الجياد وتصرفه في المديح والهجاء وسائر فنون الشعر وليس ذلك لغيره، وسئل مروان بن أبي حفصة من أشعر الناس؟ فقال: الذي يقول:

كلا أبويكم كان فرع دعامة ... ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا

وهذا البيت من مقطعة للأعشى يهجو بها علقمة بن علاثة وسيأتي سبب ذلك.

خبر هاجسه من الجن:

وهاجس الأعشى اسمه مسحل بن أثاثة روى عن الأعشى أنه قال: خرجت أريد قيس بن معد يكرب بحضرموت فضللت في أوائل أرض اليمن لأني لم أكن سلكت ذلك قبل فأصابني مطر فرميت ببصري أطلب مكاناً ألجأ إليه فوقعت عيني على خباء من شعر فقصدت نحوه وإذا بشيخ على باب الخباء فسلمت عليه فرد السلام وأدخل ناقتي خباء آخر كان بجانب البيت فحططت رحلي وجلست فقال: من أنت وأين تقصد؟ قلت: أنا الأعشى أقصد قيس بن معد يكرب. فقال: حياك الله أظنك امتدحته بشعر قلت: نعم، قال: فأنشدنيه:

فابتدأت مطلع القصيدة:

رحلت سمية غدوة إجمالها   غضباً عليك فما تقول بدالها

فلما أنشدته هذا المطلع منها قال: حسبك أهذه القصيدة لك قلت: نعم قال: من سمية التي نسبت بها قلت: لا أعرفها، وإنما هو اسم ألقي في روعي فنادى يا سمية اخرجي وإذا جارية خماسية قد خرجت فوقفت وقالت: ما تريد يا أبت قال: أنشدي عمك قصيدتي التي مدحت بها قيس بن معد يكرب ونسبت بك في أولها فاندفعت تنشد القصيدة حتى أتت على آخرها لم تخرم منها حرفاً فلما أتمتها قال: انصرفي. قال: ثم هل قلت شيئاً غير ذلك؟ قلت: نعم كان بيني وبين ابن عم لي يقال له يزيد بن مسهر يكنى أبا ثابت ما يكون بين بني العم فهجاني وهجوته فأفحمته قال: ماذا قلت فيه؟ قلت: قلت * ودع هريرة إن الركب مرتحل * فلما أنشدته البيت الأول قال: حسبك، من هريرة هذه التي نسبت فيها قلت: لا أعرفها وسبيلها سبيل التي قبلها فنادى يا هريرة فإذا جارية قريبة السن من الأولى خرجت فقال: أنشدي عمك قصيدتي التي هجوت بها أبا ثابت يزيد بن مسهر فأنشدتها من أولها إلى آخرها لم تخرم منها حرفاً فسقطت في يدي وتحيرت وتغشتني رعدة، فلما رأى ما نزل بي قال: ليفرج روعك أبا بصير أنا هاجسك مسحل بن أثاثة الذي ألقى على لسانك الشعر فسكنت نفسي ورجعت إلي وسكن

المطر فدلني على الطريق وأراني سمت مقصدي، وقال لا تعج يميناً ولا شمالاً حتى تقع ببلاد قيس.

وروي عن جرير بن عبدالله البجلي الصحابي رضي الله عنه أنه قال: سافرت في الجاهلية فأقبلت ليلة على بعير أريد أن أسقيه فلما قربته من الماء تأخر فعقلته ودنوت من الماء فإذا هم قوم مشوهون عند الماء فبينما أنا عندهم إذا أتاهم رجل أشد تشويهاً منهم فقالوا: هذا شاعر، فقالوا: يا أبا فلان أنشد هذا فإنه ضيف فأنشد:

* ودع هريرة إن الركب مرتحل *

فوالله ما خرم منها بيتاً حتى أتى على آخرها فقلت: من يقول هذه القصيدة قال: أنا أقولها قلت: لولا ما تقول لأخبرتك أن أعشى قيس بن ثعلبة أنشدنيها عام أول بنجران قال: إنك صادق أنا الذي ألقيتها على لسانه وأنا مسحل ما ضاع شعر شاعر وضعه عند ميمون بن قيس.

وقيل: إن هريرة وخليدة أختان كانتا قينتين لبشر بن عمرو وكانتا تغنيانه وقدم بهما إلى اليمامة لما هرب من النعمان بن المنذر، وقيل: إن هريرة كانت أمة سوداء لحسان بن عمرو، وكان الأعشى يشبب بها. وروي أن رجلاً من أهل البصرة خرج منها حاجاً فقال: إني لأسير في ليلة أضحيانة إذ نظرت إلى شاب راكب على ظليم قد زمه بخطمه وهو يذهب عليه ويجيء ويرتجز ويقول:

هل يبلغنيهم إلى الصباح هقل كأن رأسه جماح

فعلمت أنه ليس بإنسي فاستوحشت منه فترددت ذاهباً حتى آنست به فقلت: من أشعر الناس؟ قال: الذي يقول:

وما ذرفت عيناك إلا لتقدحي بسهميك في أعشار قلب مقتل

فعرفت أنه يريد امرأ القيس قال: ثم ذهب وأقبل قلت: ثم من؟ قال الذي يقول:

وتبرد برد رداء العروس في الصيف رقرقت فيه العبيرا
وتسخن ليلة لا يستطيع نباحاً بها الكلب إلا هريرا

يريد الأعشى ثم ذهب وأقبل. قلت: ثم من؟ قال: الذي يقول:

تطرد القر بحر صادق وعليك القيظ إن جاء بقر

يريد طرفة.

شيء من سيرته وأخباره:

وقال يحيى بن الجون راوية بشار: أعشى بني قيس أستاذ الشعراء في الجاهلية وجرير بن الخطفى استاذهم في الإسلام وما مدح الأعشى أحداً في الجاهلية إلا رفعه ولا هجا أحداً إلا وضعه. وكان الذي يريد أن يذكره منهم يستميله لعله أن يمدحه فيرفعه ذلك. فمن ذلك: قصة المحلق الكلابي وكان ذا بنات قد عنسن عليه، فقالت له امرأته ما يمنعك من التعرض لهذا الشاعر فما رأيت أحداً اقتطعه إلى نفسه إلا أكسبه خيراً قال: ويحك ما عندي إلا ناقتي وعليها الحمل قالت: الله يخلفها عليك فتلقاه المحلق من بعيد خوفاً أن يسبقه إليه أحد فوجد ابنه يقود به فأخذ الخطام، فقال الأعشى: من هذا الذي غلبنا على خطامنا قال: المحلق قال: شريف كريم فأنزله ونحر له ناقته وكشط له عن سنامها وكبدها ثم أحاطت به بناته فجعلن يغمزنه ويمسحنه فقال: ما هذه الجواري حولي قال: بنات أخيك، فلما رحل من عنده ووافى سوق عكاظ جعل ينشد قافيته التي مدح بها المحلق ومطلعها:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار في يفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق
رضيعي لبان ثدي أم تحالفا بأسحم داج عوض لا تتفرق

فتسابق الناس إليهن حتى تزوجن عن آخرهن واستغنى بعد فقره.

خبره مع ذي فائش الحميري:

ولما رجع من عند سلامة ذي فائش الحميري، وكان مدحه بقصيدته التي منها:

الشعر قلدته سلامة ذا فائش والشيء حيثما جعلا

فلما أنشده إياها قال: صدقت (الشيء حيثما جعل) فأعطاه مائة من الإبل وكساه حللا وأعطاه كرشاً مدبوغة مملوءة عنبراً، وقال له: إياك أن تخدع عنها فأتى الحيرة فباعها بثلاثمائة ناقة حمراء فخاف أن ينتهب ماله فاستجار بعلقمة بن علاثة العامري فقال له: أجيرك من الأسود والأحمر. قال: ومن الموت؟ قال: لا. فأتى عامر بن الطفيل العامري أيضاً فقال له: مثل مقالة علقمة فقال له الأعشى: ومن الموت؟ قال: نعم قال: وكيف؟ قال: إن مت في جواري وديتك فقال علقمة: لو علمت أن ذلك مراده لهان عليّ، وكان ذلك في أوان منافرة عامر وعلقمة المشهورة، وكانت العرب تهاب أن تنفر أحدهما على الآخر ثم إن الأعشى ركب ناقته ونفر عامراً بقصيدته المشهورة التي يقول فيها:

حكمتموه فقضى بينكم   أبلج مثل القمر الزاهر
لا يأخذ الرشوة في حكمه   ولا يبالي غبن الخاسر

فهدر علقمة دمه وجعل له على كل طريق رصداً فقال الأعشى قصيدته التي مطلعها:

لعمري لئن أمسي عن الحي شاخصاً   لقد نال حيصاً من عفيرة حائصا

يقول فيها:

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم   وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

وقد كذب هجوه لعلقمة فإنه كان من أجواد العرب ثم إنه أسلم وحسن إسلامه ثم أنه اتفق أن الأعشى سافر ومعه دليل فأخطأ به الطريق فألقاه في ديار بني عامر بن صعصعة فأخذه رهط علقمة بن علاثة فأتوه به فقال علقمة (الحمد لله الذي أمكنني منك فقال):

أعلقم قد صيرتني الأمو   ر إليك وما أنت لي منقص
فهب لي نفسي فدتك النفوس   ولا زلت تنمو ولا تنقص

فقال قوم علقمة: «اقتله وأرحنا والعرب من شر لسانه» : فقال علقمة: «إذاً تطلبوا بدمه ولا ينغسل عني ما قاله. ولا يعرف فضلي عند القدرة» : فأمر به فحل وثاقه وألقى عليه حلة وحمله على ناقة وأحسن عطاءه وقال له: انج حيث

شث، وأخرج معه من بني كلاب من يلفه مأمنها فجعل بعد ذلك يمدحه وهجا رجلاً من كلب فاتفق أن الكلبي أغار على حي من العرب، وكان الأعشى ضيفاً عندهم فأسره فيمن أسر وهو لا يعرفه فمر بتيماء ونزل قريباً من شريح بن السموءل الذي يضرب به المثل في الوفاء وتقدم بعض قصته في ترجمة امرىء القيس فمر شريح بالأعشى فناداه الأعشى وأنشد قصيدة ارتجلها مطلعها:

شريح لا تتركني بعد ما علقت حبالك اليوم بعد القد أظفار

وقال منها في قصة السموءل:

كن كالسموءل إذا طاف الهمام به في جحفل كسواد الليل جرار

فجاء شريح إلى الكلبي فقال له: هب لي هذا الأسير المضرور، فقال: هو لك فأطلقه وقال: أقم عندي حتى أكرمك وأحبوك فقال له الأعشى: إن من تمام صنيعتك أن تعطيني ناقة نجيبة وتخليني الساعة فأعطاه ناقة فركبها ومضى من ساعته وبلغ الكلبي أن الذي وهب لشريح هو الأعشى فأرسل إلى شريح ابعث إلى الأسير الذي وهبت لك حتى أحبوه وأعطيه فقال: قد مضى فأرسل الكلبي في أثره فلم يلحقه.

خبره في الإسلام

وكان الأعشى جاهلياً قديماً وأدرك الإسلام في آخر عمره ورحل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صلح الحديبية فبلغ قريشاً خبره فرصدوه على طريقه وقالوا: هذا صناجة العرب ما مدح أحداً قط إلا رفع قدره فلما ورد عليهم قالوا: أين أردت يا أبا بصير؟ قال: أردت صاحبكم هذا لأسلم قالوا: إنه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك وكلها لك موافق قال: وما هن؟ قال أبو سفيان بن حرب: «الزنا» قال: لقد تركني الزنا وما تركته ثم ماذا؟ قال: «القمار» قال لعلي إن لقيته أن أصيب منه عوضاً من القمار ثم ماذا؟ قال: «الربا» قال: ما دنت ولا أدنت قال: ثم ماذا؟ قالوا: «الخمر»، قال: أوه أرجع إلى صبابة قد بقيت لي في المهراس فأشربها، فقال له أبو سفيان: هل لك في خير مما هممت به؟ فقال: وما هو؟ قال: نحن وهو الآن في هدنة فتأخذ مائة من الإبل، وترجع إلى بلدك سنتك هذه، وتنظر ما يصير إليه أمرنا، فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفاً، وإن ظهر

علينا أتيته، فقال: ما أكره ذلك، فقال أبو سفيان: يا معشر قريش هذا الأعشى والله لئن أتى محمداً واتبعه ليُضرمنّ عليكم نيران العرب بشعره فاجمعوا له مائة من الإبل ففعلوا فأخذها وانطلق إلى بلده، فلما كان بقاع منفوحة رمى به بعيره فقتله، وكان قد قال قصيدة يمدح بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم مطلعها:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا | وبت كما بات السليم مسهدا

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حقه «كاد ينجو ولما».

مفردات أبياته المشهورة:

روى عن الشعبي أنه قال: الأعشى أغزل الناس في بيت وأخنث الناس في بيت وأشجع الناس في بيت فأما أغزل بيت فقوله:

غراء فرعاء مصقول عوارضها | تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوجل

وأما أخنث بيت فقوله:

قالت هريرة لما جئت زائرها | ويلي عليك وويلي منك يا رجل

وأما أشجع بيت فقوله:

قالوا الطراد فقلنا تلك عادتنا | أو تنزلون فإنا معشر نزل

وفادته على الملوك:

وقالوا: وكان الأعشى قدرياً وكان لبيد مثبتاً قال لبيد:

من هداه سبل الخير اهتدى | ناعم البال ومن شاء أضل

وقال الأعشى:

استأثر الله بالوفاء وبالعدل | وولى الملامة الرجلا

قالوا: إن العباديين لقنوه ذلك بالحيرة لأنهم كانوا نصارى وكان يشتري منهم الخمر، وكان الأعشى يفد على ملوك العرب وملوك فارس فلذلك كثرت الفارسية في شعره وكان أبو كلبة هجا الأعشى وهجا الأصم بن معبد فقال فيها:

قبحتم شاعري خي ذوي حسب | وحز أنفاكما حزاً بمنشار

أعني الأصم وأعشانا فما ابتدرا إلا استعانا على سمع وأبصار

فأمسك عنه الأعشى فلم يجبه بشيء. وقال للأصم: أنت من بيت مشهور وأبو كلبة رجل مرذول فلا تجبه فترفع من قدره. قالوا: والأعشى ممن أقر بالملكين الكاتبين في شعره فقال في قصيدة يمدح بها النعمان:

فلا تحسبني كافراً لك نعمة على شاهديَّ يشهد الله فاشهد

وقد كانت العرب ممن أقام على دين إسماعيل والقول بالأنبياء قالوا والأعشى ممن اعتزل وقال: بالعدل في الجاهلية، ومن ذلك قوله: استأثر الله بالوفاء وبالعدل «البيت».

وسلك الأعشى في شعره كل مسلك وقال في أكثر أعاريض كلام العرب.

وليس ممن تقدم من فحول الشعراء أحد أكثر شعراً منه، وكانت العرب لا تعد الشاعر فحلاً حتى يأتي ببعض المحكمة في شعره فلم يعدوا امرأ القيس فحلاً حتى قال:

والله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرحل

وكانوا لا يعدون النابغة فحلاً حتى قال:

نبئت أن أبا قابوس أو عدني ولا قرار على زأر من الأسد

وكانوا لا يعدون زهيراً فحلاً حتى قال:

ومهما تكن عند امرىء من خليقة ولو خالها تخفى على الناس تعلم

وكانوا لا يعدون الأعشى فحلاً حتى قال:

قلدتك الشعر يا سلامة ذا فائش والشيء حيثما جعلا

معلقة الأعشى

١ - وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ   وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أيُّهَا الرَّجُلُ
٢ - غَرَّاءُ فَرْعَاءُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا   تَمْشِي الهُوَيْنَى كَمَا يَمْشِي الوَجِي الوَحِلُ
٣ - كَأنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا   مَرُّ السَّحَابَةِ لاَ رَيْثٌ وَلاَ عَجَلُ
٤ - تَسْمَعُ لِلْحَلْيِ وَسْوَاساً إذَا انْصَرَفَتْ   كَمَا اسْتَعَانَ بِرِيحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ
٥ - لَيْسَتْ كَمَنْ يَكْرَهُ الجِيرَانُ طَلْعَتَهَا   ولا تَرَاهَا لِسِرِّ الجَارِ تَخْتَتِلُ
٦ - يَكَادُ يَصْرَعُهَا لَوْلاَ تَشَدُّدُهَا   إذَا تَقُومُ إلى جَارَاتِهَا الكَسَلُ
٧ - إذَا تُلاعِبُ قِرْناً سَاعَةً فَتَرَتْ   وارْتَجَّ مِنْهَا ذَنُوبُ المَتْنِ والكَفَلُ
٨ - صِفْرُ الوِشَاحِ وَمِلْءُ الدِّرْعِ بَهْكَنَةٌ   إذَا تَأتَّى يَكَادُ الخَصْرُ يَنْخَزِلُ

---

١ - هريرة: قينة كانت لرجل من آل عمرو بن مرثد أهداها إلى قيس بن حسان بن ثعلبة ابن عمرو بن مرثد، فولدت له.

٢ - الغراء: البيضاء الواسعة الجبين. والفرعاء: الطويلة الفرع أي الشعر. مصقول عوارضها: نقية العوارض، وقال أبو عمرو الشيباني: العوارض: الرباعيات والأنياب. والوجي: الذي يشتكي حافره. الوحل: وقع في الوحل.

٣ - المشية: الحالة. وقوله: مر السحابة: أي تهاديها كمر السحابة وهذا مما توصف به النساء. الريث: البطء.

٤ - الوسواس: جرس الحلي. إذا انصرفت: يريد إذا انقلبت إلى فراشها. العشرق: شجيرة مقدار ذراع لها أكمام فيها حب صغار إذا جفت فمرت بها الريح تحرك الحب، فشبه صوت الحلي بخشخشته على الحصى.

٥ - تختتل: تسمع لسر الجار.

٦ - لولا أنها تَشَدَّدُ إذا قامت لسقطت.

٧ - فتر: سكن بعد حدّة ولان بعد شدة. ذنوب المتن: لحمه، وقيل: الذنوب: منقطع المتن وأوله وأسفله، وقيل: الألية والمآكم. والكفل: العجز.

٨ - صفر الوشاح: يصف أنها خميصة البطن دقيقة الخصر، فوشاحها يعلق عنها لذلك وهي تملأ الدرع لأنها ضخمة ودرع المرأة: قميصها، كنى بقوله: ملء الدرع عن ضخامة عجيزتها. البهكنة: الشابة الغضة، تأتى: تهيأ للقيام. انخزل: انقطع.

٩ - نِعْمَ الضَّجِيعُ غَدَاةَ الدَّجْنِ يَصْرَعُها	لِـلَذَّةِ المَـرْءِ لا جَـافٍ وَلاَ تَـفِـلُ
١٠ - هِـرْكَـوْلَـةٌ فُنُقٌ دُرْمٌ مَـرافِقُهـا	كَـأنَّ أَخْمَصَهـا بِـالشَّـوْكِ مُنْتَعِـلُ
١١ - إِذَا تَقُومُ يَضُوعُ المِسْكُ أَصْوِرَةً	وَالـزَّنْبَقُ الـوَرْدُ مِنْ أَرْدانِها شَـمِـلُ
١٢ - مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ	خَضْـرَاءُ جَادَ عَلَيْهـا مُسْبِـلٌ هَطِلُ
١٣ - يُضَاحِكُ الشَّمْسَ فِيها كَوْكَبٌ شَرِقٌ	مُـؤَزَّرٌ بِـعَـمِـيمِ الـنَّـبْتِ مُـكْـتَـهِـلُ
١٤ - يَـوْماً بِـأَطْيَبَ مِنْها نَشْرَ رَائِحَـةٍ	وَلاَ بِـأَحْسَنَ مِـنْـهـا إِذْ دَنَـا الأُصُـلُ
١٥ - عُلِّقْتُهـا عَـرَضـاً وَعُلِّقَتْ رَجُـلاً	غَيـرِي وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْـرَهَـا الـرَّجُـلُ
١٦ - وَعُـلِّـقَـتْـهُ فَـتَـاةٌ مـا يُحَـاوِلُهـا	وَمِـنْ بَنِي عَـمِّـهـا مَـيْـتٌ بِهَـا وَهِـلُ
١٧ - وَعُلِّقَتْنِي أُخَيْـرَى مَـا تُـلائِمُنِي	فَـاجْـتَـمَـعَ الحُـبُّ حُبٌّ كُـلُّـهُ تَـبِـلُ

٩ - الـدجن: إلباس الغيم السماء، والجافي: الغليظ الفظ. والتفـل: المنتن الـرائحـة، وقيل: هو الذي لا يتطيب.

١٠- هركوله: الضخمة الوركين الحسنة الخلق والمشية. والفنق: الجسيمة الحسنة الخلق، وهي المنعمة أيضاً. والمرافق: جمع مرفق وهو موصل الـذراع في العضد. والـدرم: جمع أدرم ودرماء وهـو الذي واراه اللحم حتى لم يبن لـه حجم. والأخمص: باطن القدم، ومعنى كأن أخمصها بالشوك منتعل: أنها متقاربة الخطو، وقيل: لأنها ضخمة كأنها تطأ على شوك لثقل المشي عليها.

١١- يضوع: يذهب ريحه. أصورة: نفحات، وقال الأصمعي: تارات. أردان: جمع رُدْن وهي أطراف الأكمام. وشمل: طيبها يشمل فهو شمل وشامل.

١٢- الـروضة: القـطعة ينبت فيهـا ضروب من النبت، ريـاض الحزن أحسن من ريـاض الخفوض وأطيب رائحة. والعميم: التام الحسن.

١٣ - يضاحك الشمس: أي يدور معها حيثما دارت. وكوكب الروضة: نورها. والشرق: الريان الممتلىء ماء. ومؤزّر: مفعّل من الازار، يعني أن النبت أحاط به حتى صار لـه كالإزار. والمكتهل من النبت: ما طال وبلغ منتهاه وظهر نوره.

١٤- النشر: الرائحة الـطيّبة. والأصـل: جمع أصيـل، وهو العشي وقيـل: من العصر إلى العشاء وإنما خص هذا الوقت لأن النبت يكون فيه أحسن ما يكون، لتباعد الشمس والقرّ عنه.

١٥ - عرض له أمر: إذا أتاه على غير تعمد. علقها وعلق بها: أحبها.

١٦- ما يحاولها: ما يريدها ولا يطلبها. والوهل: الذاهب العقل.

١٧ - علقتني: أحبتني ولم أحبها. تلائمني: توافقني. وتبل: كأنه أصيب بتبل أي بذحل.

١٨ - فَكُلُّنـا مُغْرمٌ يَهْـذِي بِصَاحِبِـهِ ... نَـاءٍ وَدَانٍ وَمَحْبُـولٌ وَمُحْتَبِـلُ
١٩ - صَـدَّتْ هُـرَيْـرَةُ عَنَّـا مـا تُكَلِّمُنـا ... جَهْـلاً بِـأُمِّ خُلَيْـدٍ حَبْـلَ مَنْ تَصِـلُ
٢٠ - أَأَنْ رَأَتْ رَجُـلاً أَعْشَى أَضَرَّ بِـهِ ... رَيْبُ المَنُـونِ وَدَهْـرٌ مُفْنِـدٌ خَبِـلُ
٢١ - قَـالَتْ هُرَيْـرَةُ، لَمَّا جِئْتُ زَائِـرَهَـا ... وَيْـلاً عَلَيْكَ وَوَيْـلاً مِنْكَ يَـا رَجُـلُ
٢٢ - إِمَّـا تَـرَيْنَـا حُفَـاةً لا نِعَـالَ لَنَـا ... إِنَّـا كَـذَلِـكَ مَـا نَحْفَى وَنَنْتَعِـلُ
٢٣ - وَقَـدْ أُخَـالِسُ رَبَّ البَيْتِ غَفْلَتَـهُ ... وَقَـدْ يُحَـاذِرُ مِـنِّي ثُـمَّ مَـا يَئِـلُ
٢٤ - وَقَـدْ أَقُـودُ الصِّبـا يَـوْمـاً فَيَتْبَعُنِي ... وَقَـدْ يُصَـاحِبُنِي ذو الشِّـرَّةِ الغَـزِلُ
٢٥ - وَقَـدْ غَدَوْتُ إِلى الحَـانُوتِ يَتْبَعُنِي ... شَـاوٍ مِشَـلٌّ شَلُولٌ شُلْشُـلٌ شَـوِلُ
٢٦ - فِي فِتْيَةٍ كَسُيوفِ الهِنْـدِ قَدْ عَلِمُـوا ... أَنْ لَيْسَ يَـدْفَـعُ عَنْ ذِي الحِيلَةِ الحِيَـلُ
٢٧ - نَـازَعْتُهُم قُضُبَ الرَّيْحَـانِ مُتَّكِئـاً ... وَقَـهْـوَةً مُـزَّةً رَاوُوقُـهـا خَـضِـلُ

١٨- المغرم: المولع، والغرام: الهلاك. والنائي: البعيد. وروى الأصمعي: ومحول ومحتبل وإنما هو من الحبالة وهي الشرك التي يصطاد بها. أي كلنا موثق عند صاحبه. وروى أبو عبيدة: ومحبول ومحتبل، وقال: معناه مصيد وصائد.

١٩- روى أبو عبيدة: صدَّت خليدة، وقال: هي هريرة وهي أم خليد. وقوله: «حبل من تصل» استفهام فيه معنى التعجب أي حبل من تصل إذا لم تصلنا ونحن فوادّها.

٢٠- الرَّيب: صرف الدهر وحوادثه. المنون: الدهور وقد يأتي جمع منية: وهي الموت. ومفند: من الفند وهو الفساد. وخبل: من الخبال.

٢١ - زائرها: زائراً لها. وقوله: يا رجل بمعنى يا أيها الرجل.

٢٢- إن ترينا نتبذّل مرة ونتنعم مرة، فكذلك سبيلنا، وقيل المعنى: إن ترينا نستغني مرة ونفتقر مرة، وقيل: إن ترينا نميل إلى النساء مرة ونتركهن أخرى.

٢٣ - خالس: فاعل من خلس الشيء، إذا أخذه في نهزة ومخاتلة. ووأل: نجا.

٢٤- الشِّرَّة: النشاط والرغبة، ويروى ذو الشارة والشارة الهيئة الحسنة. الغزل: الذي يحب الغزل.

٢٥ - الحانوت: بيت الخمار. شاو: شوّاء. نشول: ينشل اللحم من القدر إلى القوم حاذق بذلك.

٢٦ يقول: هم في صرامتهم كالسيوف الهندية.

٢٧ - أي نازعتهم حسن الأحاديث وظريفها. والقهوة: الخمر. راووقها: إناؤها. خضل: الدائم الندى، وصفه بذلك لكثرة استعمالهم إياه.

٢٨ - لا يَسْتَفِيقُونَ مِنْها وَهِيَ رَاهِنَةٌ إلا بِهاتِ وَإنْ عَلُّوا وَإنْ نَهِلُوا

٢٩ - يَسْعَى بِهَا ذُو زُجاجاتٍ لَهُ نُطَفٌ مُقَلِّصٌ أَسْفَلَ السِّرْبالِ مُعْتَمِلُ

٣٠ - وَمُسْتَجِيبٍ تَخالُ الصَّنْجَ يَسْمَعُهُ إذا تُرَجِّعُ فِيهِ القَيْنَةُ الفُضُلُ

٣١ - والسَّاحِبَاتِ ذُيُولَ الرَّيْطِ آوِنَةً والرَّافِلاتِ عَلَى أعجازِها العِجَلُ

٣٢ - مِنْ كُلِّ ذَلِكَ يَوْمٌ قَدْ لَهَوْتُ بِهِ وَفِي التَّجارِبِ طُولُ اللَّهْوِ والغَزَلُ

٣٣ - وَبَلْدَةٍ مِثْلِ ظَهْرِ التُّرْسِ موحِشَةٍ لِلجِنِّ بِاللَّيْلِ فِي حَافاتِها زَجَلُ

٣٤ - لا يَتَمَنَّى لَهَا بِالْقَيْظِ يَرْكَبُها إلّا الَّذِينَ لَهُمْ فِيها أَتَوا مَهَلُ

٣٥ - قَطَعْتُها بِطَلِيحٍ حُرَّةٍ سُرُحٍ فِي مِرْفَقَيْها إذا اسْتَعْجَلْتَها فَتَلُ

٣٦ - بَلْ هَلْ تَرَى عارِضاً قَدْ بِتُّ أرمُقُهُ كأنّما البَرْقُ في حافاتِهِ الشُّعَلُ

---

٢٨ - لا يستفيقون: أي شربهم دائم ليس لهم وقت معلوم يشربون فيه. الراهنة: الدائمة. والعلل: الشرب الثاني والنهل: الشرب الأول.

٢٩ - يسعى بها الساقي عليهم. قال: والنطف: اللؤلؤ العظام وقيل: القرطة. ومقلّص: مشمِّر. والسربال: القميص. والمعتمل: الدائب النشيط.

٣٠ - المستجيب: العود أي أنه يجيب الصنج، وقال أبو عمرو: يعني بالمستجيب العود شبه صوته بصوت الصنج فكأن الصنج دعاه فأجابه. والفضل: التي في ثياب فضلتها أي مباذلها. والقينة عند العرب الأمة مغنية كانت أو غير مغنية.

٣١ - ويروى ذيول الخز. والخز ضرب من الثياب تنسج من صوف وحرير. والريط: جمع ريطة، وهي كل ثوب لين رقيق. والرافلات: النساء اللواتي يرفلن ثيابهن، أي يجررنها. العجل: جمع عجلة، وهي المزادة الصغيرة (قربة الماء). وذكر التبريزي أن أبا عبيدة ذهب إلى أنه شبه أعجازهن لضخمها بالعجل، ثم حكى عن الأصمعي أنه قال: «أراد أنهن يخدمنه معهن العجل فيها الخمر».ا. ه.

٣٢ - الغزل: محادثة النساء. يقول لهوت في تجاربي وغازلت.

٣٣ - الزجل: اللعب، والجلبة. مثل ظهر الترس: أي مستوية معتدلة.

٣٤ - لا ينقى لها: أي لا يسمو إلى ركوبها إلا الذين لهم فيها أتوا مهل وعدّة، يصف شدتها. والمهل: التقدم في الأمر والهداية قبل ركوبها.

٣٥ - الطليح: من صفة الناقة، أي معيية. والجسرة: الضخمة. والسرح: السهلة السير. والفتل: تباعد مرفقي الناقة عن جنبيها.

٣٦ - العارض: السحاب المعترض في الأفق. ورمق الشيء: أتبعه بصره يتعهده وينظر إليه ويرقبه.

٣٧ ـ لَـهُ رِدَافٌ وَجَوْزٌ مُفْـأَمٌ عَمِـلٌ مُنَطَّقٌ بِسِجَالِ الماءِ مُتَّصِلُ
٣٨ ـ لم يُلْهِنِي اللَّهْوُ عَنْهُ حِينَ أرقُبُهُ وَلاَ اللَّذاذَةُ مِنْ كَأْسٍ ولا شُغُلُ
٣٩ ـ فَقُلْتُ للشَرْبِ في دُرْنا وقد ثَمِلُوا شِيمُوا وَكَيْفَ يَشِيمُ الشَّارِبُ الثَّمِلُ
٤٠ ـ قَالُوا نُمارٌ فَبَطْنُ الخالِ جادَهُما والعَسْجَدِيَّة فَالأَبْواءُ فَالرِّجَلُ
٤١ ـ والسُّفْحُ يَجْرِي فَخِنْزِيرٌ فَبُرْقَتُهُ حَتَّى تَدَافَعَ مِنْهُ الرَّبْوُ والحُبَلُ
٤٢ ـ حتَّى تَحَمَّلَ مِنْهُ الماءَ تَكْلِفَةً رَوْضُ القَطَا فَكَثِيبُ الغينَة السَّهَلُ
٤٣ ـ يَسْقِي دِيَاراً لَها قد أَصْبَحَتْ غَرَضاً بِمَا تُجَانَفَ عَنْها القَوْدُ والرَّسَلُ
٤٤ ـ أَبْلِغْ يزِيدَ بَنِي شَيْبَانَ مَأْلُكَةً أَبَا ثُبَيْتٍ أما تنفَكُّ تَأْتَكِلُ
٤٥ ـ أَلَسْتَ مُنْتَهِياً عن نَحْتِ أَثْلَتِنَا وَلَسْتَ ضَائِرَهَا ما أَطَّتِ الإِبِلُ
٤٦ ـ تُغْرِي بِنَا رَهْطَ مَسْعودٍ وَإخوَتَهُ يَوْمَ اللِّقَاءِ فَتُرْدِي ثُمَّ تَعْتَزِلُ

٣٧- رداف: أي سحاب قد ردفه من خلفه. وجوز كل شيء: وسطه. والمفام: العظيم الواسع. وعمل: دائم البرق. ومنطق: أي قد أحاط به فصار بمنزلة المنطقة. وقوله: «متصل» أي ليس فيه خلل.

٣٨ ـ ويروي: ولا كسل، ولا ثقل.

٣٩- درنا: باب من أبواب فارس، وهي دون الحيرة بمراحل، وكان فيها أبو ثبيت الذي ذكره. وقيل: دزنا باليمامة وشيموا: انظروا إلى البرق وقدروا أين صوبه. والثمل: السكران.

٤٠- ويروى فالأبواء فهذه كلها مواضع. والرجل: مسايل الماء واحدها رجلة. جادهما: بمعنى الجود.

٤١ ـ السُّفح وخنزير: موضعان. والبرقة: أرض ذات رمل وحجارة وطين. والربو: ما نشز من الأرض. والحبل: أرض أو جبل.

٤٢ ـ تحمل روض القطا ما لا يطيق إلا على مشقة لكثرته. والفينة: الأرض الشجراء.

٤٣ ـ تجانف عن الشي: عدل عنه. والقور: الخيل. والرسل: الإبل. يريد أن أهل هذه الديار أعزاء لا يقوى على غزوهم أحد فقد تجانف عنها الخيل والإبل.

٤٤ ـ المالكة: الرسالة. وائتكل الرجل وتأكل: غضب وهاج وكاد يأكل بعضه بعضاً.

٤٥ ـ أثلة كل شي: أصله.

والمعنى: أنك تكلف نفسك ما لا تصل إليه ويرجع ضرره عليك.

٤٦ ـ تفري: تضرب بيننا وبينهم وكأنه قال: تلصق بيننا وبينهم العداوة من الفراء. وتردي: تهلك.

٤٧ ـ كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْمَاً لِيَفْلِقَهَا   فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الوَعِلُ
٤٨ ـ لا أعْرِفَنْكَ إنْ جَدَّتْ عَداوَتُنا   والتَمِسَ النَصْرُ مِنْكُمْ عَوْضَ تَحْتَمِلُ
٤٩ ـ تُلْحِمُ أبْناءَ ذي الجَدَّينِ إنْ غَضِبُوا   أرْماحُنا ثم تلقاهُم وتَعْتَزِلُ
٥٠ ـ لا تَقْعُدَنَّ وَقَدْ أكَّلْتَها حَطَباً   تعوذُ من شَرِّها يَوْمَاً وَتَبْتَهِلُ
٥١ ـ سَائِلْ بَني أَسَدٍ عَنَّا فَقَدْ عَلِمُوا   أنْ سَوْفَ يَأْتِيكَ مِنْ أنْبائِنا شَكَلُ
٥٢ ـ وَاسْأَلْ قُشَيراً وَعَبْدَاللهِ كُلَّهُمُ   واسْأَلْ رَبِيعَةَ عَنَّا كَيْفَ نَفْتَعِلُ
٥٣ ـ إنَّا نُقَاتِلُهُم حتَّى نُقَتِّلَهُم   عِنْدَ اللِّقاءِ وَإنْ جارُوا وَإنْ جَهِلُوا
٥٤ ـ قَدْ كانَ في آلِ كَهْفٍ إنْ هُمُ احتَرَبُوا   والجاشِرِيَّةِ ما تَسعى وَتَنْتَضِلُ
٥٥ ـ إنِّي لعمروُ الذي حَطَّت مَناسِمُها   تَخْدِي وَسِيقَ إلَيْهِ البَاقِرُ الغُيُلُ
٥٦ ـ لَئِنْ قَتَلْتُم عَمِيداً لَمْ يَكُنْ صَدَداً   لَنَقْتُلَنْ مِثْلَهُ مِنْكُم فَنَمْتَثِلُ
٥٧ ـ وَإنْ مُنِيتَ بِنَا عَنْ غِبِّ مَعْرَكَةٍ   لا تُلْفِنا مِنْ دِمَاءِ القَوْمِ نَنْتَفِلُ

---

٤٧ ـ أوهي الشي: أضعفه. الوعل: الأيّل والأنثى أرويّة.
والمعنى: أنك تكلف نفسك ما لا تصل إليه ويرجع ضرره عليك.
٤٨ـ عوض: دهر وأبد: ويقال: احتمل الرجل: إذا أغضب ويروى تحتمل: أي تذهب وتترك قومك.
٤٩ ـ تلحم: تجعلهم لحمة، اي تطمعهم إياهم. والشوكة: السلاح.
٥٠ ـ أكلّتها: أججتها. وتبتهل: تدعو إلى الله من شرِّها.
٥١ ـ شكل: اي ازواج خبر بعد خبر، وشكل: اختلاف
٥٢ ـ الافتعال: الابتكار والإتيان بالشيء العظيم.
٥٣ ـ الجور: الظلم والتعدي.
٥٤ـ آل كهف من بني سعد بن مالك بن ضبيعة. ويروى إن هم قعدوا. فالمعنى: إن قعدوا هم فلم يطلبوا بثأرهم فقد كان فيهم من يسعى وينتضل لهم. والجاشرية: امراة من أياد قيل: هي بنت كعب بن مامه.
يقول: قد كان لهم من يسعى لهم فما دخولك بينهم ولست منهم.
٥٥ـ حطّت: أسْرَعَتْ. المناسم: أطراف اخفافها. تخدي: تسير سيراً شديداً فيه اضطراب. والباقر: البقر. الغيل: الكثير.
٥٦ ـ العميد: السيد. الصدد: المقارب. فنمتثل: اي نقتل الأمثل فالأمثل.
٥٧ ـ منيت: ابتليت. والانتفال: الجحود. اي لم ننتفل من قتلنا من قومك ولم نجحد.

٥٨ - لا يَنْتَهُونَ ولا يَنْهى ذَوِي شَطَطٍ ... كـالطَّعْنِ يَهْلِكُ فِيـهِ الزَّيْتُ والفُتُـلُ
٥٩ - حتّى يَظَلَّ عَمِيدُ الحيِّ مـرتفِقاً ... يَـدْفَعُ بـالرَّاحِ عَنْـهُ نِسْوَةٌ عُجُـلُ
٦٠ - أَصَـابَـهُ هِنْـدوانيٌّ فَـأَقْصَـدَهُ ... أو ذابِـلٌ مِنْ رِمَـاحِ الخَطِّ مُعْتَـدِلُ

٦١ - كَـلَّا زَعَمْتُم بِأَنَّـا لاَ نُقَـاتِلُكُم ... إنّا لأَمْثَـالِكُم يـا قَـوْمَنـا قُتُـلُ
٦٢ - نَحنُ الفَوارِسُ يومَ الحِنْوِ ضَاحِيَةً ... جَنْبَيْ فُـطَيمَـةَ لا مِيـلٌ ولا عُـزُلُ
٦٣ - قَـالُوا الطِّرادُ فَقُلْنـا تلك عـادَتُنـا ... أَوْ تَـنْـزِلُـونَ فَـإِنَّـا مَـعْشَرٌ نُـزُلُ
٦٤ - تَخْضِبُ العَيْرَ مِنْ مَكْنُونِ فَائِلِهِ ... وقـد يَشيطُ عـلى أَرْمَـاحِنـا البَـطَلُ

---

٥٨ - الشطط: الجور. يهلك فيه الزيت: أي يذهب فيه لسعته.

والمعنى: لا ينهى أصحاب الجور مثل طعن جائف يغيب فيه الزيت والفتل.

٥٩ - ويروى متكئاً والمعنى واحد. والرّاح: جمع راحة. والعجل: جمع عجول، وهي الثكل، وقيل: المعنى حتى يظل سيد الحي تدفع عنه النساء بأكفهن لئلا يقتل لأن من يدفع عنه من الرجال قد قتل، وقيل: المعنى يدفعن عنه لئلا يوطأ بعد القتل.

٦٠ - الهندواني: سيف منسوب إلى الهند. وأقصده: قتله مكانه. والرمح الذابل: الدقيق الذي لصق ليطه - أي قشره به، قال الأصمعي: الخط ما أشرف من عمان على البحرين.

٦١ - كلا: ردع وزجر وقد تكون رداً لكلام، وفيه معنى الردع والزجر أيضاً. وقُتُل: جمع قتول من أبنية التكثير.

٦٢ - ضاحية: علانية. فطيمة: هي فاطمة بن حبيب بن ثعلبة. والميل: جمع أميل، وهو الذي لا يثبت في الحرب. والعزل: يجوز أن يكون جمع أعزل وهو الذي لا رمح معه.

٦٣ - يقول: إن طاردتم بالرماح فتلك عادتنا وإن نزلتم تجالدون بالسيوف نزلنا.

٦٤ - الفائل: عرق يجري من الجوف إلى الفخذ ومكنون الفائل: الدم. يشيط: يهلك، وقيل: يرتفع. العير: الحمار أهلياً كان أو وحشياً.

عَبيد بن الأبرص

توفي سنة ١٧ قبل الهجرة ٦٠٥ للميلاد

هو عبيد (بفتح العين وكسر الموحدة) بن الأبرص بن عوف بن جشم بن عامر بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر الأسد الشاعر من فحول شعراء الجاهلية.

مكانته في الشعراء:

عده ابن سلام في الطبقة الرابعة وقرنه بطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة التميمي وعدي بن زيد العبادي: قال: وعبيد بن الأبرص قديم عظيم الشهرة وشعره مضطرب ذاهب لا أعرف له إلا قوله:

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

قال: ولا أدري ما بعد ذلك. وقال الجاحظ: إن عبيداً وطرفة دون ما يقال عنهما إن كان شعرهما ما في يد الناس فقط وقد أشار أبو العلاء المعري إلى اختلال بائيته بقوله:

وقد يخطىء الرأي امرؤ وهو حازم كما اختل في وزن القريض عبيد

شيء من أخباره:

وسبب قوله للشعر أنه كان محتاجاً ولم يكن له مال فأقبل ذات يوم ومعه

غنيمة له ومعه أخته ماوية ليوردا غنمهما فمنعه رجل من بني مالك بن ثعلبة وجبهه أي قابله بما يكره فانطلق حزيناً مهموماً من الذي صنع به المالكي حتى أتى شجرات فاستظل تحتهن فنام هو وأخته فزعموا أن المالكي نظر إليه وأخته إلى جنبه فقال:

ذاك عبيد قد أصاب ميا   يا ليته ألقحها صبيا
فحملت فولدت ضاويا

«ضاوياً» أي ضعيفاً والعرب تزعم أن نكاح القرائب مثل بنات العم والخال ونحوها يضعف الابن فكيف بالأخت، فسمعه عبيد فرفع يديه ثم ابتهل فقال: اللهم إن كان فلان ظلمني ورماني بالبهتان فأدلني منه أي اجعل لي منه دولة وانصرني عليه ووضع رأسه فنام ولم يكن قبل ذلك يقول فأتاه آت في المنام بكبة من شعر حتى ألقاها في فيه ثم قال: قم فقام وهو يرتجز ويتغنى ببني مالك وكان يقال لهم بنو الزينة:

أيا بني الزنية ما غركم   فلكم الويل بسربال حجر

ثم استمر بعد ذلك في الشعر وكان شاعر بني أسد غير مدافع وأدرك حجراً أبا امرىء القيس.

معلقة عبيد بن الأبرص

١ - أقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ ... فالقُطَبِيَّاتُ فالذَّنُوبُ
٢ - فَرَاكِسٌ فَثُعَيْلِبَاتٌ ... فَذاتُ فِرْقَيْنِ فالقَلِيبُ
٣ - فَعَرْدَةٌ فَقفاحِبِرٌ ... لَيْسَ بِهَا مِنْهُمُ عَرِيبُ
٤ - وَبُدِّلَتْ مِنْ، أهْلِهَا وُحُوشاً ... وَغَيَّرَتْ حَالَها الخُطُوبُ
٥ - أرضٌ تَوارَثُها شَعُوبُ ... وَكُلُّ مَنْ حَلَّها مَحْرُوبُ
٦ - إمَّا قَتِيلاً وإمَّا هَالِكاً ... والشَّيْبُ شَيْنٌ لِمَنْ يَشِيبُ
٧ - عَيْنَاكَ دَمْعُهُما سَرُوبُ ... كَأَنَّ شَأْنَيْهِما شَعِيبُ
٨ - وَاهِيَةٌ أو مَعِينٌ مُمْعِنٌ ... أوْ هَضْبَةٌ دُونَها لُهُوبُ
٩ - أوْ فَلَجٌ وَادٍ بِبَطْنِ أرْضٍ ... لِلْمَاءِ مِنْ بَيْنِهِ سُكُوبُ
١٠ - أو جَدْوَلٌ في ظِلالِ نَخْلٍ ... لِلْمَاءِ مِنْ تَحْتِهِ قَسِيبُ

---

١ - ملحوب: اسم ماء لبني أسد. القطبيات: جبل. الذنوب: موضع في ديار بني أسد.

٢ - راكس وثعيلبات: موضعان. ذات فرقين: هضبة لبني أسد. القليب: البئر ولعله هنا اسم موضع.

٣ - عردة: مكان. قفاحبر: جبل في ديار بني سليم. عريب: أحد، يقال: ليس في الدار عريب أي أحد.

٤ - الخطوب: الحوادث. نائبات الدهر.

٥ - شعوب: المنية. محروب: مسلوب.

٦ - يريد إما أن يكون ذلك المحروب قتيلاً وإما أن يكون هالكاً. وقوله: والشيب شين يقول: إن لم يقتل وعمر حتى يشيب فشيبه شين له وكان يستحبون أن يموت الرجل وفيه بقية قبل أن يفرط به الكبر.

٧ - سروب: من سرب الماء يسرب. والشعيب: المزادة المنشقة. والشأن: مجرى الدمع.

٨ - المعين: الذي يأتي على وجه الأرض من الماء فلا يرده شيء. والممعن: المسرع. واللهوب: جمع لهب وهو شق في الجبل. يقول: كأن دمعه ماء يمعن من هذه الهضبة منحدراً وإذا كان كذلك كان أسرع له إذا انحدر إلى أسفل وفي أسفله لهوب.

٩ - فلج: نهر صغير. وقسيب الماء وأليله ونجيجه وعجيجه صوت جريه.

١٠ - الجدول: النهر الصغير. وسكوب: أراد انسكاب فلم تمكنه القافية.

١١ - تَصْبُو فأنّى لكَ التّصابي أنّى وَقَدْ راعَكَ المَشيبُ
١٢ - إنْ تَكُ حالَتْ وَحُوِّلَ أهْلُها فَلا بَدِيءٌ وَلا عَجيبُ
١٣ - أوْ يَكُ أقْفَرَ مِنْها جَوُّها وَعادَها المَحْلُ وَالجُدُوبُ
١٤ - فَكُلُّ ذي نِعْمَةٍ مَخْلوسٌ وَكُلُّ ذي أمَلٍ مَكْذوبُ
١٥ - وَكُلُّ ذي إبِلٍ مَوْرُوثٌ وَكُلُّ ذي سَلَبٍ مَسْلوبُ
١٦ - وَكُلُّ ذي غَيْبَةٍ يَؤوبُ وَغائِبُ المَوْتِ لا يَؤوبُ
١٧ - أعاقِرٌ مِثْلُ ذاتِ رِحْمٍ أمْ غانِمٌ مِثْلُ مَنْ يَخيبُ
١٨ - أفْلِحْ بِما شِئْتَ فَقَدْ يُبلَغُ بالـ ضَعْفِ وَقَدْ يُخْدَعُ الأرِيبُ
١٩ - لا يَعِظُ النّاسُ مَنْ لَمْ يَعِظِ الـ دَّهْرُ ولا يَنْفَعُ التّلْبيبُ
٢٠ - إلا سَجِيّاتِ ما القُلوبُ وَكَمْ يُصَيِّرَنْ شانِئاً حَبيبُ

١١ - تصبو من الصبوة يعني الفسق «أنى لك» أي كيف لك بهذا بعدما قد صرت شيخاً. وراعك: أفزعك.

١٢ - حالت: تغيرت عن حالها. وحوّلوا: نقلوا. والبديء: أي ليس أول ما خلا من الديار، وليس ذلك بعجب وقد يكون بديء بمعنى عجيب رأيت أمراً بديئاً وفرياً أي عجيباً.

١٣ - جَوُّها: وسطها. وعادها: أصابها. والمحل والجدب واحد.

١٤ - المخلوس والمسلوب واحد، أي كل من أمَّل أملاً مكذوب أي لا ينال كل ما يؤمل.

١٥ - يروى مورثها أي يورثها غيره. يقول: من كان له شيء سلبه من غيره فهو يُسلب يوماً أيضاً ولم يدم ذلك له.

١٦ - يؤوب: يرجع.

١٧ - العاقر من النساء: التي لا تلد، ومن الرمال التي لا تنبت شيئاً أراد بذات رحم: الولود أي لا تستوي التي تلد والتي لا تلد. ولا يستوي من خرج فغنم ومن خرج فرجع خائباً

١٨ - قال ابن الاعرابي: هذا البيت ليزيد بن ضبة الثقفي.

١٩ - التلبيب: تكلف اللب أي العقل. أي من لم يتعظ بالدهر فإن الناس لا يقدرون على عظته.

٢٠ - السجيات: الواحدة سجية. الطبيعة والخلق. والشانيء: المبغض يقول: كثيراً ما يتحول العدو صديقاً.

٢١ - سَاعِدْ بِأَرْضٍ إذا كُنْتَ بِهَا ... ولا تَقُلْ إنَّني غَرِيبُ
٢٢ - قد يُوصَلُ النَّازِحُ النَّائي وَقَدْ ... يُقْطَعُ ذو السُّهْمَةِ القَرِيبُ
٢٣ - مَنْ يَسْلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ ... وَسَائِلُ اللهِ لا يَخِيبُ
٢٤ - والمَرْءُ مَا عَاشَ في تَكْذِيبٍ ... طُولُ الحَيَاةِ لَهُ تَعْذِيبُ
٢٥ - بَلْ رُبَّ مَاءٍ وَرَدْتُ آجِنٍ ... سَبِيلُهُ خَائِفٌ جَدِيبُ
٢٦ - رِيشُ الحَمَامِ على أَرْجَائِهِ ... لِلْقَلْبِ مِنْ خَوْفِهِ وَجِيبُ
٢٧ - قَطَعْتُهُ غُدْوَةً مُشِيحاً ... وَصَاحِبِي بَادِنٌ خَبُوبُ
٢٨ - عَيْرَانَةٌ مُؤْجَدٌ فَقَارُهَا ... كَأَنَّ حَارِكَهَا كَثِيبُ
٢٩ - أَخْلَفَ مَا بَازِلاً سَدِيسُهَا ... لاحِقَّةٌ هِيَ ولا نَيُوبُ
٣٠ - كَأَنَّهَا مِنْ حَمِيرِ غَابٍ ... جَوْنٌ بِصَفْحَتِهِ نُدُوبُ

٢١- النازح والنائي: واحد. السهمة: القسمة، النصيب.
يقول: يعق الناسُ ذا قرابتهم ويصلون الأباعد فلا يمنعنك إذا كنت في غربة أن تخالط الناس بالمساعدة لهم.
٢٤- الحياة كذب وطولها عذاب على من أعطيها لما يقاسي من الكبر وغيره من غير الدهر.
٢٥ - آجن: متغير الطعم والرائحة. خائف: مخوف المسلك.
٢٦- أرجاؤه: نواحيه. والوجيب: الخفقان.
٢٧- مشيحاً أي مجداً في السير. البادن: الناقة الجسيمة. وخبوب: التي تمشي خبباً. قطعته يعني الماء.
٢٨- العيرانة: التي تشبه العير أي الحمار الوحشي في سرعتها. المؤجد: الموثق. فقارها: خرز ظهرها. حاركها: سنامها. الكثيب: التل من الرمل.
٢٩ - البازل: السنّ التي تطلع بعد إلقاء السديس. السديس: ينبت قبل البازل. الحقة: الناقة المسنة. النيوب: الناقة الهرمة. أخلف: أتي عليها سنة بعدما بزلت.
٣٠- الجون: الأبيض، والأسود. ندوب: الواحد ندب: الجرح، وقيل: آثار العض.
والمعنى: كأن هذه الناقة حمار جون والجون يكون أبيض وأسود. وصفحته: جنبه.

٣١ - أَوْ شَبَبٌ يَحْفِرُ الرُّخَامَى تَلُفُّهُ شَمْأَلٌ هَبُوبُ

٣٢ - فَذَاكَ عَصْرٌ وَقَدْ أَرَانِي تَحْمِلُنِي نَهْدَةٌ سُرْحُوبُ

٣٣ - مُضَبَّرٌ خَلْقُهَا تَضْبِيراً يَنْشَقُّ عَنْ وَجْهِهَا السَّبِيبُ

٣٤ - زَيْتِيَّةٌ نَاعِمٌ عُرُوقُهَا وَلَيِّنٌ أَسْرُهَا رَطِيبُ

٣٥ - كَأَنَّهَا لِقْوَةٌ طَلُوبُ تُخْزَنُ فِي وَكْرِهَا الْقُلُوبُ

٣٦ - بَاتَتْ عَلَى إِرَمٍ عَذُوباً كَأَنَّهَا شَيْخَةٌ رَقُوبُ

٣٧ - فَأَصْبَحَتْ فِي غَدَاةِ قِرَّةٍ يَسْقُطُ عَنْ رِيشِهَا الضَّرِيبُ

٣٨ - فَأَبْصَرَتْ ثَعْلَباً مِنْ سَاعَةٍ وَدُونَهُ سَبْسَبٌ جَدِيبُ

٣٩ - فَنَفَضَتْ رِيشَهَا وَانْتَفَضَتْ وَهْيَ مِنْ نَهْضَةٍ قَرِيبُ

---

٣١ - الشبب: الذي قد تم شبابه وسنه والمشب والشبوب واحد. والرخامى: نبت. والهبوب: الهابة.

٣٢ - أي ذاك دهر قد مضى فعلت فيه ذلك. ونهدة: فرس مشرفة. وسرحوب: سريعة سريحة السير سمحة. وقيل: طويلة الظهر.

٣٣ - مضبر: موثق. والسبيب: ههنا شعر الناصية. يقول: هي حادة البصر فناصيتها لا تستر بصرها.

٣٤ - ناعم عروقها أي ساكنة لصحتها. ولينٌ: من اللين. وأسرها: خلقها الذي خلقها الله عليه. رطيب: متثن وقيل نائم عروقها: أي ليست بناتئة العروق وهي غليظة في اللحم.

٣٥ - اللقوة: العُقاب. والقلوب: يعني قلوب الطير ويروى تيبس في وكرها القلوب.

٣٦ - إرم: رابية. والإرم: العلم. والعذوب: الذي لا يأكل شيئاً. والرقوب: التي لا يبقى لها ولد.

يقول: باتت لا تأكل ولا تشرب كأنها عجوز ثاكل يمنعها الثكل من الطعام والشراب.

٣٧ - ويروى في غداة قر، ويروى ينحط عن ريشها. والضريب: الجليد. وضربت الأرض إذا أصابها الضريب.

٣٨ - ويروى فأبصرت ثعلباً من ساعة، ويروى ودون موقعه شنخوب. والشناخيب: رؤوس الجبال. ويروى ودونها سريخ وهي الأرض الواسعة.

٣٩ - نفضت الجليد عن ريشها. والنهضة: الطيران.

٤٠ يَدُبُّ مِن حِسِّهَا دَبِيباً والعَيْنُ حِملاقُهَا مَقلُوبُ
٤١ ـ فَنَهَضَتْ نَحْوَهُ حَثِيثَةً وَحَرَدَتْ حَرْدَةً تَسِيبُ
٤٢ ـ فاشْتَالَ وارْتَاعَ مِنْ حَسِيسِهَا وَفِعْلَهُ يَفْعَلُ المَذْؤوبُ
٤٣ ـ فَأَدْرَكَتْهُ فَطَرَّحَتْهُ والصَّيْدُ مِنْ تَحْتِهَا مَكْرُوبُ
٤٤ ـ فَجَدَّلَتْهُ فَطَرَّحَتْهُ فَكَدَّحَتْ وَجْهَهُ الجَبُوبُ
٤٥ ـ يَضْغُو وَمِخْلَبُهَا فِي دَفِّهِ لا بُدَّ حَيْزُومُهُ مَنْقُوبُ

يقول: حين رأت الصيد بالغداة وقد وقع عليها الجليد نشرت ريشها وانتفضت رمت بذلك عنها ليمكنها الطيران.

٤٠ ـ يدبُّ: الضمير للثعلب، أي أنه لما أحس بها أخذ يدبُّ ليهرب. وقد انقلب حملاق عينه خوفا منها، والحملاق: باطن الأجفان.

٤١ ـ حردت قصدت إليه. تسيب: تسرع. يعني: طارت نحو الثعلب سريعة.

٤٢ ـ اشتال: رفع ذنبه. حسيسها: أي الصوت الخفي الذي تحدثه. المذؤوب: الذي روعه الذئب.

٤٣ ـ المكروب: الذي اشتد عليه الغم.

٤٤ ـ جدَّلته: طرحته على الجدالة أي الأرض. كدحت: جرحت. الجبوب: قالوا: هي الحجارة، وقيل: الأرض الصلبة، وقيل: القطعة من المدر، وقيل: وجه الأرض.

٤٥ ـ يضغو: يصيح. والضغاء: صياح الثعلب. والدف: الجنب. الحيزوم: الصدر. منقوب: مثقوب.

التعليق على المعلقات *

معلقة طرفة بن العبد

مجموع أبياتها : ١٠٥ موزعة فيما يلي :

٢ : فى الأطلال

٣ : فى موكب الارتحال

٥ : فى وصف الحبيبة

٣٣ : فى الناقة

٣٩ : فى الفخر الشخصى .

٤ : فى المسرف والممسك .

٧ : فى الموت والأيام .

١٢ : فى موقف ابن عمه منه

ومن بين هذا حكم تنتثر هنا وهناك فى مناسباتها .

بدأ طرفة معلقته بذكر الأطلال ووقوفه بها هو وأصحابه ، فظهر عليه الأسى ، حتى كاد يهلك :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد
وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد

ثم عاد بذكرياته إلى الماضى ، فاسترجع ساعة الفراق وعرض موكب الارتحال وضخامته وسيره السريع يشق الوديان والجبال غير مبال بما يصادفه من عوائق أو عقبات :

كأن حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد

وكانت فيه حبيبته الرشيقة ، ذات الشعر المنسدل والشفاه الشديدة الحمرة ، وقد نشأت فى نعمة ورعاية ، وبسمتها تفتر عن لثات ناضرات ، وأسنان ناصعة البياض شديدة البريق واللمعان ، ووجهها ناضر صاف نقى ، يشع جمالاً ودفئاً ، ويخطف البصر كأنه قرص الشمس :

* التعليق على المعلقات للدكتور على الجندى فى كتابه فى تاريخ الادب الجاهلى دار المعارف ١٩٨٤ .

وفى الحى أحوى ينفض المرد شادن ... مظاهر سمطى لؤلؤ وزبرجد
خذول تراعى ربربًا بخميلة ... تناول أطراف البرير وترتدى
وتبسم عن ألمى كأن منورًا ... تخلل حر الرمل دعص له ند
سقته اياة الشمس إلا لثاته ... أسف - ولم تكدم عليه - بإثمد
ووجه كأن الشمس حلت رداءها ... عليه نقى اللون لم يتخدد

وهنا يحس أن الهم قد تملكه . وأظلم عليه المكان ، وضاق الأفق حوله ، فلم يجد بدًا من اللجوء إلى مسلية همومه ، تلك هى ناقته ، فأخذ يصورها ، وكأنما يريد أن يجسمها فتتبعها جزئية جزئية بكل صغيرة وكبيرة من رأسها إلى أرجلها ، حتى ذنبها ، والشعرات التى تحت لحييها ، فتبدو فى تصويره : ناقة ضخمة ، جسمها قوى محكم البنيان ، مفتول العضلات وجمجمتها صلبة شديدة الألتئام ، وعنقها طويل مشرف يرتفع إذا سارت . وخدها أبيض مشرق خال من الشعر نقى ، ومشفرها طويل جميل الشكل ، وعيناها صافيتان لامعتان حادتا النظر نقيتان ، وأذناها فيهما حسن ونقاء ، تدلان على العتق والكرم ، حادتا السمع حتى للصوت الخفى ، ومشفرها الأعلى لين مشقوق مما يلى الأنف الذى إذا أو مأت به إلى الأرض ازدادت سيرًا ، وما تحت لحييها من الشعر أبيض مشوب بحمرة ، وظهرها متين محكم ، وفقاره قوية متراصة متدان بعضها من بعض ، وباطن عنقها شديد محكم ، وأطراف أظلافها مقوسة ، ويداها مفتولتان بعيدتان عن كركرتها ، وفخذاها قد اكتنز لحمها وفيهما طول ونعومة ، وأميلت عضداها نحو جنبين ، كأنهما سقف أحكم وضع لبناته ، وقلبها حديد ، شديد الارتياع ، قوى النبض ، خفيف ، مجتمع كأنه كتلة من صخر ، وذنبها قوى فيه شعر غليظ متين ، تدافع به عن نفسها وتحركه دائمًا فى نشاط وقوة ، فتارة تضرب به خلف الزميل ، وتارة تضرب به ضرعها البالى الخالى من اللبن ، ولا تترك حبال الرحل فى جسمها أثارًا إلا كما يترك وراد الماء آثار سيرهم فى صخرة ملساء .

كما تحدث الشاعر عن غذائها وسيرها وجريها ونشاطها وذكائها : فقد ربيت على أحسن الغذاء ، وهى معتادة الغدو والرواح . وسريعة السير وراكبها آمن ، فإذا ما سلكت طريقًا فيه آثار السير ، انطلقت كأنها فى سباق مع إبل بيض كرام سراع ، وكتفاها تتبعان يديها فى سهولة ويسر ، وحينما تجرى تميل على أحد شقيها فى تدفق لفرط نشاطها وهى طوع إرادة صاحبها إن

شاء أسرعت وإن شاء لم تسرع ، وتلبى صوت راعيها ، وأحياناً تتبختر فى مشيها تبختر الأمة أمام سيدها ، حين تجر أذيالها وتهز أعطافها .

ثم ختم حديثه عن الناقة بأنه عليها يخترق المسالك الوعرة ويجوب المغاور المهلكة لأنه هو الفتى المرجى عند الشدائد ، فكان ذلك افتتاحية للحديث عن نفسه فى فخر شخصى :

على مثلها أمضى إذا قال صاحبى ألا ليتنى أفديك منها وأفتدى
وجاشت إليه النفس خوفاً وخاله مصاباً ولو أمسى على غير مرصد
إذا القوم قالوا من فتى خلت أننى عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

وهنا تحدث عن نفسه بما يصوره شخصاً كريم الأخلاق ، ذا مكانة اجتماعية ممتازة ، وبطلاً شهماً ذائع الصيت : فهو لا يحل فى بيت متوار من الناس حتى لايعرفه ابن السبيل ولا الضيف ، وهو من بين ذوى الرأى فى المجتمعات ، وبين الشاربين فى الحوانيت ، وإن افتخر الناس ، فهو فى ذروة المجد ، ندماه من عليه القوم يسرف فى الإنفاق والاتلاف حتى غضبت منه العشيرة ، ويقصده الفقراء والأغنياء ، الأولون لأنه يعطيهم ، والأغنياء لمكانته وجلالته . ولا يستمع لمن يلومه على دخوله الحرب والتمتع بالملذات لأنه لا ضمان للخلود ، وهنا يذكر رأيه فى الحياة وهو رأى جاهلى لا يؤمن بالحياة الآخرة ، فيرى أن الحياة تنتهى بالموت وخير للإنسان أن يغتنم فرصة حياته ليتمتع نفسه بما يستطيع منها ولا يحرص على المال فلن يفيده شيئاً ، ولن يتميز قبر الممسك عن قبر المتلف ، فكلاهما كومة من تراب وحجارة ، فما يقوله :

ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أرفد
وإن تبغنى فى حلقة القوم تلقنى وإن تقتنصنى فى الحوانيت تصطد
وإن يلتق الحى الجميع تلاقنى إلى ذروة البيت الرفيع المصمد
وما زال تشرابى الخمور ولذتى وبيعى وإنفاقى طريفى ومتلدى
إلى أن تحامتنى العشيرة كلها وأفردت إفراد البعير المعبد
رأيت بنى غبراء لا ينكروننى ولا أهل هذاك الطراف الممدد
ألا أيهذا اللائمى أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى
فإن كنت لا تسطيع دفع منيتى فدعنى أبادرها بما ملكت يدى

فذرنى أروى هامتى فى حياتها ... مخافة شرب فى الحياة مصرد
كريم يروى نفسه فى حياته ... ستعلم إن متنا غدًا أينا الصدى
أرى قبر نحام بخيل بماله ... كقبر غوى فى البطالة مفسد
ترى جثوتين من تراب عليهما ... صفائح صم من صفيح منضد

وهنا يتحدث عن الموت والإنسان وعمره ، فيقول :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى ... عقيلة مال الفاحش المتشدد
أرى الدهر كنزًا ناقصًا كل ليلة ... وما تنقص الأيام والدهر ينفد
أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى ... بعيدًا غدا ما أقرب اليوم من غد
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى ... لكالطول المرخى وثنياه باليد
متى ما يشأ يومًا يقده لحتفه ... ومن يك فى حبل المنية ينقد

ثم يذكر أمانيه فى الحياة ومتعته منها ، كأنه يرى من صفاته التى يخلعها على نفسه أنه شخص كريم سمح الأخلاق يريد أن يعيش أيامه فى سلام وأمن ومتعة ، يحب الناس ويحبونه ، ويألفهم ويألفونه ، وهنا يتعجب من سلوك الظالمين والمعتدين والوشاة والمفسدين ، وبخاصة إذا كانوا من الأقارب الذين يجب أن يكونوا عونًا وسندًا ، وملجأ وأمنًا ، فسلوكهم المعيب بعضهم مع بعض مؤلم أشد الألم ، واعتداء أحدهم على الآخر شديد المرارة وأنكى من ضرب السيوف ، ولهذا يحز فى نفسه أن يكون له ابن عم يسىء إليه ، ويعتدى عليه مع أنه لا يستحق ذلك ، فيقول :

فمالى أرانى وابن عمى مالكًا ... متى أدن منه ينأ عنى ويبعد
يلوم وما أدرى علام يلومنى ... كما لامنى فى الحى قرط بن أعبد
وأيأسنى من كل خير طلبته ... كأنا وضعناه إلى رمس ملحد
على غير ذنب قلته غير أننى ... نشدت فلم أغفل حمولة معبد
وقربت بالقربى وجدك إننى ... متى يك أمر للنكيثة أشهد
وإن أدع للجلى أكن من حماتها ... وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهد
وإن يقذفوا بالقذع عرضك أسقهم ... بكأس حياض الموت قبل التهدد

فلو كان مولاى أمرأ هو غيره لفرج كربى أو لأنظرنى غدى
ولكن مولاى امرؤ هو خانق على الشكر والتسآل أو أنا مفتدى
بلا حدث أحدثته وكمحدث هجائى وقذفى بالشكاة ومطردى
وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

وهنا استشاط غضبًا ، وثارت حميته لهذا السلوك الذى يتنافى مع ما يستحقه من التكريم والتعظيم ، فانطلق ثانية مفتخرًا بنفسه ، فصفاته تجعله فى مصاف العظماء ، فهو وإن كان فقيرًا فإنه شديد نشيط ، ذو ذكاء وفطنة ، ولا يفارق كشحه السيف الذى لا يثنى ضربته ، وقطعه أسرع من الصوت وهو كريم ترهبه الإبل إذا دخل عليها بسيفه لأنها تعلم أنه لابد قاتلها وموته خسارة لاتعوض ، فلن يملأ فراغه إنسان ، وهو كريم طموح ، سريع إلى العظائم ، بطىء عن الدنايا ، نابه الذكر ، ذائع الصيت ، ويرهبه الجميع ، أفرادًا وجماعات ، لايغمه ولا يطول عليه ليل ، فلا تستعصى عليه مشكلة يحبس نفسه على الشدائد ، وفى الحروب ومواطن الهلاك ، ويدخل الميسر بدون انتظار مغنم ومن قوله فى هذا :

أنا الرجل الضرب الذى تعرفونه خشاش كرأس الحية المتوقد
فآليت لا ينفك كشحى بطانة لعضب رقيق الشفرتين مهند
حسام إذا ما قمت منتصرًا به كفى العود منه البدء ليس بمعضد
أخى ثقة لا ينثنى عن ضريبة إذا قيل مهلا قال حاجزه قدى
فإن مت فانعينى بما أنا أهله وشقى على الجيب يا ابنة معبد
ولا تجعلينى كامرئ ليس همه كهمى ولا يغنى غنائى ومشهدى
بطىء عن الجلى سريع إلى الخنا ذلول بأجماع الرجال ملهد
لعمرك ما أمرى على بغمة نهارى ولا ليلى على بسرمد

ثم يختم قصيدته بأن الحياة كثيرة العجائب ، والأيام تظهر الخفى ، وتسوق إليك من ينبئك بدون أن تكلفه أو تطلب منه :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود
ويأتيك بالأنباء من لم تبع له بتاتًا ولم تضرب له وقت موعد

بهذا نرى أن هذه المعلقة تصوير لشخصية فيها طموح ، وتنظر إلى الحياة نظرة خاصة ، ولها أمنيات تسعى لتحقيقها ولكن مع مرور الأيام يظهر لها ما ليس فى الحسبان .

معلقة لبيد بن ربيعة

عدد أبياتها : ٨٩ ، موزعة فيا يلى :

١١ : فى ديار الحبيبة .

١٠ : فى رحلة الحبيبة وبعدها وأثره

٣٣ : فى الناقة (منها) :

٣ : فى الناقة مباشرة .

١١ : فى الأتان والحمار الوحشى

١٩ : فى البقرة الوحشية

٢١ : فى الفخر الشخصى .

١٤ : فى الفخر القبلى .

بدأ لبيد معلقته بالحديث عن حال الديار وما آلت إليه . فقال إنها درست معالمها حتى كادت لاترى ، فقد هجرت منذ سنين وأصبحت لايدخلها آمن ولا خائف لخرابها ، وهطلت عليها سحب الربيع والأمطار الشديدة ، فى شدة أحيانًا ، وفى لين أحيانًا ، وفى الليل ، وفى الصباح ، وفى العشى ، وأيام الدجن ، برعود يتجاوب صداها فطال نباتها ، وتناسلت فيها قطعان البقر والظباء والشاء ، فوقف يسأل الأطلال ولكنه تعجب من سؤاله أثارًا صمًّا لا تستطيع الكلام :

عفت الديار محلها فمقامها	بمنى تأبد غولها فرجامها
رزقت مرابيع النجوم وصابها	ودق الرواعد جودها فرهامها
من كل سارية وغاد مدجن	وعشية متجاوب أرزامها
فعلا فروع الأيهقان وأطفلت	بالجلهتين ظباؤها ونعامها
والعين ساكنة على أطلائها	عوذًا تأجل بالفضاء بهامها
فوقفت أسألها وكيف سؤالنا	صمًّا خوالد ما يبين كلامها

ثم استعاد وقت الفراق ، فتحدث عن الظعائن الجميلات الرشيقات وكانت هوادجهن قد كسيت بالقماش والستائر ، وفرشت بالأثاث الفاخر ، وسار بهن الموكب حثيثًا ، فى وسط الوديان والجبال يلفها السراب :

شاقتك ظعن الحى يوم تحملوا   فتكنسوا قطنًا تصر خيامها
من كل محفوف يظل عصيه   زوج عليه كلة وقرامها
زجلا كأن نعاج توضح فوقها   وظباء وجرة عطفًا أرآمها
حفزت وزايلها السراب كأنها   أجزاع بيشة أثلها ورضامها

ثم عاد يسأل نفسه : وماذا تذكر ممن بعدت عنك ، وقد تقطع جديد وصلها وقديمه وهى ليست من أهلك ، وبينك وبينها مسافات بعيدة شاسعة ؟ ثم انتهى إلى قطع الصلة بمن تغير حاله :

بل ما تذكر من نوار وقد نأت   وتقطعت أسبابها ورمامها
مرية حلت بفيد وجاورت   أهل الحجاز فأين منك مرامها
فاقطع لبانه من تعرض وصله   ولشر واصل خلة صرامها

وقطع الصلة يكون بمفارقته والتسلية عنه . وخير ما يكون ذلك بالسفر على ناقة مدربة على الأسفار حتى صارت ضامرة ، ومها نالها من التعب والإعياء فإن نشاطها يظل كما هو ، فتجرى بسرعة شديدة :

بطليح أسفار تركن بقية   منها فأحنق صلبها وسنامها
فإذا تغالى لحمها وتحسرت   وتقطعت بعد الكلال خدامها
فلها هباب فى الزمام كأنها   صهباء راح مع الجنوب جهامها

ثم أراد أن يوضح سرعتها فصورها بصورة أتان قد استبان حملها تجرى هاربة من فحل يطاردها ، وهو حمار عنيف فيه آثار طرد الفحول وضربها بأرجلها وعضها ، فأخذ يعلو بها الهضاب والمرتفعات ، وقد رابه منها امتناعها عليه ورغبتها فيه ، وكانت الحجارة التى تجعل أعلامًا ليعرف بها الطريق تثير خوفها ، فينطلقان بسرعة أكثر . ولما أنقضى موسم البرد ، وكان

قد طال صيامها عن الماء . وجاء الصيف فتطايرت أشواك السنابل وهبت الريح الشديدة الحرارة ، عزما على ورود الماء ، فانطلقا مسرعين يثيران غبارًا كثيفًا يغطي الشمس ، وقد حرص الحمار على أن تكون الأتان أمامه حتى لا تحاول الفرار أو العدول عن الطريق ، إلى أن وصلا إلى جدول فتوسطا ناحية منه ، وشققا عينًا محاطة بقصب منه ما هو مائل ، ومنه ماهو قائم ، وذلك حيث يقول :

أو ملمع وسقت لأحقب لاحه ... طرد الفحول وضربها وكدامها
يعلو بها حدب الاكام مسحجًا ... قد رابه عصيانها ووحامها
حتى إذا سلخا جمادى ستة ... جزءًا وطال صيامه وصيامها
رجعا بأمرها إلى ذى مرة ... حصد ، ونجح صريمة إبرامها
ورمى دوابرها السفا وتهيجت ... ريح المصايف سومها وسهامها
فتنازعا سبطًا يطير ظلاله ... كدخان مشعلة يشب ضرامها
فمضى وقدمها وكانت عادة ... منه ، إذا هى عردت ، أقدامها
فتوسطا عرض السرى وصدعا ... مسجورة متجاورًا قلامها
محفوفة وسط اليراع يظله ... منها مصرع غابة وقيامها

ثم أراد أن يزيد السامع بيانًا عن سرعة ناقته ، فأورد لها صورة أخرى ، وهى صورة بقرة وحشية مذعورة ، أكل السبع ولدها ، فتخلفت عن القطيع ، وظلت فى الخميلة تبحث عن ولدها ، وتصيح به لئلا يكون النبات قد أخفاه ، ولكنه افترسته ذئاب كاسرة ، والتهمت أشلاءه على حين غفلة من أمه ، وباتت ليلة قاسية ، هطل فيها المطر غزيرًا على هذه الخميلة ، وتلبدت السماء بالغيوم ، فحجبت النجوم ، وأطبق الظلام ، وكانت البقرة بيضاء ، فبدت فى وسط السواد الحالك شديدة البياض ، وخيمت الرهبة والوحشة على المكان ، فامتلأت البقرة فزعًا ورعبًا ، وتملكها القلق والاضطراب فتنحت جانبًا ، واحتمت بشجرة طويلة الفروع فى طرف كثيب رملى ، ولكن المطر كان يهطل على ظهرها بغزارة فتزداد رعشة ، حتى إذا أسفر الصبح ، أسرعت مبكرة لتغادر مأواها ، ولكن قوائمها كانت تزلق ولا تثبت على الأرض لكثرة ما يهامن الطين ، وأخذت تجوب المكان ، وتتردد بين الغدران ذهابًا وجيئة سبعة أيام بلياليها فى حيرة وفزع . حتى يئست من العثور على ولدها ، وجف ضرعها ، وبينا هى فى

حزنها وكآبتها تسمعت صوتًا خفيفًا لناس لا تراهم ، — والناس دائمًا مصدر هلاكها — فازدادت رعبًا ، وأحست أن الخطر محدق بها من كل جانب ، فانطلقت بأقصى سرعة ، ولكن الصيادين تبعوها ، واستمروا فى مطاردتها حتى أعياهم إدراكها أو نيلها برماحهم ، فأطلقوا عليها كلابًا مدربة ضارية فلما أحست البقرة أن الكلاب على وشك اللحاق بها . التفتت إليهن وأنشبت فيهن قرونها الطويلة الحادة ، فصرعت منهن وأصابت .. فسرعة هذه البقرة صورة لسرعة ناقة الشاعر التى بها يقضى حاجته حين يشتد الحر ، ويكسو السراب جميع البقاع والوديان والجبال . وبها يؤدى ما عليه من الالتزامات حتى لا يكون عرضة للوم أو العتاب :

أفتلك أم وحشية مسبوعة … خذلت وهادية الصوار قوامها

خنساء ضيعت الفرير فلم يرم … عرض الشقائق طوفها وبغامها

لمعفر قهد تنازع شلوه … غبس كواسب ما يمن طعامها

صادفن منها غرة فأصبنها … إن المنايا لا تطيش سهامها

باتت وأسبل واكف من ديمة … يروى الخمائل دائمًا تسجامها

يجتاف أصلا قالصًا متنبذًا … بعجوب أنقاء يميل هيامها

يعلو طريقه متنها متواترًا … فى ليلة كفر النجوم ظلامها

وتضىء فى وجه الظلال منيرة … كجمانة البحرى سل نظامها

حتى إذا انحسر الظلام وأسفرت … بكرت تزل عن الثرى أزلامها

علهت تردد فى نهاء صعائد … سبعًا تؤاما كاملا أيامها

حتى إذا يئست وأسحق حالق … لم يبله إرضاعها وفطامها

وتسمعت رز الأنيس فراعها … عن ظهر غيب والأنيس سقامها

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه … مولى المخافة خلفها وأمامها

حتى إذا يئس الرماة وأرسلوا … غضفًا دواجن قافلا أعصامها

فلحقن واعتكرت لها مدرية … كالسمهرية حدها وتمامها

لتذودهن وأيقنت إن لم تذد … أن قد أحم مع الحتوف حمامها

فتقصدت منها كساب فضرجت … منها بدم وغودر فى المكر سخامها

فبتلك إذ رقص اللوامع بالضحى ... واجتاب أردية السراب أكامها
أقضى اللبانة لا أفرط ريبة ... أو أن يلوم بحاجة لوامها

وكان ذلك تمهيدًا للحديث عن نفسه بدأه بالقول لحبيبته أنه يصل من يستحق المواصلة ، ويقطع من يستحق المقاطعة ، ثم استمر قائلاً : إنه يترك الأمكنة التى يكرهها ، وكثيرًا ما قضى الليالى الحلوة اللذيذة ، وطرد البرد والقحط بالطعام والكساء وإيقاد النيران وهو البطل الحامى الذمار ، الكامل العدة والسلاح . تناط إليه حراسة أماكن الخطر فى الأوقات العصيبة ، ليلاً ونهارًا ، ومعه فرسه الكريمة السريعة الجرى ، القوية النشيطة مهما بذلت من جهد ، وكم من مواقف عنيفة قاسية ، كثيرة الأخطار ، مجهولة العواقب ، تصدى لها فأزهق باطلها ، وتحمل جميع التزاماتها ، وكثيرًا ما دعا فى الميسر إلى عقر أسمن النوق وأغلاها وبذل لحمها للمحتاجين ، وإذا نزل به الضيف أو الجار الغريب وجد عنده النعيم والخيرات :

أو لم تكن تدرى نوار بأننى ... وصال عقد حبائل جذامها
تراك أمكنة إذا لم أرضها ... أو يرتبط بعض النفوس حمامها
بل أنت لاتدرين كم من ليلة ... طلق لذيذ لهوها وندامها
قد بت سامرها وغاية تاجر ... وافيت إذ رفعت وعز مدامها
وغداة ريح قد وزعت وقرة ... إذ أصبحت بيد الشمال زمامها
ولقد حميت الخيل تحمل شكتى ... فرط وشاحى – إذ غدوت – لجامها
فعلوت مرتقبًا على مرهوبة ... حرج إلى أعلامهن قتامها
حتى إذا ألقت يدًا فى كافر ... وأجن عورات الثغور ظلامها
أسهلت وانتصبت كجذع منيفة ... جرداء يحصر دونها جرامها
ترقى وتطعن فى العنان وتنتحى ... ورد الحمامة إذ أجد حمامها
وكثيرة غرباؤها مجهولة ... ترجى نوافلها ويخشى ذامها
أنكرت باطلها وبؤت بحقها ... يومًا ولم يفخر على كرامها
وجزور أيسار دعوت لحتفها ... بمغالق متشابه أعلامها
أدعو بهن لعاقر أو مطفل ... بذلت لجيران الجميع لحامها
والضيف والجار الغريب كأنما ... هبطا تبالة مخصبًا أهضامها

ثم جره حديثه عن نفسه إلى الحديث عن قومه فافتخر بقبيلته ، قائلاً : إنهم مأوى الأرامل والأيتام والفقراء ، ويقدمون الطعام الكثير فى أوقات الجدب ، وهم فى المحافل عظماء الرجال ، يعتمد عليهم ، ويحملون الأعباء ، ويقومون بكل التكاليف والمشاق ، ويؤدون الحقوق ، ولايرد لهم قول ، كرماء سمحاء ، مجدهم تليد ، وهم أبطال ، كاملو العدة والسلاح ، ولا تخيب أفعالهم ، ولا تدنس أعراضهم ، ولا تميل عقولهم مع الهوى ، وبيتهم عالى الشرف ، الكهل منهم والغلام فى الذورة ، حباهم الله بالأخلاق الحسنة وأعطاهم أفضل الحظ من الأمانة ، يسعون فى الخير ، ويرجع إليهم فى كل أمر ، وخيرهم كثير فياض ، لاينال منهم حاسد ، ولا يلحقهم لوم حاقد :

تأوى إلى الأطناب كل رذية ... مثل البلية قالص أهدامها

ويكللون إذا الرياح تناوحت ... خلجًا تمد شوارعًا أيتامها

إنا إذا التقت المجامع لم يزل ... منا لزاز عظيمة جشامها

ومقسم يعطى العشيرة حقها ... ومغذمر لحقوقها هضامها

فضلا وذو كرم يعين على الندى ... سمح كسوب رغائب غنامها

من معشر سنت لهم آباؤهم ... ولكل قوم سنة وإمامها

لا يطبعون ولا تبور فعالهم ... إذ لا تميل مع الهوى أحلامها

إن يفزعوا تلق المغافر عندهم ... والسن يلمع كالكواكب لامها

فبنوا لنا بيتًا رفيعًا سمكه ... فسما إليه كهلها وغلامها

فاقنع بما كتب المليك فإنما ... قسم الخلائق بيننا علامها

وإذا الأمانة قسمت فى معشر ... أوفى بأعظم حظنا قسامها

فهم السعاة إذا العشيرة أفظعت ... وهم فوارسها وهم حكامها

وهم ربيع للمجاور فيهم ... والمرملات إذا تطاول عامها

وهم العشيرة أن يبطىء حاسد ... أو أن يلوم مع العدا لوامها

وتلك معلقة لبيد ، ويبدو أنها رمز لحب البقاء ، والكفاح فى سبيل الحياة ، فهى دعوة لمسايرة الواقع وعدم التعلق بالأوهام والخيالات ، وتصوير للجد ، والعمل المتواصل لتذليل الصعاب والتغلب على العقبات ، ومعالجة كل حالة بما تقتضيه مهما كلف ذلك من جهد أو تضحية ، فى سبيل الحفاظ على الحياة الكريمة .

معلقة الحارث بن حلزة

عدد أبياتها : ٨٥ بيتًا ، فيما يلى :

٩ : فى فراق الحبيبة .

٥ : فى الناقة

٥١ : فى الكلام عن الأعداء

٤ : فى مدح عمرو بن هند

١٦ : فى الفخر القبلى .

بدأ الحارث معلقته بأن الحبيبة أعلمته بفراقها ، ومع أن هناك من الأشخاص من تمل إقامتهم ، فإنها مهما طالت إقامتها فلن يملها ، وقد أصبحت بعيدة ، بينه وبينها ديار وقفار ، بعد أن كان لهماذكريات جميلة فى مواضع كثيرة ، وأنه كثيرًا ما تردد على هذه الأماكن فما كان يرى محبوبته فى أى منها ، فيبكى ولكن ماذا كان يجدى البكاء ، وكان آخر عهده بها نارًا أوقدتها من بعد شاسع – وهى مرتحلة – فأخذ ينظر إلى هذه النار ، ولكنها كانت خافتة لبعدها عنه كثيرًا ، فلم يحس لها دفئًا :

آذنتنا ببينها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء

بعد عهد لها ببرقة شماء فأدنى ديارها الخلصاء

فالمحياة فالصفاح فأعلى ذى فتاق فعاذب فالوفاء

أرى من عهدت فأبكى اليوم دلهًا ، وما يرد البكاء ؟

وبعينيك أوقدت هند النار أصيلاً تلوى بها العلياء

أوقدتها بين العقيق فشخصين بعود كما يلوح الضياء

فتنورت نارها من بعيد بخزاز هيهات منك الصلاء

وزادت عليه الهموم ، فاستعان عليها بناقة سريعة تجرى جرى نعامة ذات أولاد ، لا تفارق الصحراء ، وأفزعها الصيادون مساء ، فانطلقت تعدو مثيرة غبارًا كثيفًا يتطاير فى جنبات الصحراء :

غير أنى قد أستعين على الهم إذا خف بالثوى النجاء
بزفوف كأنها هقلة أم رئال دوية سقفاء
آنست نبأة وأفزعها القنـ ـاص عصرًا وقد دنا الإمساء
فترى خلفها من الرجع والوقـ ـع منينًا كأنه أهباء
وطراقًا من خلفهن طراق ساقطات تلوى بها الصحراء

ثم قال إنه بهذه الناقة يتلهى عن الهموم ، لأن الهم قد يشل حركة الإنسان ويوقعه فى حيرة ، ويسد أمامه الطرق ، وكأن ذلك كان مقدمة للحديث عن هم عنيف استولى عليه هو وقومه ، فانبرى يعرضه بطريقة تبين شدة تأثرهم به ، فقال لقد جاءهم من بنى تغلب أنباء وأمور خطيرة يتهمونهم بها ، وهم بذلك يسيئون إلينا ويظلموننا لأنهم يحملوننا ذنب غيرنا ويكلفوننا ما لا نطيق ، ويخلطون البرىء بالمذنب ، وقد دبروا مؤامرتهم بليل ، وكانت لهم فى الصباح جلبة وضوضاء ، اختلط فيها الصياح بأصوات الخيل والإبل :

أتلهى بها الهواجر إذ كل ابن هم بلية عمياء
وأتانا عن الأراقم أنباء ء وخطب نعنى به ونساء
إن إخواننا الأراقم يغلو ن علينا ، فى قيلهم أحفاء
يخلطون البرىء منا بذى الذنـ ـب ولا ينفع الخلى الخلاء
أجمعوا أمرهم بليل فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
من مناد ومن مجيب ومن تصـ ـهال خيل خلال ذاك رغاء

ثم اتجه بالحديث إلى مثير الفتن والفساد بأن الباطل لا يبقى ، وأن وشايته لن تفزعهم ، فقال : كثيرًا ما وشى بنا الأعداء ، فبقينا على بغضهم ترفعنا الحظوظ والعزة والمنعة ، وأعمتهم الضغينة وغطت على بصائرهم ، وكأنهم كانوا يرمون جبلاً من صخر ، شامخ الطود ، صعب المنال ، ولا تؤثر فيه الأحداث :

أيها الناطق المرقش عنا عند عمرو وهل لذاك بقاء
لا تخلنا على غراتك ، إنا قبل ما قد وشى بنا الأعداء
فبقينا على الشناءة تنميـ ـنا جدود وعزة قعساء

قبل ما اليوم يبيض بعيون الـ ـناس فيها تعيط وإباء
وكأن المنون تردى بنا أر عن جونا ينجاب عنه العماء
مكفهرا على الحوادث ماتر توه للدهر مؤيد صماء

ثم وجه الحديث إلى خصوم قومه متحديا ، فقال : ابعثوا إلينا سفراءكم بأية خطة تريدون ، وإن أثرتم ماكان بيننا من قتل وأسر فسوف يخزيكم ، وإن استقصيتم الأمور فسيكون عارا عليكم ، وإن سكتم فسوف تغمض أعيننا على ما فيها من القذى منكم ، وإن رفضتم ما تدعون إليه ، فأنتم أدرى بعزتنا ومنعتنا :

أيما خـطـة أردتم فـأدو ها إلينا تمشى بها الأملاء
إن نبشتم ما بين ملحة فالصا قب فيه الأموات والأحياء
أو نقشتم فالنقش يجشمه النا س وفيه الصحاح والأبرياء
أو سكتم عنا فكنا كمن أغـ ـمض عينا فى جفنها أقذاء
أو منعتم ما تسألون فمن حد ثتموه له علينا العلاء

ثم انطلق يعرض بعض أمجاد قومه سائلا خصومه عن مدى علمهم بها ، فقال : هل علمتم أننا — أيام شاعت الغارات وكثر النهب ، وضج الناس صياحا وعواء — أننا سقنا الإبل من البحرين إلى الإحساء وملنا على تميم فسبينا نساءهم ، وكففنا عن قتالهم لدخول الأشهر الحرم ، وبسبب قوتنا لم يكن للقوى الشديد أن يقيم فى البلد السهل لما كان فيه الناس من الغارة والخوف ، ولم ينفع الذليل الضعيف الهرب ، ولم يحم اللاجىء قمة جبل ولا أرض وعرة ، فدان لنا جميع الناس بالطاعة والولاء حتى ملك المنذر بن ماء السماء وقد شهد بنفسه ما فعلنا فى يوم الحيارين :

هل علمتم أيام ينتهب النا س غوارا ، لكل حى عواء
إذ رفعنا الجمال من سعف البحـ ـرين سيرا حتى نهاها الحساء
ثم ملنا على تميم فأحرمـ ـنا وفينا بنات مر إماء
لا يقيم العزيز بالبلد السهـ ـل ولا ينفع الذليل النجاء
ليس ينجى موائلا من حذار رأس طود وحـرة رجلاء

فملكنا بذلك الناس حتى ملك المنذر بن ماء السماء
وهو الرب والشهيد على يوم الحيارين والبلاء بلاء

وأعقب ذلك بأن نصح الخصوم بترك الطيش والحمق والتعامى عن الحق ، فذكرهم بما بينهم من عهود ومواثيق ورهائن ، منعًا للظلم والعدوان فالعهود تعقد دائمًا بشروط متفق عليها وتسرى على الملتزمين بها سواء بسواء ، ولا تنقضها الميول والأهواء :

فاتركوا الطيخ والتعدى وإما تتعاشوا ففى التعاشى الداء
واذكروا حلف ذى المجاز وما قدم فيه العهود والكفلاء
حذر الجور والتعدى ولن ينقض ما فى المهارق الأهواء
واعلموا أننا وإياكم فيما اشترطنا يوم احتلفنا سواء

ويبدو أن الغضب قد تملكه من سلوك خصومه ، فشرع يسرد بعض مخازيهم تعييرًا لهم وتحقيرًا لشأنهم ، بأسلوب استفهام فى سخرية لاذعة ، قائلاً : إذا كانت كندة قد غزت تغلب وقتلت منهم وسبت ، فهل يغنمون هم ،وندفع نحن الجزاء ؟ هل علينا فى العهود التى بيننا أن تأخذونا بذنوب حنيفة وما فعلت بكم لصوص محارب ؟ هل علينا جنايات بنى عتيق ؟ وإنا لنبرأ من كل غادر ، هل علينا جريرة العباد فنحمل نحن الأعباء ؟ وهل علينا إثم ما فعلت بكم قضاعة ؟ وهل علينا ذنب إياد كما أخذ طسم بذنب أخيه جديس ؟

أعلينا جناح كندة أن يغنم غازيهم ومنا الجزاء
أم علينا جرى حنيفة أو ما جمعت من محارب غبراء
أم جنايا بنى عتيق فمن يغدر فإنا من حربهم براء
أم علينا جرى العباد كما نيط بجوز المحمل الأعباء
أم علينا جرى قضاعة أو ليس علينا قيمًا جنوا أنداء
أم علينا جرى إياد كما قيل لطسم أخوكم الأباء

واستمر الحارث فى تعييره القاسى لبنى تغلب ، فذكر أسماء أشخاص من التغلبيين ضربوا بالسيف ولم يؤخذ بثأرهم ، وقال لهم : إن سلوكهم نحو قومى فيه تعنت ظاهر ورمى بالتهم بدون حق ، ووضع الأمور فى غير موضعها الصحيح ، وعيرهم بما حدث من تميم نحوهم

حيث جاء ثمانون من تميم وقتلوا من بنى رزاح التغلبيين ، وأخذوا أموالاً كثيرة فحاول هؤلاء استرجاع ما أخذ فلم يفلحوا فى شىء فرجعوا أذلاء خائبين ، والغل يأكل صدورهم ، ولكن الغل لا يبرده الماء . ثم بما حدث من الغلاق وخيله إذ قتلوامن التغلبيين وسبوا فى غير لين ولا رحمة وقد نسى القتل وذهبوا أدراج الرياح ، ثم قال الحارث ومثل ذلك حدث من عمرو ابن هند مع التغلبيين حينا حاولوا عصيانه بعد أن قتل عمرو ملك الغسانيين وأخذ بنته ميسون فى قبة لها وتجمع تحت رايته جموع كثيرة ، فقال التغلبيون : « من عمرو ومن معه ؟ إنما معه قراضبة (صعاليك ، فقراء ، لصوص) ، قد جمعوا له من كل مكان لقتالنا ، فليتنا قد لقيناهم ، فيعلم عمرو غدًا كيف نحن وهو » . ثم استمر الحارث فقال للتغلبيين : فتحققت أمنيتكم التى كلها بطر ، وما أتوكم على غرة ، لكن ظاهرين ، حين ارتفع النهار وانتشر السراب فكان ما حاق بكم من قتل وسبى :

ليس منا المضربون ولا قيـ ـس ولا جندل ولا الحداء

عننًا باطلاً وظلمًا كما تعـ ـتر عن حجرة الربيض الظباء

وثمانون من تميم بأيديهـ ـم رماح صدورهن القضاء

لم يخلوا بنى رزاح ببرقا ء نطاعٍ لهم عليهم دعاء

تركوهم ملحبين وآبوا بنهاب يصم منه الحداء

ثم جاءوا يسترجعون فلم تر جع لهم شامة ولا زهراء

ثم فاءوا منهم بقاصمة الظهـ ـر ولا يبرد الغليل الماء

ثم خيل بعد ذلك مع الغلا ق ، لا رأفة ولا إبقاء

ما أصابوا من تغلبى فطلو ل عليه إذ تولى العفاء

كتكاليف قومنا إذ غزا المنـ ـذر ، هل نحن لابن هند رعاء

إذ أحل العلاة قبة ميسو ن فأدنى ديارها العوصاء

فتأوت لهم قراضبة من كل حى كأنهم ألقاء

فهداهم بالأسودين وأمر اللـ ـه بلغ يشقى به الأشقياء

إذ تمنونهم غرورًا ، فساقتـ ـهم إليكم أمنية أشراء

لم يغروكم غرورًا ، ولكن يرفع الآل جمعهم والضحاء

ثم خاطب الشاعر من يسعى بينهم وبين عمرو بن هند بالنميمة وطالبه بالإقلاع عن وشايته ، وكان ذلك تمهيدًا لمدح عمرو فقال عنه إنه ملك عادل ، وهو أكمل الناس عقلاً ورأيًا ، ولا يفى بحقه ثناء ، وملكه وطيد ، ومجده عظيم ، ومفاخره مشهورة :

أيها الشانىء المبلغ عنا عند عمرو ، وهل لذاك انتهاء
إن عمرًا لنا لديه خلال غير شك فى كلهن البلاء
ملك مقسط وأكمل من يمـ ـشى ومن دون ما لديه الثناء
ارمى بمثله جالت الجـ ـن فأبت لخصمها الأجلاء

واستمر الحارث فذكر أن لقومه ثلاثة مواقف تثبت ولاءهم لعمرو بن هند ، وهى :

أولاً : حينما جاء قيس بن معديكرب على رأس جيش للإغارة على إبل عمرو بن هند فردتهم بنو يشكر ، وقتلوا فيهم .

ثانيًا : حين غزا الكندى امرؤ القيس أبا المنذر بن ماء السماء بجمع كثير من كندة ، فخرجت بكر مع امرىء القيس وهزموهم شر هزيمة .

ثالثًا : عندما أغارت بكر بن وائل مع عمرو بن هند على الغسانيين لاستنفاد امرىء القيس ابن المنذر بن ماء السماء أخى عمرو بن هند لأبيه . فقتلوا ملك غسان ، واستنفدوا امرأ القيس ، وأخذ عمرو بن هند ابنة ذلك الملك ، وهى ميسون .

ثم قال الحارث بن حلزة أن عمرو بن هند قريب لهم ، وذلك لأن هند أمه بنت عمرو بن حجر آكل المرار ، وعمرو بن حجر هذا كانت أمه هى أم أناس بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، فأم أناس هذه جدة أم عمرو بن هند ، وهى من قوم الحارث بن حلزة ، وذلك دليل مكانتهم العظيمة ، لأن الملوك يرونهم أهلاً لمصاهرتهم . ثم ختم الحارث كلامه بأن هذه القرابة من عمرو بن هند تجعلنا ناصحين مخلصين له :

من له عندنا من الخير آيا ت ثلاث فى كلهن القضاء
آية شارق الشقيقة إذ جا ءوا جميعًا لكل حى لواء
حول قيس مستلئمين بكبش قرظى كأنه عبلاء

فجبهناهم بضرب كما يخرج من خربة المزاد الماء
وحملناهم على حزن ثهلا ن شلالا ودمى الأنساء
وفعلنا بهم كما علم اللـه وما إن للحائنين دماء
ثم حجرًا أعنى ابن أم قطام وله فارسية خضراء
أسد فى اللقاء ورد هموس وربيع إن شنعت غبراء
فرددناهم بطعن كما تنهز عن جمة الطوى الدلاء
وفككنا غل امرىء القيس عنه بعدما طال حبسه والعناء
وأقدناه رب غسان بالمنذر كرهًا إذ لا تكال الدماء
وولدنا عمرو بن أم أناس من قريب لما أتانا الحباء
مثلها يخرج النصيحة للقوم فلاة من دونها أفلاء

وبهذا تنتهى معلقة الحارث بن حلزة ، وهى كما نرى تصوير لشعور مغيظ محنق ، ينفس عن غضب يقطع نياط قلبه ، وثورة تتأجج فى صدره ، ليرد كيد المعتدى فى نحره ، فى تقريع عنيف ، وتهكم مرير ، وسخرية قاتلة ، ويثأر لكرامته ويصون شرفه .

وحب العظمة ، والأطلال فيها وإن قاربت أن تطمس ، فأنها تلمع وتبرق ، وموكب الحبيبة ضخم عظيم . وفى معلقة زهير روح الأمن والسلام ، ومقدمتها أطلال أصبحت مأوى للبقر والظباء تعيش فيها آمنة مستقرة فيرضيه هذا ويدعو للربع بالنعيم والسلام ، وظعائن تسير حتى تصل إلى مكان الراحة والأطمئنان فيدخل منظرهن فى نفسه البهجة والسرور . ومعلقة لبيد رمز للكفاح ومحاولة التصرف مع الواقع بما يناسبه بدون تشبث بالأوهام والخيالات . وأطلاله أصبحت لا جدوى منها فلا ينبغى أن يعيش فى الأحلام ، والحبيبة قد بعدت وقطعت الصلة ، فليعاملها بالمثل . أما عنترة فيصور الشهامة ومن أهم مبادئها الوفاء بالعهد وحماية المرأة وصون شرفها ، فالطلل وإن أقوى وأقفر فله التحية ، وهى وإن بعدت فهو باق على عهدها قد تمكن حبها فى قلبه منذ أن رآها عرضًا . ومع بعدها وعداوة قومها له ، فسيظل أمينًا مخلصًا لها . وأما عمرو بن كلثوم فيصور فى معلقته التعالى وحب العظمة ، وبدؤه تحقق فيه ذلك ، فهو يطلب الصبوح ، ويأبى إلا أن يكون من أجود الأنواع ، ولا يحب أن يكون فراق الظعينة لقطيعة أو خيانة للعهد ، وإلا كان له فى ذلك شأن . وأما الحارث بن حلزة فهو فى معلقة غضوب ثائر لكرامته ، يحب الصراحة ، ويحارب التآمر فى الخفاء ، فكذلك كان بدؤه فصارحته الحبيبة بالرحيل ، وبعدت عنه فصرح بأنه لا أمل له فى شىء منها ، فليتجه نحو ما يهمه وما يعنيه .

العرض الشعرى فى المعلقات وقيمتها :

رأينا فيما سبق أن كل معلقة كانت أثرًا لانفعال معين لدى الشاعر ، سيطر عليه من أول القصيدة إلى آخرها ، وكان هذا الانفعال يوجه الشاعر من البدء فيحدد له الزاوية التى يبدأ منها ، وبمجرد أن ينتهى من افتتاحيته ، كانت تتوالى عليه الخواطر وتتوارد الأفكار من باب تداعى المعانى ، والحديث ذو شجون فكانت الفكرة تسوقه إلى أخرى تتصل بها أو تستدعيها إلى أن ينتهى مما يريد ، ومن ثم جاءت الأفكار فيها مترابطة متوالية فى تسلسل شعرى لطيف ، فالحبكة الموضوعية فيها تامة .

وأحيانًا يستطرد الشاعر فيتحدث عن أشياء قد تبدو لأول وهلة أنها خارجة عن الإطار الذى يسير فيه . ولكن بأقل تأمل سوف يتبين أنها وثيقة الصلة بالفكرة التى يعرضها ، كوصف مطاردة الحمار للأتان ، وفرار البقرة الوحشية الحزينة الفزعة ، فى معلقة لبيد ، فقد أوردهما

الشاعر لبيان سرعة ناقته وكالحديث عن روضة يفوح أريجها فى معلقة عنترة فقد أورده لتصوير رائحة الحبيبة ، وكان الشاعر يحاول أن يوضح فكرته توضيحاً تاماً ، مستعيناً فى ذلك – كلما تطلب الإبداع الفنى – بالتصوير الشعرى ، فزخرت المعلقات بالصور الشعرية الرائعة ، منها ، على سبيل المثال لا الحصر : قول امرىء القيس :

تصدُّ وتبدى عن أسيل وتتقى   بناظرة من وحش وجرة مطفل

فقد صور وجهها وعينيها وذراعيها وحركتها فى التفاتها إليه وعنه بحركة فيها جمال ودلال ورقة وحنان وقوله فى الإعجاب بالحصان :

ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه   متى ما ترق العين فيه تسهل

وقوله فى بهجة الطيور وسرورها ونشوتها فى الصباح الباكر وعقب المطر :

كان مكاكى الجواء غدية   صبحن سلافًا من رحيق مفلفل

وقول طرفة فى جمال الوجه ونضرته :

ووجه كأن الشمس حلت رداءها   عليه نقى اللون لم يتخدد

وقوله فى تصوير الخائف من ارتياد الأماكن المجهولة ، إذ يتمنى أن يفدى نفسه ومن يحب فلا يضطر للسير فيها وتضطرب نفسه وترتعد فرائصه وتبلغ منه الروح الحلقوم ، وتجيش نفسه خوفًا ورعبًا كما تجيش القدر وتصور له الأوهام والخيلاء هلاكًا فى كل خطوة قدم :

على مثلها أمضى إذا قال صاحبى   ألا ليتنى أفديك منها وأفتدى
وجاشت إليه النفس خوفًا وخاله   مصابًا ولو أمسى على غير مرصد

وقوله فى صلة الإنسان بالموت وشدة ارتباطه به متى حان ميعاده جذبه كأنه مربوط بحبل طرفه فى يده :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى   لكالطول المرخى وثنياه باليد
متى ما يشأ يومًا يقده لحتفه   ومن يك فى حبل المنية ينقد

وقوله فى وصف سيفه بأنه حاد ماض ضربته قاضية لا تحتاج إلى تثنيتها ، وقطعة أسرع من الصوت :

فآليت لا ينفك كشحى بطانة لعضب رقيق الشفرتين مهند
حسام إذا ما قمت منتصرًا به كفى العود منه البدء ليس بمعضد
أخى ثقة لا ينثنى عن ضريبة إذا قيل مهلا قال حاجزه قد

وقول زهير فى البقر والظباء وهن بين قائمات ونائمات وماشيات مقبلة ومدبرة ، وصاعدة ونازلة ، زرافات ، ووحدانًا ، وأولادهن من أماكن رقادهن :

بها العين والأرآم يمشين خلفة وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

وقوله فى ارتحال الظعائن فى السحر إلى وادى الرس مباشرة بدون خطأ فى الاتجاه إليه :

بكرن بكورًا واستحرن بسحرة فهن ووادى الرس كاليد للفم

وقوله فى منظرهن الوسيم الساحر :

وفيهن ملهى للطيف ومنظر أنيق لعين الناظر المتوسم

وقوله فى فظاعة الحرب وما يتخلف عنها من مصائب ومحن :

فتعرككم عرك الرحى بثفالها وتلقح كشافًا ثم تنتج فتتئم

وقوله فى قوة القوم ومنعتهم :

كرام ، فلا ذو الضغن يدرك تبله ولا الجارم الجانى عليهم بمسلم

وقوله فى البطل القوى الكامل السلاح :

لدى أسد شاكى السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم

وقوله فى حتمية الموت ، وأن الحذر لا ينجى من القدر :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم

وقوله فى جهل الغريب بما حوله ، وفى هوان النفس :

ومن يغترب يحسب عدوًّا صديقه ومن لا يكرم نفسه لايكرم

وقول لبيد فى وصف مكان تهطل فيه أنواع الأمطار المختلفة غدوًّا وعشيًّا فطالت أعشابه وكثرت أشجاره وتكاثرت فيه الظباء والنعام :

رزقت مرابيع النجوم وصابها ودق الرواعد جودها فرهامها
من كل سارية وغاد مدجن وعشية متجاوب إرزامها

وقوله فى تصوير بقرة وحشية شديدة البياض فى ليلة حالكة الظلمة ، ينهمر فيها المطر بشدة ، فتحاماه بفروع شجرة قاصية عن الطريق :

تجتاف أصلاً قالصًا متنبذًا بعجوب أنقاء يميل هيامها
يعلو طريقة متنها متواترًا فى ليلة كفر النجوم غمامها
وتضىء فى وجه الظلام منيرة كجمانة البحرى سل نظامها

وقوله فى نزول الربيئة من المرقب بعد أن غربت الشمس وخيم الظلام فستر أماكن المخافة وكان فى انتظاره فرسه الكريمة الطويلة :

حتى إذا ألقت يدًا فى كافر وأجن عورات الثغور ظلامها
أسهلت وانتصبت كجذع منيفة جرداء يحصر دونها جرامها

وقول عنترة فى وصف روضة فيحاء تتعاورها الأمطار فكثر عشبها وطال نباتها وكثرت أزهارها وفاح عبيرها ، وغرد ذبابها :

أو روضة أنفًا تضمن نبتها غيث قليل الدمن ليس بمعلم
جادت عليه كل بكر ثرة فتركن كل قرارة كالدرهم
سحًّا وتسكابًا فكل عشية يجرى عليها الماء لم يتصرم
وخلا الذباب بها فليس ببارح غردًا كفعل الشارب المترنم
هزجًا يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم

وقوله فى وصف طعنة يندفع منها الدم بغزارة وقوة فيحدث صوتاً تهتدى به الذئاب الجائعة :

برحيبة الفرغين يهدى جرسها بالليل معتس الذئاب الضرم

وقوله فى وصف المعركة حين جاءت الجيوش ، وكل جندى يؤجج حماسة الآخر ، والتحم عنترة بالأعداء والقوم يهتفون باسمه ، ويعلقون عليه آمالهم ، فيزداد التحاماً ، وتنهال الرماح عليه وعلى حصانه من كل جانب ، ويتقدم بحصانه أكثر وأكثر حتى اكتسى حصانه سربالاً من الدم ، فانحرف بصدره عن موقع الرماح ، ونظر إلى فارسه نظرة فيها رجاء واستعطاف أن يشفق به شيئاً ما ، وكان ذلك بدمعة من الحصان انحدرت على خده ، وصوت مكتوم جاش به صدره ، ولكن صيحات الإعجاب كانت تنزل عليه برداً وسلاماً فتزيل سقمة وتزيده نشاطاً وشجاعة .

لما رأيت القوم أقبل جمعهم يتذامرون كررت غير مذمم
يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بئر فى لبان الأدهم
مازلت أرميهم بثغرة نحره ولبانه حتى تسربل بالدم
فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتحمحم
لوكان يدرى ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمى
ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

وقول عمرو بن كلثوم فى الحسناء المصون المترفة العفيفة البعيدة عن الريب :

تريك إذا دخلت على خلاء وقد أمنت عيون الكاشحينا
ذراعى عيطل أدماء بكر تربعت الأجارع والمتونا
وثدياً مثل حق العاج رخصاً حصاناً من أكف اللامسينا

وقوله فى تصوير وجد الحزين بناقة ضل منها ولدها فرددت الحنين ، وبحال امرأة قاربت سن اليأس ، وفقدت أبناءها التسعة :

فما وجدت كوجدى أم سقب أضلته فرجعت الحنينا
ولا شمطاء لم يترك شقاها لها من تسعة إلا جنينا

وقوله فى عنف الحرب ، وسعة ميدان القتال ، وكثرة الضحايا فى المعركة الواحدة :

متى ننقل إلى قوم رحانا يكونوا فى اللقاء لها طحينا
يكون ثقالها شرقى نجد ولهوتها قضاعة أجمعينا

وقوله فى تصوير قدوم الأعداء وما قوبلوا به : !

نزلتم منزل الأضياف منا فأعجلنا القرى أن تشتمونا
قريناكم فعجلنا قراكم قبيل الصبح مرداة طحونا

أى نزلوا عليهم نزول الضيوف ، فعجلوا بإكرامهم خوفاً من أن يسبوهم ، فجاءهم سريعاً قبل شروق الشمس ، وكأن القرى رحى أبادتهم جميعاً .

وقوله فى تصوير عنادهم وإبائهم وأنفتهم وجزاء من يحاول أن يمسهم .

فإن قناتنا يا عمرو أعيت على الأعداء قبلك أن تلينا
إذا عض الثقاف بها اشمأزت وولتهم عشوزنة زبونا
عشوزنة إذا انقلبت أرنت تشق قفا المثقف والجبينا

فهم كالقناة الصلبة المنيعة إذا حاول أحد أن يلخطها الثقاف ليقوم أعوجاجها أبت أن تستقر ، وقذفت بصوت مزعج فى وجه المثقف فشجت جبهه ودقت عنقه .

ويقول الحارث بن حلزة فى تصوير تجمع القوم وما يحدثونه من جلبة وضوضاء بسبب تداخل النداءات واختلاط القوم وصياحهم بصهيل الخيل ورغاء الإبل :

أجمعوا أمرهم بليل فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
من مناد ومن مجيب ومن تصـ ـهال خيل ، خلال ذاك رغاء

وقوله فى قوة القوم وشدة بأسهم وثباتهم ، فلا يرهبون الأخطار ، ولا تنال منهم الدواهى التى لا تشنع لمن يبارحها ، حيث صورهم بطود شامخ تنشق عنه السحب ولا تنال أحداث الزمان ولا الأخطار منه شيئاً :

وكأن السنون تردي بنا أر عن جونًا ينجاب عنه الغماء
مكفهرًا على الحوادث ما تر توه للدهر مؤيد صماء

وقوله فيما حدث للأعداء

فجبهناهم بضرب كما يخـ ـرج من خربة المزاد الماء
وحملناهم على حزن ثهلا ن شلالًا ودمي الأنساء
وفعلنا بهم كما علم الله وما إن للحائنين دماء

فالقتلى كانوا ينزفون بغزارة كما يندفع الماء من أفواه القرب ، والفارون تجشموا الهرب في مسالك وعرة حتى دميت أنساؤهم ثم وقد فعلوا بهم أفعالًا شنيعة يعلمها الله ، وذهبت دماؤهم هدرًا ، فجزاؤهم ما حل بهم ، فالخائن لا حق له ولا كرامة .

هذه أمثلة في تصوير الأفكار في المعلقات ، وهي مملوءة بروائع الصور مما يجعل قيمتها الفنية من ناحية التصوير عظيمة ، وقد أشرنا فيما سبق إلى أنها تفيض بالشعور والعواطف المختلفة مما يدل على أن التصوير فيها صادق وصحيح ، لأنه تصوير لمشاعر إنسانية حقيقة . والألفاظ فيها مختارة بعناية ودقة ، والعبارات متقنة الصياغة محكمة الوضع والتنسيق وملائمة للأفكار ، حتى ما يبدو فيه تعقيد ، لو تأمل فيه الإنسان لوجد الفكرة التي تعبر عنها هذه الألفاظ ليس فيها تعقيد أو تداخل أو تشابك ، مما يدل على أن الشاعر كان صادق التعبير عن هذه الأفكار حيث اختار لها من الألفاظ ما يناسبها . على أن هناك كثيرًا من الألفاظ لها دلالات قيمة من الناحيتين التاريخية واللغوية مثل : كلمة « السجنجل » وهي لفظة رومية ومعناها المرآة وقيل : سبيكة الفضة ، وقد وردت في معلقة امرئ القيس ، وكتصوير طرفة ضخامة ناقته بقنطرة الرومي ، وكتصويره عنق الناقة في حركتها ، بسكان « البوصي » وقد قال العلماء : البوصي : زورق أو ضرب من السفن أو الملاح وهو بالفارسية : « بوزي » وكذكر طرفة الشام واليمن في قوله « قرطاس الشامي وسبت اليماني » وقد ورد ذكر « أنطاكية » في بيت لزهير في معلقته كما رواه الأصمعي :

علون بأنطاكية فوق عقمة وراد حواشيها مشاكهة الدم

ويقصد بالأنطاكية أنماط أى ثياب من صوف ، وتوضع على الخدور نسبها إلى أنطاكية قالوا : وكل شيء جاء من الشام فهو عندهم أنطاكى .

وقد ذكر عنترة فى معلقته الأعاجم وطمطمتهم أى كلامهم غير المفهوم فى قوله :

تأوى له النعام كما أوت حزق يمانية لأعجم طمطم

يقال : أعجم طمطم وطمطمانى إذا كان لا يفهم كلامه .

وورد ذكر « المهارق » فى قول الحارث بن حلزة :

حذر الجور والتعدى ولن ينـ ـقض ما فى المهارق الأهواء

قالوا : المهارق : جمع مهرق – بوزن مكرم (اسم مفعول) – وهو الصحيفة البيضاء ، وقيل ثوب من حرير أبيض يسقى بالصمغ ويصقل ثم يكتب فيه ، وأصله فارسى .

فهذه الألفاظ تؤيد اتصال العرب بغيرهم من الأمم الأخرى ، وأخذهم بعض ألفاظ لغاتهم وتعريبها .

هذا والأفكار والصور التى فى المعلقات مستقاة كلها من البيئة والحياة فى العصر الجاهلى ، مما يدل على شدة ارتباط العربى بالظروف المحيطة به ، وعلى دقة ملاحظته وعمق تأثره بكل ما يجرى حوله ، وهذا مما يجعل المعلقات كبيرة الشأن تاريخيًّا فى نواح متعددة .

ومما تقدم يتبين أن المعلقات عظيمة القيمة من النواحى الفنية واللغوية والتاريخية ، واختيارها منذ العصر الجاهلى على أنها نماذج ممتازة من الشعر الجاهلى ، اختيار موفق وسديد ، يدل على ذوق أدبى رفيع .

١٥

دفاع عن
الشعـــــر الجـــــاهلى

دكتور محمود على السمان

محتويات الموضوع

مقـــــدمة

جار بعض نقادنا المحدثين فى حكومتهم الأدبية فأخــذوا بمعاول هدمهم يضربون صرح شعرنا الجاهلى القديم من كل جانب علهم ينقضونه ويأتون عليه، ولكن عراقته وأصالته ورسوخه لم تمكنهم منه بل ردتهم على أعقابهم خاسرين

كناطح صخـرة يوما ليوهنها ... فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وليت الأمر اقتصر على ما ذكره العقاد وأمثاله من أن الشعر الجاهلى « لا يصلح[1] أن يكون نموذجا يقتدى به فى النظم ؛ لأنه فى الغالب أبيات مبعثرة تجمعها قافية واحدة يخرج فيها الشاعر من المعنى ثم يعود إليه، ثم يخرج منه على غير وتيرة معروفة ولا ترتيب متقبـول، وأن فيه غير التفكك وضعف الصياغة كثيراً من العيـوب العروضية والتكرير الساذج والاقتسار المكروه والتجوز المعيب الذى يؤخذ من روايته. إن الشعر لم يكن فناً يستقل به صناعة الخبيرون به وإنما كان ضرباً من الكلام يقوله كل قائل ويروى المحكم منه وغير المحكم منه على السواء ».

ليت الأمر اقتصر على ذلك إذن لهان الخطب، ولكن الأمر جاوز ذلك إلى حد أن طه حسين وضع الشعر الجاهلى كله فى غربال واسع الفتحات فلم يبق منه إلا ما يبقى من الماء لقابض عليه خانته فروج الأصابع. فقد زعم أن الشعر الجاهلى موضوع وأن ما يصح منه – إن صح منه شىء – لا يكاد يكون شيئاً مذكوراً.

ولولا أن هذا الأمر كان مستغرباً من طه حسين أستاذ الأدب العربى آنذاك

---

(١) مراجعات العقاد ص ١٠٣

بالجامعة المصرية الاستغراب كله ما ثارت ثائرة أدبائنا عليه، فسلقوه بألسنة حداد حتى لقد[١] رماه مصطفى صادق الرافعي بالجنون .

وإنا لموردون فيما بعد حجج الدكتور طه ثم ناقضوها حجة إثر حجة حتى لا يكون حكمنا عليه قائما بغير دليل ، ولعلنا نوفق فيما نقصد إليه ، حماية لتراثنا من الضياع ، وحفظاً لأصالتنا من الاهتزاز .

د. محمود السمان

(١) تحت راية القرآن ص ٢١٢

الفصل الأول

قضية الوضع والنحل فى الشعر الجاهلى

الشك فى الآداب القديمة :

« الشك(١) فى الأدب القديم الذى أنشأته الأمم فى جاهليتها وبداوتها ظاهرة لا تقتصر على الشعر العربى وحده ، ولكنها عامة تكاد تشمل الأدب القديم كله عند جميع الأمم التى كان لها أدب معروف مدروس » .

وإذا أردنا أن نلخص الآراء فى شعر الإغريق القديم « الإلياذة والأوديسا » فى هذا الصدد ـ قلنا :

١) البعض يرى وحدة الأصل والتأليف ، فهومر هو صاحب القصائد والأغانى ، وهو مؤلف الإلياذة والأوديسا منها .

٢) والبعض يرى تعدد الأصل والتأليف وصاحب هذا الرأى هو ولف wolf

ويرى فى الأغانى أنه اشترك فى كل أغنية منها أكثر من واحد ، وفى التأليف أنه اشترك فيه هومريون متعددون .

٣) وهناك انفصاليون يرون أن كل قصيدة مفردة ذات وحدة ولها ناظم غير ناظم الأخرى .

وقد بدأت حركة النقد والشك عند الألمان فى القرن الثامن عشر ، واكتملت صورتها عند فريدريك ولف F. wolf ، ونشأ ما يعرف بالمشكلة الهومرية Homeric question

---

(١) مصادر الشعر الجاهلى ص ٢٨٧

وضع الشعر ونحله عند الأقدمين :

لايقتصر الوضع والنحل على أمة دون أمة ولا على عصر دون عصر ، فقد عرفتهما أمة العرب كما عرفتهما أمم أخرى وعرفهما العصر الجاهلى كما عرفهما العصر الأموى والعصر العباسى كما لايزال يعرفهما العصر الحديث على الرغم من وسائل التوثيق والكتابة والطباعة التى كانت مظنة عدم حدوث الظاهرتين .

ومما[1] يدل على أن الوضع والكذب فى النسب قديم منذ الجاهلية وعصر الرسول - أن النبى عليه الصلاة والسلام كان إذا انتسب لم يجاوز فى نسبه معد ابن عدنان بن أدد، ثم يمسك ويقول: « كذب النسابون». أما الوضع والكذب على الرسول وحديثه الشريف فليسا بخافيين ، ويؤكد الرسول ذلك حين يقول : « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

فإذا ما انتقلنا إلى الشعر الجاهلى وجدنا أنه لم يسلم منذ الجاهلية نفسها وفى سنوات الإسلام الأولى من الوضع والنحل، والأمثلة ولئن كانت الأمثلة فى ذلك قليلة إلا أن فيها مقنعا ،فمن ذلك ما رواه أبو عبيدة[2] « كان قراد بن حنش من شعراء غطفان وكان جيد الشعر قليله، وكان شعراء غطفان تغير على شعره فتأخذه وتدعيه، منهم زهير بن أبى سلمى ادعى هذه الأبيات :

إن الرزية لا رزية مثلها ... ما تبتغى غطفان يوم أضلت
إن الركاب لتبتغى ذا مرة ... بجنوب نخل إذا الشهور أحلت
ولنعم حشو الدرع أنت لنا إذا ... نهلت من العلق الرماح وعلت
ينعون خير الناس عند كريهة ... عظمت مصيبتهم هناك وجلت

(١) طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٨ (٢) طبقات ابن سلام ٥٦٨

«ومن[1] عجب أن يصنع المسلمون الأولون شعراً وينحلوه أبا بكر الصديق، حتى لقد روى الزهـــرى عن عروة عن عائشة أنها قالت : «كذب من أخبركم أن أبا بكر قال بيت شعر فى الإسلام» .

ولا أظن أن واحداً فى صدر الإسلام يفعل ذلك إلا أن يكون منافقاً فى قلبه مرض، أو مسلماً ما زالت فيه جاهلية . وعلى أية حال فقد كان هذا الشعر المنحول - بحمد الله - مكشوفاً أمره مفضوحا ضره .

ومما يدخل فى هذا الباب ما وصف الفرزدق به شعر علقمة الفحل من أنه لايستطيع أحد أن ينحله ، فكأنه يقصد أن على شعـــره طابعه وميسمه ، فإذا ما ادعاه غيره عرف الناس أنه ليس لمن ادعاه ، وإنما هو لصاحبه علقمة ، وذلك قول الفرزدق :

والفحل علقمة الذى كانت له حلل الملوك كلامه لا ينحل

موقف رواة الطبقة الأولى :

وقلما نجد راوية من القرن الثانى أو القرن الثالث لم ينص على أن بيتاً أو أبياتاً بعينها موضوعة منحولة، فهذا أبو عمرو بن العلاء ينشد ما قاله ذو الأصبع العدوانى فى رثاء قومه وذمه :

وليس المرء فى شىء من الإبرام والنقض

إذا يفعل شيئا خا له يقضى وما يقضى

جديد العيش ملبوس وقد يوشك أن يفضى

---

(١) مصادر الشعر الجاهلى ٣٢٥

ثم نص على أنه لا يصح من أبيات ذى الإصبع الضادية هذه إلا الأبيات التى أنشدها وأن سائرها منحول[1].

وذهب أيضا أبو عمرو إلى أن القصيدة المنسوبة إلى امرىء القيس والتى مطلعها :

لا وأبيك ابنة العامرى لا يدعى القوم أنى أفر

هى لرجل من أولاد النمر بن قاسط يقال له ربيعة بن جشم وأولها عنده[2] .

أحار بن عمرو كأنى خمر ويعدو على المرء ما يأتمر

وهذا عامر بن عبد الملك وأخوه مسمع بن عبد الملك ، وهما من طبقة أبى عمرو ابن العلاء ينكران ما أضيف إلى قصيدة الحارث بن عباد ولم يصححا منها غير الأبيات الثلاثة التالية[3] :

قربا مربط النعامة منى لقحت حرب وائل عن حيال

لا بجير أغنى قتيلا ولا رهط كليب تزاجروا عن ضلال

لم أكن من جناتها علم الله وإنى بحرها اليوم صال

ومن أمثلة ذلك عند أبى عمرو الشيبانى أنه كان يدفع أن يكون هذا البيت لعنترة وهو :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم[4]

وأما الأخبار المروية فى ذلك عند الأصمعى فكثيرة قال[5] : أقمت بالمدينة زمانا ما رأيت بها قصيدة صحيحة إلا مصحفة أو مصنوعة . وقال[6] : ويقال : إن

---

(١) الأغانى ٣ : ٩٦
(٢) الخزانة ١ : ٣٣٧ ـ ٣٣٨
(٣) الأغانى ٥ : ٤٧ـ٤٨
(٤) المصدر السابق ٩ : ٢٢٢
(٥) المزهر ٢ : ٤١٣ـ٤١٤
(٦) الموشح ٣٤

كثيرا من شعر امرىء القيس لصعاليك كانوا معه. وقال[1] : أكثر شعر مهلهل محمول عليه ، وقال[2] : الناس يروون لأمية بن أبى الصلت القصيدة التى فيها :

من لم يمت عبطة يمت هرما ... الموت كأس فالمرء ذائقها

قال وهذه لرجل من الخوارج .

وكان الأصمعى يرى أن أبياتا من قصيدة زهير الميمية « أمن أم أوفى دمنة لم تكلم » ليست له ، وإنما هى لصرمة بن أبى أنس الأنصارى[3]، وكان كذلك يشك فى بيت عنترة « هل غادر الشعراء من متردم .. الخ » ويدفع أن يكون له[4] ، ويرى أن أول القصيدة :

يا دار عبلة بالجواء تكلمى ... وعمى صباحا دار عبلة واسلمى

وأما أبو عبيدة فأخباره المروية فى ذلك كثيرة أيضا ، من ذلك أنه ذكر خمسة أبيات للحارث بن حلزة فى إنكار الطيرة هى قوله[5] :

يا أيها المزمع ثم انثنى ... لا يثنك الحاذى ولا الشاحج

ولا قعيد أعضب قرنه ... هاج له من مربع هائج

بينا الفتى يسعى ويسعى له ... تاح له من أمره خالج

يترك ما رقح من عيشه ... يعيث فيه همج هامج

لا تكسع الشول بأغبارها ... إنك لا تدرى من الناتج

ثم قال : أنشدنيها أبو عمرو وليست إلا هذه الأبيات وسائر القصيدة موضوع مولد .

---

(١) الموشح ٧٤ (٢) المصدر السابق ٧٨
(٣) العمدة ٦٦ (٤) الأغانى ٩ : ٢٢٢
(٥) الحيوان ٣ : ٤٤٩

وقد أورد أيضا أربعة أبيات لعوف بن عطية التيمى أولها[1] :

هلا عشائر ورحرحان هجوتم عشرا تناوح فى سرارة واد

ثم قال : وبقية هذه القصيدة موضوعة .

وفى كتابه « الخيل » نصوص كثيرة فى هـذا الباب منها أنه أورد أبياتا مطلعها[2] :

الخير ماطلعت شمس وما غربت معلق بنواصى الخيل مطلوب

ثم قال : إن هذا الشعر لم يقله امرؤ القيس ، ولكنه لرجل من الأنصار[3] .

وقد أورد أربعة أبيات ذكر أنها لصعصعة بن معاوية السعدى مطلعها[4] :

ما كنت أجعل مالى فرغ دالية فى رأس جذع تصب الماء فى الطين

ثم قال : وقد تروى هذه الأبيات لحارثة بن بدر الغدانى .

وذكر أبياتا لعلقمة أولها :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها وماء الندى يجرى على كل مذنب

ثم قال[5] : وقد يخلط قوله بشعر امرئ القيس بن حجر ، وقد نسبت شعر امرىء القيس إليه وأفردته من شعر علقمة .

موقف رواة الطبقة الثانية :

وكذلك نجد عند رواة الطبقة الثانية نثارا من الإشارات المتفرقة إلى الموضوع والمنحول من الشعر الجاهلى . وهاك ثلاثة منهم وإشاراتهم فى ذلك : هذا أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى يذكر أبياتا ثلاثة نسبها إلى عمرو بن ثعلبة هى[6] :

---

(١) النقائض ٢٢٨ (٢) كتاب الخيل ١٦٠ (٣) المصدر السابق ١٤
(٤) المصدر السابق ١٤ـ١٥ (٥) المصدر السابق ١٣٦
(٦) كتاب المعمرين من العرب ٣٣

تهزأت عرس واستنكرت ... شيبي ففيها جنف وازورار

لا تكثري هزءاً ولا تعجبي ... فليس بالشيب على المرء عار

عمرك هل تدرين أن الفتى ... شبابه ثوب عليه معار

ثم قال أبو حاتم : زعم عطاء بن مصعب الملط أن خلفا الأحمر وضع هذا البيت الأخير كما أورد أبو حاتم بيت زهير[٢] :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ... ثمانين حولا - لا أبالك - يسأم

ثم قال : وكان الأصمعي يزعم أن القصيدة لأنس بن زنيم .

وهذا الجاحظ ينسب حينا الشعر إلى شاعر بعينه، ثم يعقب عليه بما يفيد شكه فيه ، وقد تكرر ذلك منه في مواطن متفرقة في كتابه « الحيوان »[٣]، وحينا يقطع بأن الشعر منحول دون أن يذكر على ذلك دليلا كقوله[٤] : وفي منحول شعر النابغة :

فألفيت الأمانة لم تخنها ... كذلك كان نوح لا يخون

وحينا آخر يقطع بأن الشعر منحول ، ثم يورد الحجة التي تدعم رأيه . ومن ذلك إيراده أبياتا زعم بعض الرواة أنها جاهلية فيها ذكر لانقضاض الكواكب[٥]، والجاحظ ينكر ذلك ويرى أن انقضاض الكواكب لم يكن في الجاهلية البعيدة عند مولد رسول الله ﷺ ، بل حدث أول مرة عند مولده أو قبيله فهو بذلك من أعلام ميلاده أو إرهاص له ، ثم يعقب على هذه الأشعار بقوله : وقد طعنت الرواة في هذا الشعر الذي أضفتموه إلى بشر بن أبي خازم من قوله :

والعير يرهقها الحمار وجحشها ... ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

---

(١) كتاب المعمرين من العرب ٦٦ (٢) المصدر السابق الجزء ٣ ، ٤ ، ٦

(٣) المصدر السابق ج ٢ ٢٤٦ (٤) المصدر السابق ٢٧٢ - ٢٧٦

فزعموا أنه ليس من عادتهم أن يصفوا عدو الحمار بانقضاض الكوكب ولا بدن الحمار ببدن الكوكب . وأما ما رويتم من شعر الأفوه الأودى فلعمرى إنه لجاهلى ، وما وجدنا أحدا من الرواة يشك فى القصيدة أنها مصنوعة .

وبعد فمن أين علم الأفوه أن الشهب التى يراها إنما هى قذف ورجم وهو جاهلى ولم يدع هذا أحد قط إلا المسلمون .

وهذا ابن قتيبة يشير إلى النحـــل والوضع فى موطنين من كتابه « الشعر والشعراء » : أورد فى الموطن الأول أربعة أبيات من شعر الأعشى أولها[1] :

إن محــــلا وإن مرتحلا وإن فى السفر ما مضى مهلا

ثم عقب عليها بقوله : « وهذا الشعر منحول » .

وأورد فى الموطن الثانى سبعة أبيات من شعر لبيد آخرها قوله[2] :

وكل امرئ يوما سيعلم سعيه إذا كشفت عند الإله المحاصل

ثم عقب عليه بقوله : وهذا البيت الأخير يدل على أنه قيل فى الإسلام وهو شبيه بقول الله تعالى : « وحُصِّل ما فى الصدور » ، أو كان لبيد قبل إسلامه يؤمن بالبعث والحساب ، ولعل البيت منحول .

أشهر من يعتمد على كتبهم من الرواة :

لعل أشهر هؤلاء الذين يعتمد المحدثون على كتبهم فى الشك فى الشعر الجاهلى عبد الملك بن هشام صاحب السيرة النبوية المتوفى سنة ٢١٨ هـ ومحمد بن سلام صاحب طبقات الشعراء المتوفى سنة ٢٣١ هـ .

وعمل ابن هشام فى السيرة قائم على ما صنفه محمد بن إسحق المتوفى سنة ١٥٢ هـ

---

(١) الشعر والشعراء ١ : ١٤ (٢) المصدر السابق ١ : ٢٣٧

وقد وصف هو هذا العمل بقوله[1] : « وتارك بعض ما يذكره ابن إسحق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله فيه ذكر ولا نزل فيه من القرآن شيء .. وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل الشعر يعرفها ».

وهذه الأشعار التي ذكرها ابن إسحق في سيرته والتي لم ير ابن هشام أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها قد وقف عندها ابن سلام وقفات طوالا ، فقد قال[2] : « وكان ممن أفسد الشعر وحمل كل غثاء منه محمد بن إسحق ، كتب في السير أشعار الذين لم يقولوا شعراً قط ، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود فكتب لهم أشعاراً كثيرة أفلا يرجع إلى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ، ومن أداه منذ آلاف السنين ، والله تبارك وتعالى يقول : « فقطع دابر القوم الذين ظلموا » ، وقال : « وأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى » ، وقال في عاد : « فهل ترى لهم من باقية » وقال : « وقروناً بين ذلك كثيراً » ، وقال : « ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله » ؟! .

وابن هشام حينما ينقد ابن إسحق إما أن يورد أبيات الشعر التي أوردها ابن اسحق وينسبها إلى من نسبها إليه ابن إسحق ثم يضيف أنها قد تنسب كلها أو بعضها إلى غيره ، وقد تكرر منه ذلك في ٢٨ موضعاً[3] ، وإما أن يورد الحادثة التاريخية كما وردت في سيرة ابن إسحق حتى إذا وصل إلى الشعر الذي قيل في هذه الحادثة أسقطه ولم يثبته لأنه لم يصح عنده ، وقد نص على ذلك في موضعين[4] : أحدهما : ما ذكره من نذر عبد المطلب ذبح ولده ، حاذفاً ما جاء في أثناء الحديث من شعر ، وقال : « وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصح عندنا عن أحد من أهل

---

(١) السيرة النبوية ١ : ٤ (٢) طبقات فحول الشعراء ٦-٧
(٣) ، (٤) مصادر الشعر الجاهلي ٣٣٧-٣٣٩-٣٤٨

العلم والشعر » ، وإما أن يذكر أبياتاً من الشعر الذى أورده ابن إسحق ويكتفى بها ولا يورد باقيها ، ثم يقول إن ذلك ما صح له منها ، وقد تكرر منه ذلك فى ثمانية مواضع[1] منها : أن ابن إسحق روى أبياتاً كثيرة لأبى الصلت بن أبى ربيعة قال عنها ابن هشام : إنها تروى لابنه أمية ، ثم قال أيضاً : هذا ما يصح له مما روى ابن إسحق منها إلى آخرها ، وهو :

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فإنه للنابغة الجعدى .

وإما أن يورد الشعر الذى أورده ابن إسحق كاملا ، ثم يذكر أنها منحولة ، وقد تكرر منه ذلك فى ٣٦ موضعاً[1] .

وأما ابن سلام ففى مقدمة كتابه ذكر أحكاماً مرسلة عن وضع الشعر الجاهلى دون تمثيل ولا تخصيص وفى غير المقدمة فى مواضع متفرقة نص على شعراء ذاكراً شعراً قالوه ثم ذاهبا إلى أنه موضوع فقال فى المقدمة[2] : « وفى الشعر المسموع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه ... وقد اختلف العلماء فى بعض الشعر أما ما اتفقوا عليه فليس لأحد أن يخرج عنه » .

وقد سبق ذكر ما قاله عن محمد بن إسحق ووصف حماداً الراوية بأنه « كان ينحل شعراً لرجل غيره وينحله غير شعره ويزيد فى الأشعار[3] » .

وقال أيضاً[4] : « فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم

---

(١) مصادر الشعر الجاهلى ص٣٤١

(٢-٤) طبقات فحول الشعراء ٥، ٦ ص٢٣-٤١

ثم كانت الرواة بعد فزادوا فى الأشعار التى قيلت، وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون » .

وعلى الرغم من أن طبقات ابن سلام ركيزة من أهم الركائز لمن يشكون فى الشعر الجاهلى فقوله هـــذا يدافع عن كثير من الشعر الجاهلى الذى أورده الرواة وحققوه .

وممن شك ابن سلام فى شعرهم طرفة وعبيد، إذ يقول فيهما[1]: « ومما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه قلة ما بقى بأيدى الرواة المصححين لطرفة وعبيد . . فلما قل كلامهما حمل عليه حمل كثير » .

ويقول فى عبيد بن الأبرص : « إنه قديم الذكر عظيم الشهرة ، وشعره مضطرب ذاهب لا أعرف له إلا قوله :

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

ولا أدرى ما بعد ذلك .

وشك كذلك فى شعر علقمة بن عبدة وعدى بن زيد وحسان بن ثابت وغيرهم يقول ابن سلام[2] : « ويروى عن الشعبى عن ربعى بن خراش أن عمر بن الخطاب قال : « أى شعرائكم الذى يقول :

فألفيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

وهذا غلط على الشعبى أو من الشعبى أو من ابن خراش ، أجمع أهل العلم على أن النابغة لم يقل هذا ولم يسمعه عمر ، ولكنهم غلطوا بغيره من شعر النـــابغة . وأورد بيتين ذكر أنهما مما يحمل على لبيد ، وهما[3] :

(١ـ٣) طبقات فحول الشعراء ٤٩ـ٥٠ .

باتت تشكى إلىّ النفس مجهشة ... وقد حملتك سبعاً بعد سبعين

فإن تعيشى ثلاثاً تبلغى أملا ... وفى الثلاث وفاء الثمانين

ثم قال : ولا اختلاف فى أن هذا مصنوع تكثر به الأحاديث ويستعان به على السهر عند الملوك والملوك لا تستقصى .

وذكر أبا طالب فقال إنه كان[1] « شاعراً جيد الكلام ، وأبرع ما قال قصيدته التى مدح فيها النبى ﷺ وهى :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ربيع اليتامى عصمة للأرامل

ثم قال : « وقد زيد فيها وطولت » .

وأورد أربعة أبيات مما يروى لزهير بن أبى سلمى ، وقال : « إنها لقراد بن حنش من شعراء غطفان » وكان جيد الشعر قليله ، وكانت شعراء غطفان تغير على شعره فتأخذه وتدعيه ، منهم زهير بن أبى سلمى ادعى هذه الأبيات[2] (الأبيات الأربعة التى سبق ذكرها والتى أولها) :

إن الرزية لا رزية مثلها ... ما تبتغى غطفان يوم أضلت .. الخ

آراء المستشرقين فى الشعر الجاهلى :

أولا — لعل مارجوليوث D. S. Margoliouth من أوائل من أثار الشك من المستشرقين المحدثين فى الشعر الجاهلى ، فقد نشر عام ١٩٢٥ بحثاً عنوانه « أصول الشعر العربى » ، رجح فيه أن هذا الشعر الذى نقرؤه على أنه شعر جاهلى إنما نظم فى العصور الإسلامية ثم نحله هؤلاء الواصفون المزيفون لشعراء جاهليين ، وقد بنى رأيه هذا على أدلة خارجية وداخلية .

(١-٢) طبقات فحول الشعراء ٢٠٤ ، ٥٦٨ - ٥٦٩

أما الأدلة الخارجية فهى :

١ — أن لفظ الشعر فى القرآن معناه : التنبؤ بالغيب، لا الشعر بمعناه المعروف من الكلام الموزون المقفى ، وإلا فمعروف أن محمداً لا يعرف الشعر ، وأن القرآن ليس بشعر ، فكيف يتهمونه بأنه شاعر يتنزل عليه الشعر إلا أن يكون معنى الشعر التنبؤ بالغيب كما يفعل الكهان ؟

٢ — الغموض فى نشأة الشعر العربى : فالأقوال فى ذلك متضاربة تدعو إلى الشك فقد عزا البعض شعراً عربياً إلى آدم[1] ، على حين أورد آخرون قصائد عربية غنائية منذ عهد إسماعيل[2] .

٣ — أن الشعر الجاهلى لم يكن من الممكن حفظه لا بالرواية ولا بالكتابة ، أما بالرواية :

(ا) فلأن لفظ القصائد الطويلة يتطلب احتراف أفراد لمثل هذا العمل، وذلك ما لم يثبت أمره .

(ب) ولأن كراهية الإسلام وجبّه لما قبله يدعو إلى نسيان الشعر الجاهلى إن كان ثمة شعر جاهلى حقيقة ، وبخاصة لأن ما كان يدور فى هذا الشعر هو انتصارات القبائل بعضها على بعض ، والإسلام كان يدعو إلى الوحدة ونبذ الفرقة .

وأما بالكتابة : وهى أنه يمتنع أن يكون الشعر الجاهلى قد حفظ بالكتابة :

(ا) فلأن القرآن نفسه يصرح بأن الجاهليين قوم ليسوا بكاتبين ، فهو يسأل أهل مكة : « أم لكم كتاب فيه تدرسون ؟ . . » ، ويسأل الكفار والمشركين : « أم عندهم الغيب فهم يكتبون ؟ » ، ولم يكن لأحد كتب سماوية

---

(١) مروج الذهب ١ : ٦٥   (٢) الأغانى ١٣ : ١٠٤

إلا للمجتمعين المسيحى واليهودى : « وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين » ولم يكن للوثنيين كتاب من هذا الضرب . ولو أن الشعر الجاهلى كان مكتوباً لكان للجاهليين كثير من الكتب .

(ب) ولأن الأدب فى تطوره - كما يرى مرجوليوث - يسير عادة من الصور الشاذة غير المنتظمة irregular إلى الصور المألوفة المنتظمة regular ومن هنا يرى أن الشعر الذى يزعم أنه جاهلى إنما هو مرحلة تالية للقرآن لا سابقة عليه .

٤ - شك الرواة العلماء فى بعض ما جمعوا من الشعر على أنه جاهلى وشك بعضهم كذلك فى بعض، على أن الإسلام كان عدو الوثنية ، والشعراء الجاهليون لسان الوثنية الناطق ، فمن أولئك الذين حفظوا فى صدورهم ثم نقلوا إلى غيرهم تلك الأشعار التى تنتسب إلى نظام أبطله الإسلام ؟

ولا يقبل مرجوليوث ما قاله حماد الرواية من أن الأشعار كانت مدفونة حينما كانت الحماسة للإسلام فى أشدها ، ثم ظهرت حينما بردت تلك الحماسة بعض الشىء ، ويرى مرجوليوث أن أصحاب هذا الشعر هم مسلمون فى كل شىء ما عدا الاسم(٩) .

وأما الأدلة الداخلية فهى :

١ - ما فى الشعر الجاهلى من كلمات دينية إسلامية كالحياة الدنيا ويوم القيامة والحساب وبعض صفات الله، هذا ولا ذكر فيه للآلهة المتعددة ولا لتعاليم المسيحية

(٩) مصادر الشعر الجاهلى ٣٦٠

كما يشيع فيه القسم بالله، وذكر ما لم يعرفه العرب فى الجاهلية ، فعبيد بن الأبرص يقسم بلغة القرآن .

حلفت بالله إن الله ذو نعم لمن يشاء وذو عفو وتصفاح

وجليلة بنت مرة تذكر أن النساء كن يلجأن إلى الله إذا حزبهن أمر كالثكل :

إننى قاتلة مقتولة ولعل الله أن يرتاح لى

وكذلك قول عبيد بن الأبرص :

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب

وامرؤ القيس يذكر أنهم كانوا يتجنبون من الذنوب ما يغضب الله :

فاليوم أشرب غير مستحقب إثما من الله ولا واغل

والحارث بن حلزة يصف الله بأنه ذو الأمر المقضى :

فهداهم بالأسودين وأمر الله بلغ تشقى به الأشقياء

بل القرآن يذكر أن أموراً لم يكن العرب يعرفونها قبل نزول الوحى كقصة نوح فى قوله : « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين » ، مع أن النابغة يذكر نوحا فى قوله:

فألفيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

ولا بد أن يكون مصدره إذن القرآن على أن وصف النابغة نوحا بالأمانة هو نفس وصف القرآن : « كذبت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون إنى لكم رسول أمين » ، وعنترة العبسى استخدم ألفاظ « الركوع والسجود » و « حجر المقام » و « الجحيم والحشر » وغيرها فى قوله :

إذا بلغ الفطام لنا صبى تخر له الجبابر ساجدينا

وقوله :

عجـــوز من بنى حام بن نوح كأنّ جبينها حجر المقـــام

وقوله :

كلما ذقت باردا من لَماها خلته فى فمى كنار الجحيم

وقوله :

فرجعت عنهم لم يكن قصدى سوى ذكر يدوم إلى أوان المحشر

ويعقب مرجوليوث بسخرية : « لا داعى للشك أن عنترة كان مسلما تقيه صالحا غير أن حياته انتهت قبل الإسلام » .

ويقول : « إن القرآن أول من استعمل لفظ « الدنيا » للدلالة على هذا العالم ، ثم يقول : « غير أن الشعراء الجاهليين كانوا على معرفة تامة بهذا التعبير ، ويمثل بقول عبيد بن الأبرص « طيبات الدنيا » وقول ذى الإصبع « عرض الدنيا » .

٢ ـ أن الشعر الجاهلى كله بلغة القرآن مع الاختلاف فى العصر الجاهلى بين لهجات القبائل المتعددة وبين لغة القبائل الشمالية واللغة الحميرية فى الجنوب كما تدل النقوش .

٣ ـ الإتقان فى موضوعات القصائد العربية يدل على نظمها بعد نزول القرآن فإنهم كانوا يبدأون بأبيات فى النسيب ، لأن القرآن يقول : « والشعراء يتبعهم الغاوون » وكانوا يصفون أسفارهم لأن القرآن يذكر « أنهم فى كل واد يهيمون » وينشرون أعمالهم التى تجافى الأخلاق لأن القرآن يذكر : « أنهم يقولون ما لا يفعلون » .

ثانياً : وقد تناول نفر من المستشرقين الحديث عن الشعر الجاهلى ، وكان أكثرهم يفنـــد أدلة وافتراضات مرجوليوث وأولهم شارلس جيمس ليال Charles James Lyall الذى أشار فى تصديره الجزء الثانى من المفضليات ١٩١٨م[١] بأن ما ينسب إلى المفضل من تجريح حماد الراوية بأن حماداً رجل عالم بلغات العرب وأشعارها فلا يزال يقول الشعر يذهب فيه مذهب رجل ويدخله فى شعره ويحمل ذلك عنه فى الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد وأين ذلك ؟ ! »

يقول « ليال » : إن بين ناقل هذا الخبر ـ وهو أبو الفرج الأصفهانى ـ وصاحب الحديث ـ وهو المفضل الضبى ـ ثلاثة رواة فى سند الخبر ، فربما زاد هؤلاء أو أحدهم على هذا الحديث شيئا مما يزيد الرواة ، غير أننا لو قبلنا أن هذا الحديث قد قاله المفضل حقا ـ فلا بد لنا أن نذكر أن حماداً كان معاصراً للمفضل ، وأنه ربما كان أصغر منه سنا ، وأن المفضل كان من أعلم الناس بالشعر وأقدرهم على تمييز صحيحه من منحوله ، وأن الرواة كانوا من قبل أن يفسد حماد روايتهم قادرين على أن يفتحوا خزائن الشعر الذى يحفظونه ويردونه بين يدى المفضل . ولو أننا سلمنا لصحة هذا الخبر من الوضع والنحل فإن ذلك ينتهى بنا إلى أن ما زاده حماد كان يشبه لغة الشاعر الحقيق وعاطفته شبها يستحيل معه التمييز بينه وبين شعر الشاعر الأصيل ، فإذا كان ذلك كذلك فكيف أمكن أن يعرف أنها موضوعة منحولة ؟ ! .

وبعد أن يعرض « ليال » لسيرة خلف الأحمر ، ولما ينسب إليه من نحل شعر الجاهليين ـ يقول[٢] : « إنه لمن الخطأ العظيم أن نعد هذين الرجلين ـ حماداً وخلفا .

(١) مقدمة المفضليات ٢ : ١٦ (٢) المصدر السابق ٢٠ ـ ٢١

النموذجين المثاليين للرواة المحترفين الذين كانوا يرددون أشعار القبائل ؛ فقد كانا كلاهما من أصل فارسي، أما رواة القبائل فكانوا من العرب يختارهم الشعراء ليكونوا الوسيلة التي تحفظ شعرهم؛ وكان منهم ما جمه الرواة في القرنين الأول والثاني الهجريين من شعره .

وأما أن نذهب كما ذهب أحد العلماء المحدثين (ويعني به مرجوليوث) إلى أن جميع ما نسميه بالشعر العربي القديم موضوع منحول ، مستدلين على ذلك بالقصص التي تروى عن حماد وخلف، وأن الشعر القديم في معظمه صيغ على نمط القرآن فهو مذهب مخالف لجميع وجوه هذه القضية .

إن حماداً وخلفاً كانا يحاكيان أسلوبا للنظم كان قد قرر واتخذ صورته النهائية زمنا طويلا قبل الإسلام .

أما الشعر الجاهلي فربما حاكاه حماد وخلف ، ولكن هذه الحقيقة نفسها (المحاكاة) تدل على وجود أصل يحاكى ، أما أن نذيع أن ما بين أيدينا لا يعدو أن يكون الصورة المحكية وأنه لم يبق شيء من الأصل نفسه فذلك أمر لا يقره الفهم السليم على ضوء هذه الظروف .

وتحدث « ليال » عن هذا الموضوع في مقدمته لديوان عبيد بن الأبرص ، قال[1] : « أما موضوع صحة هذا الشعر فأمر من الطبيعي أن يختلف فيه الناس ، إذ من المؤكد أن شعر الأعراب في الجاهلية لم ينتقل بالكتابة بل بالرواية ، وكانت القبيلة تعد القصائد التي تسجل انتصاراتها أغلى ما تملك فكانت ترويها جيلا بعد جيل ، وبالإضافة إلى هذه المعرفة العامة المنتشرة في القبيلة — كان هناك الراوي وعليه أن يحتفظ بمذخور الشعر الذي تعيه ذاكرته ، وكان يعتنى بالذاكرة

(١) مقدمة المفضليات ص١٧–١٩

فى العصور التى لم تستخدم فيها الكتابة عناية كبيرة بحيث كانت أكثر قدرة على الاستيعاب منها فى العصر الحديث، وليس من الغريب أن تتناقل القصائد بهذه الطريقة قرنين أو ثلاثة .

ومن الطبيعى أن يفترض المرء أن هذه القصائد اعتراها بعض التغيير فى أثناء هذا التناقل ، فقد تستبدل بعض الكلمات المترادفة بغيرها ، وقد يؤدى عدم تثبت الذاكرة إلى إسقاط أبيات أو تغيير فى ترتيبها ، غير أننا حين نفحص القصائد ذاتها نجد فيها من الشخصية الفردية ما يكفينا من الاستدلال على أن القصائد فى معظمها من نظم الشعراء المنسوبة إليهم ، فالمعلقات السبع مثلا كلها قصائد ذات شخصية وخصائص واضحة ، وتعرض لنا سبع شخصيات متميز بعضها عن بعض كل التمييز ، ومن جموح الخيال أن نظن أن القصائد المنسوبة لهم مصنوعة فى عصر متأخر صنعها علماء عاشوا فى ظروف مغايرة تمام المغايرة .

على أن شعر القرن الأول الهجرى يتضمن وجود هذا الشعر الجاهلى ويفترض سبقه عليه ، فقد استمر شعراء القرن الأول المشهورون: الفرزدق وجرير والأخطل وذو الرمة — يتبعون تقاليد الشعراء الجاهليين ، فضلا عن أنهم ذكروهم فى شعرهم فقد استعملوا ذخيرتهم الشعرية متناولين الموضوعات نفسها بالأسلوب نفسه محسنين ومحورين ومقتبسين، وليس هناك من شك فى أنه قد وصلنا شعر هؤلاء الشعراء جميعاً لاستخدام الكتابة فى عصرهم لتدوين الشعر مع الرواية .

على أن الشعر القديم مليء بألفاظ كانت غريبة على العلماء الذين كانوا أول من عرض هذا الشعر على محك النقد ، فقد كانت تنتمى إلى مرحلة لغوية أقدم من عصرهم وكانت غير مستعملة فى الزمن الذى كتبت فيه القصائد وجمعت الدواوين وقد توصل الشراح إلى شرح الصعوبات بمقابلة عبارة بأخرى وبالجدل والنقاش .

وتعتمد المعاجم كل الاعتماد على الشعر القديم وعلى القرآن والحديث وتفترض صحة الشعر ، كما تسلم بصحة القرآن والحديث .

ومن المستشرقين الذين دافعوا عن صحة الشعر الجاهلي جورجيو ليفي دلافيدا giorgio Levi Della Vida قال[1] : « إن مصادر تاريخ بلاد العرب في القرون السابقة لظهور الإسلام مباشرة مصادر أدبية في أغلبها ، وليست نقوشاً كمصادر تاريخ بلاد العرب القديمة ، وهي غزيرة وافرة ، وربما كانت أوفر مما ينبغي فإننا نعاني من كثرتها لا من قلتها » .

« وإن جماعة من العلماء المعاصرين يشكون في الرواية العربية ويذهبون إلى أن أكثرها موضوع ، وأنها تمثل الاتجاه الذي نما في القرنين الثاني والثالث الهجريين حينما نسي العـــرب ما كانوا يذكرونه عن التاريخ الجاهلي ، فحاول اللغويون والإخباريون أن يملأوا الفجوات وذلك بأن وضعوا وزيفوا ما لم يجدوه في الوثائق الأصلية الحقيقية ، ومن أجل ذلك يرون أن أكثر الشعر موضوع » .

« وقد بولغ في مسألة وضع الشعر الجاهلي ونحله ، وحتى لو كانت بعض قصائده موضوعة ـ فلا ريب أن مجموع الرواية الشعرية في جملتها صحيحة أصيلة » .

آراء العرب المحدثين :

أول من شق طريق البحث في هذا الموضوع من العرب المحدثين هو الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في كتابه « تاريخ آداب العرب »[2] ، وقد اكتفى في أكثر حديثه بالسرد المجرد والحكاية عمن مضى ، ولم يتجاوز ذلك إلى البحث في الأخبار والروايات ونقدها لتمييز صحيحها من زائفها إلا في القليل النادر ، وعلى ذلك فللرافعي فضل السبق والاستقصاء في الجمع[3] .

(١) مصادر الشعر الجاهلي ٣٧٤ـ٣٧٦   (٢) المصدر السابق ٣٧٧
(٣) تاريخ آداب العرب ٣٧٧ـ٤٣٤

وأما آراؤه في البواعث على وضع الشعر في الإسلام فيمكن تلخيصها فيما يلي :

١ — تكثر القبائل لتعاظم عما فقدته وخاصة القبائل التي قلت وقائعها وأشعارها وأولاها قبيلة قريش ، فقد وضعت على حسان أشعاراً كثيرة على نحو ما ذكره ابن سلام ؛

٢ — الاستشهاد على غريب الألفاظ ومسائل النحو ، والكوفيون أكثر الناس وضعاً للأشعار التي يستشهد بها لضعف مذاهبهم وتعلقهم على الشواذ واعتبارهم منها أصولا يقاس عليها .

٣ — الاستشهاد على المذاهب الكلامية فقد كان بعض المعتزلة المتكلمين يولدون الشواهد للاستشهاد بها على مذاهبهم .

٤ — الاستشهاد على الأخبار فلكى يحدّر القصاصون أساطيرهم إلى أفئدة العوام من أقرب طريق — وضعوا من الشعر على « آدم » فمن دونه من الأنبياء وأولادهم وأقوامهم ، وأول من أفرط في ذلك محمد بن إسحق ، ومما يدخل في هذا الباب شعر الجن وأخبارها .

٥ — الاتساع في الرواية ليستأثر الرواة بما لا يحسن غيرهم من أبوابها ، ولذلك يصنعون على فحول الشعراء قصائد لم يقولوها ويدخلون من شعر الرجل في شعر غيره ويمثل على ذلك بحماد الراوية وخلف الأحمر .

وهكذا نرى الرافعي قد دلو مع القدماء من العرب في فلكهم وسرد ما رووه من أخبار ، فلم يحمل نصّاً أكثر مما يحتمل ، ولم يتعسف الطريق إلى الاستنتاج والاستنباط ولا إلى الظن والافتراض .

الفصل الثاني

موقف طه حسين في القضية

وجاء دور طه حسين بعد الرافعي ، فخلق من الموضوع شيئاً جديداً لم يعرفه القدماء ، ولم يفتح السبيل إليه العرب المحدثون من قبله ، وسلك سبيل مرجوليوث في الاستنباط والاستنتاج والتوسع في دلالات الروايات والأخبار وتعميم الحكم الفردي الخاص واتخاذه قاعدة عامة حتى انتهى إلى « أن الكثرة المطلقة مما نسميه أدباً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء ، إنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام ، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين »[1] ثم يكاد يعتدل بعض الشيء فيقسم الشعر الجاهلي إلى ثلاثة أحزاب فيقول[2] : « إننا نرفض شعر اليمن في الجاهلية ونكاد نرفض شعر ربيعة أيضاً وأقل ما توجبه الأمانة العلمية أن نقف من الشعر المضري الجاهلي لا نقول موقف الرفض والإنكار وإنما نقول موقف الشك والاحتياط » .

دوافع شكه في الشعر الجاهلي :

لقد انتهى طه حسين إلى أن أكثر الشعر الجاهلي ليس جاهلياً ، وإنما هو موضوع منحول بعد ظهور الإسلام للأسباب الآتية :

١ — أن الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة الدينية أو العقلية أو السياسية أو الاقتصادية للعرب الجاهليين[3] :

---

(١) في الأدب الجاهلي ٧١–٧٢ (٢) المصدر السابق ص٧٣

(٣) المصدر السابق ٨٨

(أ) فمن حيث الحياة الدينية: الشعر الجاهلي يمثل لنا حياة الجاهليين بريئة أو كالبريئة من الشعور الديني القوي بخلاف ما يمثله القرآن في ذلك من جدالهم الشديد ولجوئهم إلى الكيد ثم الاضطهاد ثم إعلان الحرب.

(ب) ومن حيث الحياة العقلية: الشعر الجاهلي يمثلهم جهالا غلاظاً، والقرآن يمثلهم مجادلين أشداء وأصحاب مهارة في الجدل، فهم أصحاب علم وذكاء وعواطف رقيقة.

(ج) ومن حيث الحياة السياسية: الشعر الجاهلي يمثلهم معتزلين، والقرآن يشهد باتصالهم بمن حولهم من الأمم وانقسامهم: البعض منهم إلى جانب الروم والبعض إلى جانب الفرس.

(د) ومن حيث الحياة الاقتصادية: الشعر الجاهلي لا يصور لنا حياة الجاهليين الاقتصادية على حقيقتها، لكن القرآن يقسم العرب إلى قسمين: فريق الأغنياء المستأثرين بالثروة المسرفين في الربا، وفريق الفقراء المعدمين أو الذين ليس لهم من الثروة ما يمكنهم من أن يقاوموا هؤلاء المرابين أو يستغنوا عنهم، وقد وقف القرآن إلى جانب هؤلاء الفقراء المستضعفين، والقرآن يعنى العناية كلها بتحريم الربا والحث على الصدقة وفرض الزكاة لفساد حياة العرب الاقتصادية.

ولكن الشعر الجاهلي يمثل لنا العرب أجواداً مهينين للأموال، وفي القرآن إلحاح في ذم البخل وفي ذم الطمع، فقد كان البخل والطمع إذن من آفات الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الجاهلية، فالعرب في الجاهلية كان منهم الجواد والبخيل والمتلاف والحريص ومن يزدري المال ومن يزدري الفضيلة والعاطفة في سبيل جمعه وتحصيله[1].

---

(١) في الأدب الجاهلي ٨٤ - ٨٥.

(هـ) ومن حيث الحياة الاجتماعية: الشعر الجاهلي لا يحفل إلا بحياة الصحراء والبادية ومن نواح لا تمثلها تمثيلا تاما ، فإذا عرض لحياة المدن فهو يمسها مسا رفيقا وما هكذا نعرف شعر الإسلام ولا نجد فى الشعر الجاهلى ذكر البحر. أما القرآن فيمن على العرب بأن الله سخر لهم البحر ، وبأن لهم فى هذا البحر منافع كثيرة[1].

٢ — أن الشعر الجاهلى جاء بلغة واحدة هى العربية الفصحى ، وهناك خلاف قوى بين لغة حمير وهى العرب العاربة، ولغة عدنان وهى العرب المستعربة ، ويستند طه حسين فى ذلك إلى أمرين : الأول : ماقاله أبو عمرو بن العلاء وهو — كما أورده الدكتور طه حسين — مالسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا ، والثانى: أن هناك خلافا جوهريا بين لغة جنوب البلاد العربية ولغة شمالها فكيف ينسب شعر باللغة العربية الفصحى إلى قحطان الذين كانت كثرتهم تنزل اليمن وقلتهم من قبائل يقال إنها قحطانية قد هاجرت إلى الشمال ؟ أما إن هؤلاء الناس كانوا يتكلمون لغتنا العربية الفصحى ففرض لاسبيل إلى الوقوف عنده فيما يتصل بالعصر الجاهلى فقد ظهر أنهم يتكلمون لغة أخرى أو قل لغات أخرى[2] .

٣ — أن الشعر الجاهلى المنسوب إلى العدنانيين جاء بلغة ولهجة واحدة. والرواة يجمعون على أن قبائل عدنان لم تكن متحدة اللغة ولا متفقة اللهجة قبل أن يظهر الإسلام فيقارب بين اللغات المختلفة ويزيل كثيرا من تباين اللهجات ، ولكنك تستطيع أن تقرأ المطولات أو المعلقات فترى فيها مطولة امرئ القيس وهو من كندة أى من قحطان وأخرى لزهير وأخرى لعنترة وثالثة للبيد وكلهم من قيس ثم قصيدة لطرفة وقصيدة لعمرو بن كلثوم وقصيدة أخرى للحارث بن حلزة وكلهم من ربيعة . . تستطيع أن تقرأ هذه القصائد السبع دون أن تشعر فيها بشيء يشبه

(١) فى الأدب الجاهلى ٨٧ (٢) المصدر السابق ٩٨

أن يكون اختلافا فى اللهجة أو تباعدا فى اللغة أو تباينا فى مذهب الكلام : البحر العروضى هو هو ، وقواعد القافية هي هي ، والألفاظ مستعملة فى معانيها كما نجدها عند شعراء المسلمين ، والمذهب الشعرى هو هو :. فنحن بين اثنتين : إما أن نؤمن بأنه لم يكن هناك اختلاف بين القبائل العربية من عدنان وقحطان فى اللغة ولا فى اللهجة ولا فى المذهب الكلامى ، وإما أن نعترف بأن هذا الشعر لم يصدر عن هذه القبائل وإنما حمل عليها بعد الإسلام حملا ، ونحن إلى الثانية أميل منا إلى الأولى فالبرهان القاطع قائم على أن اختلاف اللغة واللهجة كان حقيقة واقعة بالقياس إلى عدنان وقحطان[1] .

وخلاصة القول أن طه حسين يرى أن شعر الربيعيين واليمنيين مرفوض لاختلاف لغتهم عن اللغة التى جاء بها ، أما شعر المضريين فهو لايشك فيه ولكن لايشك أيضا - على حد قوله - فى أن هذا الشعر قد ذهب وضاعت كثرته[2] وأن المقدار القليل الذى بقى لنا منه قد اضطرب وكثر فيه الخلط والتكلف والنحل حتى أصبح من العسير تخليصه وتصفيته .

٤ - أنه يستشهد بالشعر الجاهلى على ألفاظ القرآن والحديث حتى إنك لتحس كأن هذا الشعر الجاهلى إنما قُدَّ على قدر القرآن والحديث كما يقد الثوب على قدّ لابسه لا يزيد ولا ينقص عما أراد طولا وسعة ، وهذا ليس من طبيعة الأشياء فالدقة فى الموازاة بين القرآن والحديث والشعر الجاهلى تحملنا على الشك وأن نفهم أنها شىء تكلف وأنفق فيه أصحابه بياض الأيام وسود الليالى :

٥ - أن الشعر الجاهلى لم يصلنا إلا عن طريق الرواية الشفهية .

---

(١) فى الأدب الجاهلى ١٠٣، ١٠٤ (٢) المصدر السابق ٢٧٥، ٢٧٦

الأسباب التى دعت إلى النحل فى نظره :

يرى طه حسين أن الأسباب التى دعت المسلمين فى القرون الثلاثة الأولى إلى نحل الشعر وتلفيقه مردها إلى خمسة أمور :

١ ـ السياسة : ويحصر مدلول السياسة فى العصبية القبلية ويكتفى بمثالين :

(ا) العصبية بين المهاجرين والأنصار أو بعبارة أصح بين قريش والأنصار[١] ويورد لتأييد رأيه روايتين:

الأولى : ما يروى من أن عمر بن الخطاب نهى عن رواية الشعر الذى تهاجى به المسلمون والمشركون أيام النبى ، ويعقب على ذلك بقوله : « وسواء أقال عمر هذا أم لم يقله فقد كان الأنصار يكتبون هجاءهم لقريش على ألا يضيع » .

والثانية : ما ذكر من أن ابن سلام قال « وقد نظرت قريش فإذا حظها من الشعر قليل فى الجاهلية فاستكثرت منه فى الإسلام » ، ويعقب على ذلك بقوله : « وليس من شك فى أنها استكثرت بنوع خاص من هذا الشعر الذى يهجى به الأنصار » .

(ب) الأخبار والأشعار التى تمس تنقل امرئ القيس فى قبائل العرب محدثة نحلت حين تنافست القبائل العربية فى الإسلام وحين أرادت كل قبيلة أن تزعم لنفسها من الشرف والفضل أعظم حظ ممكن .

ولهذا فطه حسين يشك فى كل الشعر الذى يقال لتأييد فريق من العرب على فريق وبخاصة إذا كانت القبيلة التى يؤيدها الشعر لعبت دوراً فى حياة المسلمين السياسية .

---

(١) فى الأدب الجاهلى ١٣٢

٢ـ الدين : فكثير من الشعر قد نحل لإثبات صحة النبوة وصدق النبي ، ويدخل في هذا كل ما يروى من هذا الشعر الذي قيل في الجاهلية ممهداً لبعثة النبي ليقتنع العامة بأن علماء العرب وكهانهم وأحبار اليهود ورهبان النصارى كانوا ينتظرون بعثة نبي عربي يخرج من قريش أو من مكة ، كما يدخل في هذا ما يضاف من الشعر إلى الجاهليين من عرب الجن[١] لإرضاء حاجات العامة الذين يريدون المعجزة في كل شيء ، ولا يكرهون أن يقال لهم إن من دلائل صدق النبي في رسالته أنه كان منتظراً قبل أن يجيء بدهر طويل تحدث بهذا الانتظار شياطين الجن وكهان الإنس .

ومن تأثير الدين في نحل الشعر وإضافته إلى الجاهليين ما يتصل بتعظيم شأن النبي من ناحية أسرته ونسبه في قريش .

ومنه كذلك ما يلجأ إليه القصاص لتفسير ما يجدونه مكتوباً في القرآن من أخبار الأمم القديمة البائدة كعاد وثمود ، فالرواة يضيفون إليهم شعراً كثيراً ، وقد كفانا ابن سلام نقده حين ذكر في طبقات الشعراء أن هذا الشعر وما يشبهه مما يضاف إلى تُبّع وحِمْير مصنوع منحول وضعه ابن إسحاق ومن إليه من أصحاب القصص[٢] .

ومن تأثير الدين في نحل الشعر ما كان من العلماء المتخاصمين في نحل الشعر حتى يظهروا بمظهر المنتصرين، فيستشهدون بما قاله العرب قبل نزول القرآن وهم مجمعون على أن هؤلاء الجاهليين الذين قالوا في كل شيء كانوا جهلة غلاظاً فظاظاً فالمعتزلة يثبتون مذاهبهم بشعر العرب الجاهليين، وغير المعتزلة من أصحاب المقالات ينقضون آراء المعتزلة معتمدين على شعر الجاهليين .

---

(١) في الأدب الجاهلي ١٤٧ ـ ١٤٨ (٢) المصدر السابق ١٥٣

٣ ـ القصص : يقول طه حسين[١] : « وأنت تعلم أن القصص العربي لا قيمة له ولا خطر في نفس سامعه إذا لم يزينه الشعر من حين إلى حين ، وإذن فقد كان القُصّاص أيام بني أمية وبني العباس في حاجة إلى مقادير لا حد لها من الشعر يزينون بها قصصهم : هؤلاء القصاص كانوا يستعينون بأفراد من الناس يجمعون لهم الأحاديث والأخبار ويلفقونها ، وآخرون ينظمون لهم القصائد وينسقونها ؛ فقد حدثنا ابن سلام أن ابن إسحاق كان يعتذر عما يروى من غثاء الشعر فيقول: « لا علم لي بالشعر إنما أوتى به فأحمله » . فقد كان هناك قوم إذن يأتون بالشعر وكان هو يحمله .

٤ ـ الشعوبية : ثم يتحدث عن الخصومة بين العرب والموالي في الإسلام فيقول[٢] : كانت الشعوبية تنحل من الشعر ما فيه عيب للعرب وغض منهم وكان خصـــوم الشعوبية ينحلون من الشعر ما فيه ذود عن العرب ورفع لأقدارهم .

٥ ـ الرواة : يرى أن أهم المؤثرات التي عبثت بالأدب العربي وجعلت حظه من الهزل عظيما ـ مجون الرواة وإسرافهم في اللهو والعبث وانصرافهم عن أصول العربية وقواعد الأخلاق إلى ما يأباه الدين وتنكره الأخلاق[٣] ، ثم يقول[٤]: وإذا فسدت مروءة الرواة كما فسدت مروءة حماد وخلف وأبي عمرو الشيباني ، وإذا أحاطت بهم ظروف تحملهم على الكذب والنحل لكسب المال والتقرب إلى الأشراف والأمراء والظهور على الخصوم والمنافسين ونكاية العرب ـ كان من الحق علينا ألا نقبل مطمئنين ما ينقلون إلينا من شعر القدماء .

---

(١) في الأدب الجاهلي ١٦٨ ـ ١٦٩
(٢) المصدر السابق ١٨٦
(٣) المصدر السابق ١٨٨
(٤) المصدر السابق ١٩١ـ١٩٢

الفصل الثالث

موقف النقاد من طه حسين

كان لكتاب طه حسين « فى الشعر الجاهلى » دوى شديد ، فأشهر كثير من العلماء والأدباء أقلامهم وتناولوا الكتاب وما فيه بالنقد والتفنيد وتجاوز البعض منهم الكتاب إلى صاحبه بالطعن ، ونشر أكثر ذلك فى صحف ذلك العهد ، ثم جمع بعضه فى كتب هى : كتاب « نقد كتاب الشعر الجاهلى » للأستاذ محمد فريد وجدى ، وكتاب « الشهاب الراصد » للأستاذ محمد لطفى جمعة ، وكتاب « نقض كتاب فى الشعر الجاهلى » للسيد محمد الخضر حسين ، وكتاب « محاضرات فى بيان الأخطاء العلمية التاريخية التى اشتمل عليها كتاب فى الشعر الجاهلى » للأستاذ محمد الخضرى ، وكتاب « النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى » للأستاذ محمد أحمد الغمراوى وله مقدمة مفصلة بقلم الأمير شكيب أرسلان ، وفصول كثيرة فى كتاب « تحت راية القرآن » للأستاذ مصطفى صادق الرافعى .

أولا ـ نقد طريقة طه حسين فى البحث :

بنى طه حسين طريقته فى نقد الشعر الجاهلى على الأخطاء الآتية :

١ ـ الشك للشك وعدم التثبت قبل إصدار الحكم ، فقد أعلن طه حسين عن هذه الطريقة بقوله[1] « أريد أن أصطنع فى الأدب هذا المنهج الفلسفى الذى استحدثه « ديكارت » للبحث عن حقائق الأشياء فى أول هذا العصر الحديث .

ورد عليه الأستاذ محمد لطفى جمعه[2] بأن منهج ديكارت لم يكن منهج شك

---

(١) فى الأدب الجاهلى ٧٤ ؛ (٢) الشهاب الراصد : ١ ـ ٢٥ .

الشك ذاته وإنما كوسيلة اليقين . وخلاصة هذا المذهب ألا يقبل المرء أمراً على أنه حقيقة إلا إذا قامت الدلائل البينة على صحته ، وأن ديكارت مع ذلك كان يسلم بوجود أشياء لا يجادل فيها ، فهو بذلك يكون منهجاً إيجابياً لا سلبياً .

ويقول محمد فريد وجدى[1] : إنه لم يسر على ما يقتضى به عليه مذهب «ديكارت» من النقد والتمحيص ، بل وثق به ثقة مطلقة حملته على إصدار الأحكام جزافاً ، ثم يقول[2] : « لقد سبق مذهب القرآن فى البحث عن الحقائق مذهب «ديكارت» بعشرة قرون، فكان الأولى بطه حسين إن كان يعرف مكان الإسلام من هذا المنهج أن يقول إن المتقدمين لم يرتكبوا ما ارتكبوه من إفساد الأدب والعلم بعدم جريهم على المنهج الذى يحضهم عليه القرآن . وأنه سيجرى على هـذا المنهج الذى يوافق ما جاء بعده بألف سنة كمنهج روجر باكون أو ديكارت أو غيرهما » .

«وإن كان لا يعرف الإسلام كان يجب عليه أن يلم به قبل أن يخط حرفاً فى الأدب العربى ، فإن علاقته بآداب هذه الأمة وعقليتها وتأثيره فيهما مما لا يمكن إنكاره أو عدم الاعتداد به على أية حال » .

ويرى الغمراوى أن طه حسين لم يؤسس[3] «لنظريته بالتثبت أولا من الحقائق قبل أن يدخل دور فى الفرض ، وأنه يبدأ بالفرض ثم يبنى عليه فرضاً آخر ويقرنه بفروض أخرى ثم ينتهى بالقطع والجزم والثبوت » .

«أليس من الجائز أن ينطق العرب بحكمة فيأتى القرآن بهذه الحكمة على وجه أبلغ وأرق ؟ أمن الحق أن ننكر أن العرب قالوا مثلا « القتل أنفى للقتل » لمجرد

---

(١) نقد كتاب الشعر الجاهلى ٢ (٢) المصدر السابق ١١

(٣) النقد التحليلى ١٤١–١٤٦

شبهة بقول القرآن « ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب » ؟ أو من الحق أن ينكر أن زهيرا قال :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم

لأن له شبهاً قوياً أو ضعيفاً بقول الله : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » .

٢ — لم يدلل على صحة كلامه ، فهو يعقد فصلا كاملا عن « الشعوبية ونحل الشعر » ولكنه لم يأت برواية تدل على أن بعض الشعوبية انتحل شعراً جاهلياً » (١) وكذلك الفصل الذى عقده عن « السياسة ونحل الشعر الذى تحدث فيه عن الأنصار وقريش والخصومات بينهم عقب عليه الأستاذ الخضرى بقوله (٢) : « إن مقدمته الطويلة لم توجد بها كلمة واحدة تتصل بأن فريقاً من الفريقين اختلق شعراً ونسبه إلى شعراء فى الجاهلية ، وإنما الأحاديث كلها فى الشعراء الذين كانوا فى أول العهد الإسلامى يتقارضون الشعر وفى العهد الذى يلى ذلك » .

٣ — بعض كلامه يعارض بعضاً ويناقضه :

(ا) فهو يقول « وهذا البحث ينتهى بنا إلى أن أكثر هذا الشعر الذى يضاف إلى امرىء القيس ليس من امرىء القيس فى شىء وإنما هو محمول عليه ومختلق عليه اختلاقاً » فيعقب عليه الناقد (٣) بقوله « مقتضى تمسكه بأن امرأ القيس يمنى مولداً ونشأة ، وأن لغة قحطان نازلة من لغة عدنان منزلة اللغات غير العربية ـ أن يكون جميع الشعر الذى يضاف إلى امرىء القيس منحولا ، ولكنه يقول : إن البحث ينتهى به إلى أن أكثر هذا الشعر ليس من امرىء القيس

---

(١) نقض كتاب فى الشعر الجاهلى ٢٤٧ (٢) المصدر السابق ٣٢

(٣) الخضر حسين ٩٩ـ١٠٠ والغمراوى ١٩٤

فى شىء . ومعنى هذا أن فى الشعر المضاف إلى امرئ القيس شعراً هو منه فى شىء» .

(ب) وبعد أن تكلم عن نظرية العزلة العربية ذاكراً أن العرب كانوا متقاطعين وأنه لم تكن بينهم من أسباب المواصلات المادية والمعنوية ما يمكن من التقارب بين لغات قبائلهم ـ عاد فأنكر هذه النظرية حين رآها تعارض ما أراده من أن للجاهليين اتصالا بالعالم الخارجى .

(ج) والدكتور طه يستثنى من النحل قصيدتين لعلقمة ، ويعقب عليه ناقده[1] قائلا: « ولعله نسى حين قال: ومن المعقول جداً أن يكون لكل قبيلة من هذه القبائل العدنانية لغتها ولهجتها وأن يظهر اختلاف اللغات وتباين اللهجات فى شعر هذه القبائل » ، ومن المعروف أن علقمة من بنى تميم ، والقصيدتان اللتان استثناهما لا يخرجان عن هذه اللغة الأدبية التى يسميها لغة قريش ، فقبوله لهاتين القصيدتين ينقض أساس ذلك الفصل .

(د) ويرى الدكتور طه أن هجرة فريق من عرب اليمن إلى الشمال غير ثابتة ، وأن صحة يمانية من انتسب إلى اليمن من قبائل الشمال غير ثابتة ، فهو يسقط كل ما قال من الاعتراض على كلام مثل امرئ القيس ، إذ يصير امرؤ القيس ومن معه بذلك مضريين ، ويصير من السخف أن يقال بعد ذلك إن كلامهم أو شعرهم منحول لأن لغته ليست لغة نقوش حميرية اكتشفت فى الجنوب .

والحقيقة أن[2] « قبائل اليمن فى الشمال كانت هاجرت من الجنوب إلى

---

(١) الخضر ص ٣٢٣ (٢) الغمراوى ١٨٨

الشمال منذ أمد بعيد لم يكن هنالك بد لمن نشأ فى الشمال من ذراريها أن ينشأ على لغة الشمال ويتخذها لغة أدب ولغة خطاب ».

٤ — إيراده النصوص على وجه يختلف عما كانت عليه فى حقيقتها والاستدلال بها على ما تدل عليه فى حقيقتها لو أوردت كاملة ، ومن أمثلة ذلك :

(أ) أن الدكتور طه يقول: « فأما خلف فكلام الناس فى كذبه كثير ، وابن سلام ينبئنا بأنه كان أفرس الناس ببيت شعر ، وهو يريد أن يوجه قوله : « أفرس الناس ببيت شعر » توجيها يوحى بأنه لتمكنه وقدرته ومهارته كان قادراً على نحل الشعر ووضعه ، ولكن ابن سلام لم يرد هذا بل أراد نقيضه. ونصه بكامله هو : « أجمع أصحابنا بأنه كان أفرس الناس ببيت شعر ، وأصدقه لساناً ، كنا لا نبالى إذا أخذنا عنه خبراً أو أنشدنا شعراً ألا نسمعه من صاحبه »[1] .

ومن ذلك أيضاً أن الدكتور يذكر أبا عمرو بن العلاء فيقول : « ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا » ولكن نص ابن سلام هو « ما لسان حمير وأقاصى اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا » ، فحذف الدكتور قوله « أقاصى اليمن » ثم غير قوله « ولا عربيتهم بعربيتنا » بجملة « ولا لغتهم بلغتنا » ، والفرق بين ما أورده وبين النص الحقيقى فرق كبير فى دلالته .

(ب) ويقول طه حسين « والعجب أن أصحاب الرواية مقتنعون بأن هذا الكلام من شعر الجن ، وهم يتحدثون فى شىء من الإنكار بأن الناس قد أضافوا هذا الشعر إلى الشماخ بن ضرار » ، مع أن الروايات[2] التى ذكرت هذا الشعر لم يكن فيها إنكار ، بل نسبته كله إلى الشماخ أو إلى أخيه مزرد ما عدا خبراً

(١) ، (٢) الخضر حسين ٢٧٢/٣٦-٣٧

تواجدا ذكر أن عائشة حينما سمعت الشعر قالت: « فكنا نتحدث أنه من الجن » ، وفي آخر الخبر نفسه : أن عائشة سألت : مَن صاحب هذه الأبيات ؟ فقالوا: مزرد ابن ضرار ولكن مزردا بعد ذلك أنكر أنها له .

٥ ـ اكتفاؤه أحياناً بذكر رواية واحدة من روايات متعددة ، وهذا يدعونا ولا شك إلى القول بأنه متعصب لرأى معين يصطاد له من الأقوال ما يؤيده تاركا التحقيق العلمى الذى يوصل إلى الحق أينما كان .

٦ — « إغارته على كتب عربية وأخرى غربية والتقاطه منها آراء وأقوالا لينظمها فى خيط من الشك والتخييل »[1] ، فهو لم يبرز فكرة جديدة لامعة ، وقد سعى بعض ناقديه إلى الكشف عما أخذه من مرجوليوث خاصة فوجده شيئا كثيرا[2] .

ثانيا ـ نقد أدلة طه حسين :

١ — ذكر الدكتور طه أن الشعر الجاهلى الذى بين أيدينا لا يمثل الحياة الجاهلية الدينية ، وأن القرآن يمثل العرب فى الجاهلية أمة متدينة بقوية التدين .

ورد عليه الأستاذ الغمراوى[3] بأن القرآن يعنى أهل مكة والمدينة وما حولهما ، وليست مكة والمدينة وما حولهما كل بلاد العرب ، فلا ينبغى أن نحكم على غيرهم بالتدين كى نحكم عليهم .

كما رد عليه الأستاذ محمد الخضر حسين بأن[4] « هذه الشبهة مما استلبه المؤلف

---

(١) الخضر حسين ٣ـ٤ (٢) المصدر السابق ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٤٧ ومواضع أخرى / والغمراوى ١٠٠ (٣) الغمراوى ١٤٧ـ١٤٨

(٤) الخضر حسين ٤٧ـ٤٨

عن مقال مرجوليوث » وبعد أن عرض رد بولو نلسن على مرجوليوث قال : « وخلاصة الجواب أن معظم شعر العرب كان فى الفخر والحماسة وأن المسلمين صرفوا عنايتهم عن رواية الشعر الذى يمثل دينا غير الإسلام ولا سيما دين اللات والعزى ، وعلى الرغم من هذا كله وصلت إلينا بقية من الشعر الذى يحمل شيئا من الروح الدينى تجده فى كتاب الأصنام لابن الكلبى وغيره » .

وأما الأستاذ محمد لطفى جمعة فقد وجد أن خير رد أن يجمع بعض الشعر الجاهلى الذى يشير إلى الحياة الدينية فى الجاهلية بجمع طرفا لشعراء متعددين[1] ، فقد ذكر أن الأصنام التى عبدوها ونظموا فيها شعرا : « سواع وود » ، يقول شاعرهم :

حياك ود فإنا لا يحل لنا ... لهو النساء وإن الدين قد عزما

ويغوث :

وسار بنا يغوث إلى مراد ... فناجزناهم قبل الصباح

ومناة :

إنى حلفت يمين صدق برة ... بمناة عند محل آل الخزرج

واللات :

فإنى وتركى وصل كأس كالذى ... تبرأ من لات وكان يدينها

والعزى ، وكانت أعظم الأصنام عند قريش فكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول : واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى فإنهن الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى .

وهبل ، وهو الذى يقول له أبو سفيان بن حرب حين ظفر يوم « أحد » « أعلُ هبل » ، أى علا دينك .

---

(١) الشهاب الراصد ٨٥–٩٢

وكان من العرب دهريون قال قائلهم :

منع البقـاء تقلب الشمس … وطلوعها من حيث لا تمسى
وطلوعها حمراء صافية … وغروبها صفراء كالورس
تجرى على كبد السماء كما … يجرى حمام الموت فى النفس
اليوم أعلـم ما يجىء به … ومضى بفصل قضائه أمس

ومنهم من عبد الكواكب . وقد تعبد جمع من عقلائهم ما ترتضيه عقولهم ، ومنهم أمية بن أبى الصلت القائل :

الحمد لله ممسانا ومصبحنا … بالخير صبحنا ربى ومسانا
رب الحنيفة لم تنفد خزائنه … مملوءة طبق الآفاق أشطانا
وقد علمنا لو آن العلم ينفعنا … أن سوف تلحق أخرانا بأولانا
وقد عجبت وما بالموت من عجب … ما بال أحيائنا يبكون موتانا

ويذكر محمد لطفى جمعه فى كتابه هذا أن طه حسين حصر الشعر الجاهلى كله فى امرئ القيس وطرفة وعنترة ، ثم ادعى أن الشعر الجاهلى عجز عن تصوير الحياة الدينية للجاهليين . ومن المعلوم أن شعر امرئ القيس وطرفة وعنترة الذى اعترف به المؤلف لا يبلغ جزءاً من ألف من الشعر الجاهلى ، فلو خلا من الشعر الدينى فليس ذلك دليلا على أن الشعر كله لا يمثل الحياة الدينية ، ثم يقول : وفوق ما اقتبسنا من الشعر الصحيح الجاهلى سنثبت أن شعر طرفة وامرئ القيس وعنترة ليس خالياً من العاطفة الدينية القوية . قال طرفة فى معلقته :

أرى الموت يعتام النفوس ولا أرى … بعيداً غداً ما أقرب اليوم من غد

ومنه :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى … لكالطول المرخى وثنياه باليد

ومنه :

لعمرك ما الأيام إلا معارة … فما اسطعت من معروفها فتزود

ومما قال امرؤ القيس :

والله أنجح ما طلبت به … والبر خير حقيبة الرجل

ومما قال عنترة :

بكرت تخوفنى الحتوف كأننى … أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل

فأجبتها إن المنية منهل … لابد أن أسقى بكأس المنهل

فاقنى حياءك لا أبالك واعلمى … أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل

٢ — ويرى الدكتور طه أن الشعر الجاهلى لا يمثل الحياة العقلية فى الجاهلية فالقرآن الكريم يمثل حياة عقلية قوية .. يمثل قدرة على الجدال والخصام ، أنفق القرآن فى جهادها حظاً عظيماً . أفيظن هؤلاء القوم من الجهل والغباوة والغلظة والخشونة بحيث يمثلهم لنا هذا الشعر الذى يضاف إلى الجاهليين » .

وقد رد عليه السيد محمد الخضر حسين بقوله : فى الشعر الجاهلى معان سامية وحكمة صادقة وذلك دليل على ذكاء منشئيه وسعة خيالهم وإقصائهم النظر فى تأليف المعانى والتصرف فى فنون الكلام .

وأما الأستاذ الغمراوى فينكر أيضاً أن يكون القرآن يمثل العرب فى الجاهلية أمة مستنيرة لها حياة عقلية قوية[1] « فأما الحظ الذى أنفقه القرآن فى الجهاد بالحجة فعظيم ، لكن عظمه لم يكن ناشئاً عن عظيم قدرة على الجدال ولا عن حسن بصرهم بمواطن الحجة ، بل عن عظم رسوخ ما كان يجاهده القرآن فيهم من اعتقادات وعادات تأصلت فيهم على القرون . وإنك لو استقرأت مواقف المحاجة

(١) الغمراوى ١٤٨

التى وردت فى القرآن لا تكاد تجد فيها موقفاً قابل المجادلون الحجة فيها بالحجة وقارعوا الدليل بالدليل[١] .

٣ — وذكر الدكتور طه أن الشعر الجاهلى يمثل العرب أمة معتزلة تعيش فى صحرائها لا تعرف العالم الخارجى ولا يعرفها العالم الخارجى، أما القرآن فيصف عناية العرب بسياسة الفرس والروم وصلاتهم بغيرهم من الأمم .

وقد رد عليه السيد محمد الخضر حسين بقوله[٢] : وهل يصدق أحد أن ممن يدرسون الشعر الجاهلى من يتصور العرب أمة معتزلة فى صحراء، ثم يورد شعراً جاهلياً فيه دلالات على معرفة العرب بالأمم المجاورة وعلى صلاتهم بهم .

أما الأستاذ الغمراوى فقد ذكر[٣] « أن الدكتور طه لم يستشهد على ذلك إلا بآيتين وليس فى إحدى الآيتين « المعنى الذى أراد ولا ظله »» وقد عجب من أن الدكتور يدعى ما يدعى وهو لم يستقرئ الأدب الجاهلى ولم يوازن بين ما فيه وما فى القرآن .

٤ ـ وذكر الدكتور أيضا أن الشعر الجاهلى لا يمثل الحياة الاقتصادية الخارجية والداخلية لعرب الجاهلية بخلاف القرآن .

وقد رد عليه السيد محمد الخضر حسين بأنه استشهد على الحياة الاقتصادية الخارجية بآية واحدة ليس فيها إلا إشارة موجزة، وأن فى الشعر الجاهلى تفصيلا لهذه الإشارة[٤] .

وأورد الأستاذ محمد لطفى جمعة من الشعر الجاهلى ما يرى فيه تصويراً لحياة العرب الاقتصادية الداخلية فى الجاهلية[٥] .

---

(١) الغمراوى ١٥٢ (٢) الخضر حسين ٥٧ (٣) الغمراوى ١٥٢
(٤) الخضر حسين ٥٧ (٥) الشهاب ١٥٢

أما الأستاذ الغمراوى فيرى أن طه حسين لو قرأ القليل المكتوب عن ابن الزبعرى فى « طبقات ابن سلام » لوجد فيه ما لا يقل فى دلالته الاقتصادية عن آية « لإيلاف قريش » .

وقد تكلف طه حسين واستنتج الحياة الاقتصادية الداخلية من تحريم القرآن الربا وفرضه الصدقات .

أما عن زعمه أن الأدب الجاهلى كله لم يذكر الربا فهو نتيجة لعدم استعراضه الأدب الجاهلى ، على أن مثل هذه النواحى ـ إذا ذكرت فى الأدب ـ لاتذكر إلا عرضاً ، لأن التجارة وما اتصل بها من ربا أو غيره ليست من الأمور التى تسمو حتى تصير فى متناول الشعر والنثر الأدبى فى عصرنا هذا ، فضلا عن العصر الجاهلى[1] . فإذا كان الأدب الجاهلى قد خلا حقاً من ذكر الربا فلن يكون فى ذلك دليل على أن الأدب الجاهلى موضوع .

٥ ـ الدليل اللغوى : وقد أفاض الناقدون فى نقد هذا الدليل ، فالسيد محمد الخضر حسين يرى أن الدكتور طه قد أخذ هذا الدليل من « مرجوليوث » فيقول[2] : « أخذ المؤلف يذكر الشاهد على اصطناع الشعر الجاهلى وهو أن اللغة القحطانية غير اللغة العدنانية ، والشعر المنسوب إلى بعض شعراء اليمن لايختلف عن شعر العدنانية وهذا مما استشهد به « مرجوليوث » قبله ، ونحن لا ننازع فى أن اللغة القحطانية كانت لغة أجنبية عن العدنانية فى عهد يتقدم ظهور الإسلام بعشرات من السنين ، ولكن الاختلاف بين اللغتين قد خف وزال منه جانب من الفوارق ولم تبق القحطانية من العدنانية بمكان بعيد ، لأن قبول اللغة القحطانية لأن تتحد مع اللغة العدنانية بعد ظهور الإسلام لا يكون إلا عن تقارب وتشابه هيأ هما لأن يكونا لغة واحدة .

---

(١) الشهاب ١٥٧ (٢) الخضر حسين ٧٠ ـ ٧١

ثم يرى أن العثور على نقوش باللغة الحميرية يرجع تاريخها إلى المائة الخامسة والسادسة للميلاد لاينقض هذا الرأى ، وذلك لأن التقارب بين اللغتين لم تبدأ به القبائل القحطانية والعدنانية فى وقت واحد ، بل سبقت إليه القبائل المجاورة للعدنانية ، ثم أخذ يتدرج فيما وراءها من القبائل ، فالوقوف على أثر مخطوط قبل الإسلام بنحو مائة سنة أو ما دونها إنما يدل على أن سكان الناحية التى انطوت على هذا الأثر لم يزالوا على لسان حمير القديم ، وهذا لا ينفى أن يكون غيرها من القبائل القحطانية قد ارتاضت ألسنتهم بلغة تشبه اللغة العدنانية .

ومن الممكن القريب أيضاً أن يكون أهل المكان الذى عثر فيه على هذه المخطوطات الأثرية ينطقون باللغة القريبة من اللغة العدنانية ولكنهم استمروا فى الكتابة على لغتهم التى كانت اللسان الرسمى لسياستهم أو ديانتهم ، وقد حكى التاريخ لهذا الوجه نظائر[1] .

ثم يتطرق إلى عبارة أبى عمرو بن العلاء التى أوردها الدكتور طه وأصلها : « ما لسان حمير وأقاصى اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا » ، فيذكر أنه حذف «وأقاصى اليمن» حتى لا يأخذ القراء منها أن لغة غير الأقاصى وهى القبائل المجاورة للقبائل المضرية ليس بين عربيتها وعربية مضر هذا الاختلاف .

هذا شأن الاختلاف بين اللغتين ، أما تشابه الشعر القحطانى والعدنانى فله سبيل آخر والشعراء فى جنوب الجزيرة وشمالها أصبحوا من قبل الإسلام ينظمون الشعر بلهجة واحدة أو متقاربة[2] .

ومما يتعذر قبوله أيضاً أن يصنع غير اليمانيين أشعاراً فى لهجة قرشية ويعزوها إلى القدماء من شعراء اليمن دون أن يجدوا من اليمنيين أو ممن يعرف لهجة شعراء

---

(١) المضر حسين ٧١-٧٢ (٢) المصدر السابق ٩٢

اليمنيين من ينكر صنيعهم ويناضلهم بحجة أن هذا الشعر غير منطبق على لهجة أولئك الشعراء .

ثم رد على طه حسين حديثه عن أن لهجات القبائل العدنانية نفسها وهى مختلفة غير ظاهرة فى هذا الشعر الجاهلى ، فقال[1] : « هذه الشبهة مطرودة بنظرية وجود لغة أدبية يحتذيها الشعراء على اختلاف قبائلهم منذ عهد الجاهلية » .

ويرى الأستاذ لطفى جمعه[2] « أن طه حسين يؤكد أن الرواة يضيفون شيئاً كثيراً من الشعر الجاهلى إلى قوم ينتسبون إلى عرب اليمن ، ويؤيد مخالفة اللغة القحطانية للغة العرب برواية أحد الرواة وهو أبو عمرو بن العلاء ، فكأن الرواة الذين كانوا يعلمون اختلاف اللغتين من أقدم الأزمنة رووا على الرغم من علمهم هذا شعراً كثيراً بالعربية العدنانية وحملوه على شعراء اليمن ، وهذا كلام ظاهر البطلان، لأن الراوية الذى يعرف اختلاف الأمتين واختلاف اللغتين إذا أراد الوضع والاختلاق لايقع فى مثل هذا الخطأ للفضوح سيما وأن المؤلف قال فى ص ١٢٠ عن حماد الرواية : أما حماد فرجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه مذهب رجل ويدخله فى شعره . أفيعقل أن راوية كحماد والعالم باللغات والمعانى والمذاهب يخطىء مثل هذا الخطأ ، ثم يقول[3] .

« وكيف يثبت لنا المؤلف أن أبا عمرو بن العلاء أراد اختلاف اللغتين فى زمن الجاهلية وقد عجز المؤلف عن تحديد هذا الاختلاف لعله بجواز تطبيق هذا القول على زمن الراوية أبى عمرو نفسه فقد قصد بذلك أن اللهجة العربية الحميرية التى كانت شائعة فى زمنه فى بقايا حمير فى بلاد اليمن تخالف اللهجة العربية الفصحى وحينئذ يفلت هذا الدليل من يد مؤلف الشعر الجاهلى » .

(١) النقد حسين ١٠ (٢) الشهاب الراصد ١٣٦ (٣) المصدر السابق ١٣٩

ثم أورد أبياتاً من الشعر الجاهلى ما تزال تظهر فيهـا بقايا من اختلاف اللهجات العدنانية[١].

وأما الشيخ الخضرى فيقول[٢]: « وأكثر الشعر اليمانى إنما هو لشعراء من سبأ كانوا بالشمال إما بالمدينة وإما بالعراق وإما بالصحراء الشمالية وإما بالشام أو لعرب عدنانيين » ، فالشيخ يرى بعد ذلك أنه إذا سلمت مقدمته بأنه كان هناك خلاف بين لغة حمير ولغة عدنان ـ فإن ذلك لاينتج شيئاً لأن العربية القديمة عربية حمير لم يؤثر شيء من شعرها ، وابن سلام فى الطبقات إنمـا ساق عبارة أبى عمرو فى هذا الصدد، وهو نفى أن يكون هناك شعر تصح نسبته إلى عاد وثمود » .

ثم يقول عن اختلاف اللهجات[٣] « لاندرى كيف يظهر فى الشعر تباين اللهجات ؟ فإن اللهجة كما قدمنا إنمـا هى ما يرجع إلى الأداء والشىء الواحد قد يؤدى بلهجات مختلفة وهو هو فى حركاته وسكناته كما اختلف الأداء فى القرآن نفسه (القرآن هو هو !) لاندرى كيف يكون اختلاف اللهجات مؤثراً فى الشعر فى أوزانه وتقاطيعه وبحوره وقوافيه بوجه عام ! لا أنهم تأثير الإمالة والتفخيم فى بحر الشعر وقافيته فإن مفخم الألف ينشد « قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل » بألف مفخمة كما ينشدها المميل بألف ممالة فلا يتغير فى البيت حركة ولا سكون وهما اللذان تبنى عليهما تفاعيل الشعر وكما لايتغير شىء بالإمالة والتفخيم لايتغير بالإدغام والإظهار »[٤] .

---

(١) الشهاب الراصد ١٥٤ـ١٥٧ (٢) الخضرى فى محاضراته ١٠ـ١١
(٣) المصدر السابق ٧٥ (٤) المصدر السابق ١٨

وأما الأستاذ الغمراوى فقد قال[1] « إن الدكتور طه قد نبهه النقد إلى أن ثبوت اختلاف لغة الجنوب عن لغة الشمال لو ثبت أنهما كانتا مختلفتين فى العصر الجاهلى القريب لا يصلح دليلا على أن أدب يمانية الشمال موضوع ؛ لأن قبائل من اليمن فى الشمال كانت هاجرت من الجنوب إلى الشمال منذ أمد بعيد فلم يكن هناك بد لمن نشأ فى الشمال من ذرياتها أن ينشأ على لغة الشمال » .

وقد أجاب طه حسين أن هجرة فريق من عرب اليمن إلى الشمال غير ثابتة وأن صحة يمانية من انتسب إلى اليمن من قبائل الشمال غير ثابتة . . والرد أنه إذا صح أن التاريخ القديم والتاريخ الحديث أجمعا على خطأ فلم تكن هجرة ولم يكن فى الشمال يمانيون لم يكن هناك أدنى شبهة لغوية يمكن أن يعترض بها على صحة كلام مثل امرىء القيس إذ يصير امرؤ القيس ومن معه بذلك مضريين ، ويصير من السخف أن يقال بعد ذلك إن كلامهم أو شعرهم منحول لأن لغته ليست لغة نقوش حميرية اكتشفت فى الجنوب .

ثالثا ـ نقد أسباب النحل عند طه حسين :

لقد جعل الدكتور طه حسين أسباب النحل ـ كما مر ـ خمسة أسباب : السياسة والدين والقصص والشعوبية والرواة .

١ ـ السياسة ونحل الشعر : أجمع النقاد على أن الدكتور طه لم يورد شيئاً من الشعر الجاهلى الذى دعت السياسة إلى نحله .

قال السيد محمد الخضر حسين[2] « لم يستطع المؤلف أن يضرب مثلا لشعر جاهلى اخترعته نزعة سياسية .

(١) النقد التحليلى ١٨٨ (٢) المصدر السابق ١٨٥

وقال الأستاذ محمد لطفي جمعة[1] «أين السياسة من بحثه؟! وأين الشعر المنتحل؟! ومن واضع الشعر المنحول؟!

وقال الشيخ محمد الخضري[2]: «ألم يكن من واجب المؤلف أن يذكر لقراء كتابه بعض الشعر الذي وضعته قريش في الإسلام ونسبته إلى بعض شعرائهم في الجاهلية وكان الداعي إلى وضعه السياسة؟! إنه لم يذكر شيئاً من ذلك وليس لهذا وضع الشيخ كتابه!».

٢ — الدين ونحل الشعر:

قال السيد محمد الخضر حسين[3]: «ينكر المؤلف كل ما يروى من الشعر والأخبار الممهدة للبعثة النبوية. وإنكارها على هذا الوجه إنما تسمعه ممن ربط قلبه على نفي النبوة، إذ ليس من المحتمل عنده أن يقال فيها شعر أو يرد عنها خبر قبل أن يدعيها صاحبها، أما الذين يدعون بأن نبوة أفضل الخلق حق فمن الجائز عندهم أن يسبقها شعر أو خبر يتصل بها، وشأنهم أن يفحصوا ما يروى في هذا الصدد ويضعوه بمنزلة من الوضع أو الضعف أو الصحة، وكذلك فعل علماء الإسلام فحكموا على جانب مما كان من هذا القبيل بالوضع كالأخبار والأشعار المعزوة إلى قس بن ساعدة».

ثم يعرض لما ذكره الدكتور طه من أن النبي ﷺ نهى عن رواية شعر أمية، فرد عليه بأن في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ استنشد رجلا شعر أمية فظل ينشده حتى أنشد مائة بيت، وقال: لو صح أن النبي ﷺ نهى عن شعره لكان هذا النهي مقصوراً على قصيدة أمية التي رثى بها قتلى قريش في وقعة «بدر»!

(١) النقد التحليلي ١٨٤ (٢) المحضري ٣٤ (٣) نقض كتاب في الشعر الجاهلي ١٨٨

وقال الأستاذ محمد لطفى جمعة[1] : « يريد مؤلف الشعر الجاهلى أن يخدع القارئ ويوهمه أن كل ما ورد فى الأدب العربى من نثر وشعر عن الجن ووجودها وأخبارها إنما وضع بعد الإسلام وضعاً لتبرير سورة الجن التى جاءت فى الكتاب المنزل على أفصح العرب ، وأن كل ما نسب إلى العرب فى أدبهم من هذه الناحية إنما اصطنع اصطناعاً مجاراة للقصيدة التى اقتضتها هذه السورة القرآنية .. والحقيقة أن عرب الجاهلية كانوا يعتقدون بالجن ونظموا شعراً كثيراً عن علاقة الجن بالشعر والشعراء،ولم تكد أمة سامية أو آرية تخلو من الاعتقاد بالجن أو الأرواح الخيرة والشريرة .

وأما الشيخ الخضرى فيعرض لما تحدث به الدكتور طه من أمر الشعر الممهد للبعثة النبوية ، فيقول : « إن انتظار بعض علماء العرب وكهانهم وأحبار اليهود ورهبان النصارى لبعثة نبى عربى من المسائل التى ذكرها القرآن ، ثم قال[2] : « ذكر الأستاذ بعد ذلك من منحول الشعر ما أورده المفسرون زاعماً أنهم أوردوه لإثبات عربية القرآن ، ثم غير مقال : فحرصوا على أن يستشهدوا على كل كلمة من كلمات القرآن بشيء من شعر العرب يثبت أن الكلمة عربية لا شك فى عربيتها وعقب الشيخ الخضرى على ذلك بقوله : « وهذه الجملة فيها غلو وفيها خطأ : أما الغلو : فنى قوله : إنهم استشهدوا على كل كلمة منه ، مع أن التفسيرين اللذين عنيا بهذا الاستشهاد أتم عناية هما تفسيرا الطبرى والزمخشرى ، ومع ما فيهما من الشواهد الكثيرة فإن ادعاء الاستشهاد على كل كلمة لا يؤيده الواقع .. إن شواهد الكشاف عددها ٧٢٧ شاهداً وليس هذا عدد كلمات القرآن .

---

(١) الشهاب الراصد ٢١٢ (٢) الخضرى ٤١-٤٢

وأما الخطأ : فني ظنه أن هذه الشواهد كلها جاهلية جيء بها لإثبات عربية القرآن، مع أن أكثر هذه الشواهد لشعراء إسلاميين، وليس الاستشهاد لإثبات عربية القرآن وإنما هو لبيان مفهوم الكلمات التي يعدها الناس أحياناً غريبة ، على أن هذا المعنى قد يلحظ أحياناً وهو أن القرآن جاء بلغة العرب .

ويقول الأمير شكيب أرسلان في مقدمة كتاب النقد التحليلي : « إن قلة من الأوربيين وتبعهم نزر منا محب للشهرة أو مغرم بالمخالفة يرى أن الإسلام أراد أن يطمس كل ما تقدمه وأن يمحو كل أثر للأديان السابقة فرفع من بين العرب بعد الإسلام الشعر الجاهلي الحقيقي وتبدل به شعرا مصنوعاً مقلدا به نسق الجاهلية » ، ثم يقول الأمير شكيب : « يتلخص الجواب على هذا الزعم في الأمور الآتية :

(ا) لا مصلحة للإسلام في تعقبه آثار من سبقه ، بل من مصلحته أن يعلم الناس أنه تمكن بعد ضعفه أن يقتلع تلك الأديان من جذورها وأن يروا الفرق بينه وبين أديان الجاهليين .

(ب) القرآن ملآن بذكر الديانات السابقة، بل بذكر أخبار الوثنية وأصنامها كاللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى .

(ج) ما بأيدينا من الشعر الجاهلي خليق بعصره ، ومن أولئك الشعراء مشركون ويهود ونصارى تشم من شعرهم رائحة دياناتهم، وقد روى الرواة شعرهم وروى النبي كلام قس بن ساعدة ، ورووا افتخار الأخطل بنصرانيته وبامتناعه عن الإسلام عند ما قال :

ولست بصائم رمضان عمري ... ولست بآكل لحم الأضاحي

ولست بقائل ما عشت يوماً ... قبيل الصبح حي على الفلاح

ونقلوا كل ما قيل من شتم الرسول وهجوه ، ومنها :

لعبت هاشم بالدين وما نبأ جاء ولا وحى نزل
ليت أصحابى ببدر علموا جزع الخزرج من وقع الأسل

(د) ويقول الأمير بعد ذلك :

وأما قوله (يعنى طه حسين) أن القدماء لم يتعرضوا لبحث علمى إلا من حيث إنه يؤيد الإسلام ـ فغير صحيح ، لأن كتب الأدب والمحاضرات إن لم يكن فيها ما يناقض الإسلام فإن فيها كثيراً من الغزل والتشبيب وأخبار العشاق ، لا بل من المجون والبذاءة والسفاه ما هو كله منهى عنه فى شرع الإسلام فكيف يقال إنها تؤيد الإسلام ؟! ولقد نقل القدماء حكمة يونان وفارس والهند وأمم أخرى ، وحث الإسلام على العلم أينما كان ، وقال : « الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها » .

٣ — القصص ونحل الشعر : وقد ذهب هؤلاء النقاد إلى أن الدكتور لم يأت بشىء جديد لم يذكره القدماء من النقاد فى العصور الماضية ، فهم لم يقصروا فى تمييز طيب الشعر من خبيثه ، وقد عبدوا الطريق لمن يخلفهم حتى لا يزعجهم كذب كاذب أو تلفيق ملفق ، فيرفضوا جميع ما روى من الشعر كما فعل مؤلف الشعر الجاهلى .

ويقول الأستاذ محمد أحمد الغمراوى[1] : يعد طه حسين تاريخ الجاهلية بأيامه وأشعاره موضوعاً ، ومعلوم أن الحوادث كانت كثيرة فى الجاهلية لا يكاد يمر يوم إلا بوتر يدرك أو حلف يعقد أو حرب تنشب أو سلم يقع أو غارة تبيت أو مكيدة تدبر أو مكرمة تذكر أو مخزاة تنشر . . وكل ذلك وكثير مثله يثير العاطفة ،

(١) النقد التحليلى ٢٤٢

والعاطفة خير وعائها الشعر ، فكان الناس فيما يقع لهم من الحوادث يعبرون عن عواطفهم شعرا ، من استطاع الشعر قاله ومن لم يستطع تمثل بشعر من استطاع ، ولذلك كان تاريخهم في الجاهلية جزءا من الأدب، أو كان أدبهم جزءا من التاريخ، وكذلك كان الإسلام إلى أوائل العصر العباسى تاريخه قطعة من أدبه ، وأدبه جزء من تاريخه » .

ويقول معلقا على ما استدل به طه حسين من أن التاريخ الإسلامى وقصصه من النوع الخيالى وأن الشعر ملفق منحول برواية ابن سلام[1] : « ليس الاعتذار من ابن إسحق صاحب السيرة اعتذار ملفق، وإنما هو اعتذار جاهل بالشعر يعتذر بجهله عما وقع فيه من عدم تمييز الصحيح من المنحول فى الشعر الذى كان يرويه ، واعتذاره هذا يدل على أن قد كان هناك فى زمن ابن إسحق بصيرون بالغثاء وغير الغثاء من الشعر لاموه فيما روى من الغثاء ، ويدل على أن الملفقين الذين زعم كانوا لايقدرون إلا على الغثاء الذى لا يخفى على الناقد ، ويدل على أن ابن إسحق أدرك فيما رواه غثاء لا خير فيه واكتفى بأن يدفع عن نفسه اللوم بذلك الاعتذار .

هذا عن الشعر « ومن المهم أن نلاحظ أن الذين لاموا ابن إسحاق قصروا لومهم على الشعر دون الحوادث ، فهو قد روى غثاء من الشعر ولكنه لم يرو غثاء من الأخبار وإلا للاموه فيها ولأنكروها كما أنكروا الشعر ، وهذا معقول فالمسلمون فى الصدر الأول احتاطوا فى إحصاء أعمال الرسول كل محتاط ، لأنها كانت بعد القرآن عمدتهم فى استنباط أحكام الدين « ولقد يبلغون من التدقيق أنهم يوردون عشرين أو ثلاثين رواية كل منها بأسانيدها حتى يملأوا بها عدة صفحات لأجل تحرير جملة واحدة قالها أحد السلف ، ويمحصوا كيف كانت تلك

---

(١) النقد التحليلى ٢٤٤ ـ ٢٤٧

الجملة ، وقد تكون الرواية لا تختلف عن الأخرى إلا بكلمة أو حرف وقد يكون المعنى واحدا ، وقد وصلوا من هذا المدى إلى حد أن عده بعضهم إفراطا وضياع وقت وعابوه عليهم . . وبالإجمال وصلوا من تحرير الرواية إلى سدرة المنتهى » .

(٤) الشعوبية ونحل الشعر : قال السيد محمد الخضر حسين : إن الدكتور طه عقد فصلا للشعوبية ونحل الشعر الجاهلى، ولكنه لم يأت برواية تدل على أن بعض الشعوبية انتحل شعرا جاهليا[١] .

وأما الشيخ محمد الخضرى فذهب إلى أن حديث الدكتور فى هذا الفصل قائم على الفرض والتخيل لا على الحقائق .

ويقول محمد فريد وجدى[٢] « إن الدكتور طه حسين فى بحثه عن مصادر الشعر المختلق المنسوب للجاهليين عول على كتب المحاضرات كالأغانى والعقد الفريد والبيان والتبيين وغيرها ، ولا ندرى كيف فاته أن هـذه الكتب أدبية فكاهية مقصورة على البحث فى أطوار فن واحد كان يغلب على أهله - وهم أدباء العصور الخالية - المجانة والتقرب إلى الرؤساء بكل وسيلة من الجد والهزل ، ولو سلط عليها نقد جدى لنفى تسعة أعشار مافيها لعدم موافقته للمألوف، وشطرا من العشر الباقى لنقص سنده التاريخى .. ونحن لا ننكر أن نفرا من الشعراء الذين أصولهم فارسية ، وأن رجالا من العرب الذين لاحظ لهم من الإسلام إلا الانتحاق بأهله - أحيوا سنة الجاهلية من التفاخر بالآباء والتنابز بالألقاب ، وارتكبوا جريمة الاختلاق على الأقدمين، وهذا من الأمور الطبيعية حتى فى الأمة الواحدة.. ولكن أين الدكتور طه من هذا المثل الأعلى الذى أوجده الإسلام من إدماج الأمم بعضها فى بعض وتأليفه منها دولة قامت لأول مرة فى تاريخ البشر على المبادىء

---

(١) نقض كتاب فى الشعر الجاهلى ٥٣ (٢) نقد كتاب فى الشعر الجاهلى ٤٨ : - ١٠٢

لا على الجنسيات ؟ ! إن من شاء أن يرى المثل المحسوس من هذا الأمر المدهش - فلينظر إلى الأمة الإسلامية فى القرون الثلاثة الأولى من حياتها ، ليرى أن العربى القح كان يأخذ لغته وأدبه ودينه وتصوفه وسياسته وعلمه عن ناس لا يسألهم عن أنسابهم وأجناسهم ، ولا يبالى بألوانهم ولا صورهم ، وقد كان فى كل عاصمة ومدينة فى شتى الأمصار والأقطار التى تعتبر مراكز للعلم والدين - إمام يقلده أهلها فى الدين ، وكل هؤلاء الأئمة من الموالى الذين يقول عنهم الدكتور طه حسين إنهم كانوا يكرهون العرب، فقد كان عطاء بن أبى رباح إماما فى مكة، وطاووس فى اليمن ، ومكحول فى الشام، ويزيد بن أبى حبيب فى مصر، وميمون فى الجزيرة، والضحاك بن مزاحم فى خراسان، والحسن البصرى فى البصرة .. وكلهم من الموالى، كما كان سعيد بن جبير ، وسليمان الأعمش ، وأبو حنيفة الذى لقبه العرب أنفسهم بالإمام الأعظم ، والبخارى ومسلم صاحبا الصحيحين ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، والدارقطنى ، والسجستانى ، ووهب بن منبه - أقدم رواة الحديث، ونافع صاحب القراءة المشهورة إلى غير ذلك ممن لا يحصرهم العد .. » .

« فإن كان صحيحا ماقاله الدكتور طه عن الموالى وجب أن يكون المسلمون منذ ألف وثلثمائة سنة إلى اليوم من الغفلة والغباوة والبلادة فى الحضيض الأسفل، إذ أخذوا دينهم عن قوم من الطراز الذى وصفه الدكتور طه حسين بإضمار الخصومة للمسلمين الأولين ، وبكراهة الإسلام وتفضيل المجوسية عليه . . وهذا ما لا يقول به عاقل » .

٥ — الرواة ونحل الشعر : تعرض السيد محمد الخضر حسين لما تعرض له الدكتور طه من ذكر « حماد الراوية » و « خلف الأحمر » وقال إنهما ليسا

« مرجع الرواية كلها ولا أن الطعن فيهما طعن فى الرواية جميعها »[١] .

ثم ذكر أن الدكتور رمى « أبا عمر الشيبانى » بالكذب والوضع ، مع أن أحدا من القدماء لم يرمه بذلك حتى إن خصومه قد وثقوه ، بل قال عنه: وأكبر الظن أنه كان يؤجر نفسه للقبائل يجمع لكل واحدة منها شعرا يضيفه إلى شعرائها». ولا يمكن أن يكون ذلك قد حدث من غير أن يتنبه له القدماء ويشيروا إليه[٢] والدكتور لم يبن حكمه هذا إلا على الظن والتخيل .

أما الأستاذ محمد لطفى جمعه فقال[٣] « وإن كان بعض المتعاصرين والأنداد من الرواة طعن بعضهم فى بعض ـ فليس فى الطعن حجة أو دليل على صحة التهمة لأن اتحاد الحرفة والمنافسة فى الشهرة قد تدفع ببعض الرواة إلى الحسد والغيرة ، حتى إن رواة ثقات كالأصمعى وأبى عبيدة وأبى زيد كانوا يتطاعنون، ويضعف كل منهم رواية صاحبه ، ولكن المحققين ينزهونهم عن الكذب، فلا يجوز إذن أن نأخذ بما يقوله الرواة بعضهم فى بعض ، فإن كلام الأقران بعضهم فى بعض لايقدح فى العدالة ، وهذا رأى علماء الحديث وجاراهم فيه أهل الأدب حتى قالوا : « إن المعاصرة حجاب » .

ويقول لطفى جمعه[٤] : « الرواية والتواتر والإسناد هى وسائل العلم والدين والأدب عند العرب فى جاهليتهم وإسلامهم ، ولم يسبق لأحد من الباحثين أن طعن فى تلك الوسائل من علماء المشرقيات الأجانب المحققين أمثال نولدكه دويلهاوزن ، وجولد زيهر ، ورينان ، وكليمان هوار ، ونيكلسون ، وليون كايتانى ، وبرتلميه سانت هيلر . . بل أقروها ووافقوا ابن قتيبة فى قوله المأثور « ليس لأمة إسناد كإسنادهم » .

(١) نقض كتاب فى الشعر الجاهلى ٢٦٧
(٢) المصدر السابق ٢٧٤ـ٢٧٥
(٣) المصدر السابق ٢٧١ـ٢٧٢
(٤) مقدمة الشهاب الراصد .

ويقول الأمير شكيب أرسلان[1] : « إن طه حسين يتهم بوضع الشعر الرواة الذين رووه : النحاة الذين قصدوا به تأييد قواعد النحو واللغة ، والمحدثين الذين ابتغوا به تأييد لغة الحديث ، والمفسرين الذين توخوا به تعزيز أسلوب القرآن . . وينسى أن شعرا كهذا لا يقوم به إلا شعراء فحول ، وأن كل الذين ذكرهم لو قاموا به لا يقدرون على مثله . . هذا على فرض المحال أن أولئك العلماء الأجلاء كانوا مدلسين وضاعين ، مع أنه يقول : إنهم كانوا « أتقياء بررة » ، وينسى أن التقوى لا تمتزج مع الكذب ، ويقول : « كان القدماء مخلصين فى حب الإسلام فأخضعوا كل شىء لهذا الإسلام ، ولم يعرضوا لمبحث علمى إلا من حيث أنه يؤيد الإسلام . . والمسلم المخلص فى حب الإسلام أجدر بأن يتحامى الكذب والتدليس فى خدمة الإسلام خشية أن يكون أدخل بهذا التلفيق على براهين الإسلام شوائب لا يلبث أن يفتضح أمرها ، وأن يعلم أنها أكاذيب فتقع الشبهة حينئذ فى الإسلام كله » .

ويقول الأمير شكيب كذلك : « إنه لا يأتى أحد عملا فى الدنيا بدون غاية يقصد إليها ، وإلى الآن يتعذر علينا أن نفهم المقصد الذى لأجله تكلف « حماد » « والأصمعى » خلق مئات ألوف من أبيات الشعر وعزوها إلى الشنفرى والأعشى وامرىء القيس وغيرهم ، وخلق الحوادث التى قيلت فيها وإقناع الشعب العربى بالتواطؤ منهم على ما خلقوه ! ولو نطق العربى بالفاعل مجروراً لقال النحاة بجره ، إذ ليس لهم أدنى منهم من رفعه ، فلماذا يخلقون شعراً من عند أنفسهم وينسبونه إلى زيد وعمرو من الجاهلية ليؤيدوا به أن الفاعل مرفوع ؟!

---

(١) مقدمة النقد التحليلى .

ثم لو كان هناك نحوى واحد أو نحويان أو ثلاثة لهان الخطب ولكنهم مئات وألوف ، أفكل هؤلاء تواطأوا على الكذب وأنشدوا أشعاراً يؤيدون بها قواعد نحوهم وعزوها إلى الجاهلية وهي ليست من الجاهلية ؟!

وأما المفسرون والمحدثون والمتكلمون فلم يكونوا شعراء ، وإن وجد منهم من قرض الشعر فيكون نادراً والنادر لا حكم له ، ثم إن كانوا قالوا شيئاً من الشعر فقد كان أسلوبهم فيه أسلوب علماء لا يخفى على الناقد البصير وهذا بعيد عن مذاهب الشعراء . وأذكر هنا النكتة التي رواها ابن خلدون في مقدمته عن لسان الدين بن الخطيب حين أنشده منشد :

لم أدر حين وقفت بالأطلال   ما الفرق بين جديدها والبالى ؟

فقال له هذا شعر فقيه لقوله « ما الفرق » ، لأن الشعراء لا يعرفون هذا الأسلوب .

وليقل لنا « طه » مَن مِن المحدثين كان يزور الشعر ؟! أفكان البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه وأحمد بن حنبل والشافعى ومالك والمزنى والدارقطنى وابن تيمية ، وهذه الطبقات بمكانهم من الصدق والورع والتحرى إلى الدرجة التى لم تعهد فى أمة من الأمم ـ هم الذين قالوا تلك الأشعار الجاهلية على ما فيها من غزل وتشبيب وطروق نساء فى الليالى الخ .

وهم الذين كان الواحد منهم إذا أراد أن يتلو حديثا قام فصلى ركعتين وتوسل إلى الله أن يلهمه الصواب حتى لا يأتى بحرف زائد أو ناقص ؟!

ومَن أولئك المفسرون الذين زوروا القصائد على الجاهلية؟ إن المفسرين عددهم عشرات تقريبا ، وأشهرهم : الطبرى والرازى والزمخشرى والبيضاوى وابن برجان .

أفأحد يقول إن ابن جرير الطبرى كان عنده من الوقت مع تآليفه التى كانت تفنى الأعمار دون قراءتها ، وحلقات دروسه المتصلة التى كان يقصدها الناس من الآفاق بحيث إنه كان يصنع القصائد على ألسن الجاهليين ؟!

وما الذى حدا بهم إلى ذلك ؟ أفكان هذا الشعر الذى زوروه فى معنى القرآن الذى فسروه ؟!

وأما المتكلمون فأنى لنا ببيت قيل إنه نظمه أبو الحسن الأشعرى أو أبو منصور الماتريدى أو إمام الحرمين أو شمس الإسلام الجوينى أو الإمام الغزالى أو أبو بكر الباقلانى أو النسفى أو غيرهم من المتكلمين على لسان أحد من شعراء الجاهلية ، أو اشتبه فى أنه له دون الجاهلى الذى نسب إليه ، وقل لنا ما غاية ذلك الإمام المتكلم من تلك الكذبة ؟ واشرح لنا ما فى هذا الكلام المختلق من زيادة الاستدلال على وجود الله أو على صحة الإسلام !

إن هؤلاء المتكلمين هم مناطقة قضوا أعمارهم فى التعليل والقياس ، فلا يعقل أنهم يأتون عملا أو يقولون قولا بلا سبب .

وعلى أى حال فما الذى فى شعر الجاهلية مما يعزز الإسلام ويزيد فى إيضاح براهينه ، حتى يقوم المحدثون والمفسرون والمتكلمون بارتكاب كبيرة التزوير ، فيكونوا كمن شهد الزور بلا طلب ، أو سرق على غير حاجة ، وهذا أمر إن لم يرده الدين والخلق رده المنطق والعقل » .

خاتمــــة

نحن لا نذهب - ولا يصح لأحد أن يذهب - إلى أن جميع ما فى تضاعيف الكتب العربية من شعر منسوب إلى الجاهلية صحيح مبرأ من الوضع والنحل وإنما نستطيع أن نقسم الشعر المنسوب إلى الجاهلية إلى ثلاثة أقسام[١] :

١ - قسم منحول موضوع إما على وجه اليقين أو على وجه الترجيح : وأ كثره ما وضعه القصاص ليحلوا به قصصهم أو يكسبوه ثقة فى نفوس التابعين ، ومنه ما وضعه القصاص على لسان آدم أو غيره من الأنبياء أو على لسان بعض العرب البائدة وما وضع بعض الرواة ليثبتوا به نسباً أو يدلوا به على أن لبعض العرب قدمة وسابقة .

٢ - وقسم صحيح لا سبيل إلى الشك فيه : وذلك الذى أجمع العلماء والرواة على إثباته بعد دراسته وفحصه . والقدماء كانوا يميزون الراوية ، من العالم بالرواية والشعر ، فيأخذون قول الأول فى حذر ولا يقبلون منه إلا ما يطمئنون إلى صحته ويأخذون قول الثانى فى ثقة واطمئنان إلى أن يظهر لهم من وجوه النقد ما يضعف من ثقتهم واطمئنانهم . والعلماء بالرواية والشعر على اختلاف مذاهبهم كانوا يجدون فى الجمع والاستقصاء ثم فى البحث والتمحيص حتى يميزوا الصحيح من الموضوع ، فلا يحفلوا بالموضوع ويسقطوه من مروياتهم وكتبهم أو يثبتوه وينبهوا عليه .

وهذا هو سر ما نجده من تشكك المتشككين فى صحة ما يرويه بعض كبار الرواة وثقاتهم مثل حماد وخلف والأصمعى لأنهم كانوا يأخذون بالشبهة

---

(١) مصادر الشعر الجاهلى ٤٦٥

الخفيفة تحرياً للحق . ويشهد على ما نقول أن خلفا الأحمر كان رأساً من رءوس الرواة أخذ عنه البصريون جميعاً ، وكان من هؤلاء العلماء الذين لا يقبلون من الشعر إلا ما ميزوا صحته ولا يروون منه إلا ما اطمأنوا إلى أنه غير موضوع ، حتى لقد جاءه يوماً « خلاد بن يزيد الباهلي » ، وكان « خلاد » حسن العلم بالشعر يرويه ويقوله فقال له : بأى شىء ترد هذه الأشعار التى تروى ؟ قال له : هل فيها ما تعلم أنت أنه مصنوع لا خير فيه ؟ قال : نعم أفتعلم فى الناس من هو أشعر بالشعر منك ؟ قال : نعم ، قال : فلا تنكر أن يعلموا من ذلك أكثر مما تعلم أنت »[1] وحتى لقد قال له قائل يوماً إذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه فما أبالى ما قلت فيه أنت وأصحابك ، قال له : إذا أخذت أنت درهماً فاستحسنته فقال لك الصراف إنه ردىء هل ينفعك استحسانك له ؟ .

وقد بلغ رواة الشعر وعلماؤه من التحقيق والتمحيص وتمييز منحوله والنص على الموضوع منه منزلة جعلت بعض العلماء يفضلونهم على رواة الحديث ، فقد قال محمد بن سلام[2] : حدثنى يحيى بن سعيد القطان قال : « رواة الشعر أعقل من رواة الحديث لأن رواة الحديث يروون مصنوعاً كثيراً ، ورواة الشعر ساعة يروون المصنوع ينتقدونه ويقولون هذا مصنوع » .

وإذا ما سألنا عن مقاييس هؤلاء العلماء الرواة فى نقد الشعر وتمييز صحيحه من منحوله ــ نكتشف أنه كان بين أيديهم ثلاثة مقاييس :

(ا) ذوقهم الشعرى الذى اكتسبوه عن علم ورواية بعد طول معاناة ودرس لهذا الشعر شأنهم فى ذلك شأن الصراف الذى أشار إليه خلف . روى[3] أن حماداً أنشد بلال بن أبى بردة شعراً مدحه به ، فقال بلال لذى الرمة : كيف ترى هذا

---

(١) ابن سلام طبقات الشعراء ٨ (٢) زيل الأمالى ١٠٥ (٣) الأغانى ٦ : ٨٨

الشعر ؟ قال ذو الرمة : جيداً وليس له . قال بلال : فمن يقوله ؟ قال: بعض شعراء الجاهلية وهو شعر قديم وما يرويه غيرى . قال : فمن أين علم ذوالرمة أنه ليس من قولك ؟ قال : عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام ».

(ب) إجماع الرواة : وقد وقع الإجماع فى كثير من الشعر الجاهلى ولم يختلفوا إلا فى بعضه وهم يجلون هذا الإجماع . يقول ابن سلام[1] : « وقد اختلف العلماء فى بعض الشعر كما اختلفت فى بعض الأشياء ، أما ما اتفقوا عليه فليس لأحد أن يخرج عنه » .

(ج) وجود الشعر فى ديوان الشاعر أو ديوان القبيلة، فقد دون هذه الدواوين الثقات من العلماء الرواة ، ولذلك قبلوا ما جاء فيها على صورة اليقين والقطع ، وما ذكروه مما يشك فيه نبهوا عليه .

ومما يدل على ثقتهم فيما دونه العلماء فى الدواوين الشعرية أن أبا الفرج ذكر شعراً لامرئ القيس وقال[2] : « وهى قصيدة طويلة وأظنها منحولة » ، ثم قدم لظنه هذا بسببين : الأول : لأنها لا تشاكل كلام امرئ القيس ، وهو نقد داخلى والثانى : لأنها « ما دونها فى ديوانه أحد من الثقات » ، وهو نقد خارجى .

فإذا ما استخدم العلماء هذه المقاييس الثلاثة أو اكتفوا ببعضها اطمأنوا إلى ما يوردون وثبت عندهم صحته وقدمه . فمن ذلك أنك ترى أبا عبيدة يورد شعراً جاهلياً ويصفه بقوله[3] : « الشعر الثابت الذى لا يرد » ، ومن ذلك أيضاً أن الواقدى يورد شعراً لحسان ويصفه بقوله : « ثبت قديم » ، وأن الجاحظ يطمئن إلى أنه يستشهد على بعض الأخبار « بالشاهد الصادق »[4] و « بالأشعار الصحيحة »[5]

---

(١) طبقات الشعراء ٦ (٢) الأغانى ٩ : ٩٧ (٣) النقائض ٢٣٨
(٤) المغازى ٢٨٢ (٥) البيان والتبيين ٢ : ٤٠

ويصف بعض ما يذكر من أشعار العرب وأخبارهم بأنها « أشعارهم المعروفة وأخبارهم الصحيحة »[1].

٣ ـ وأما الضرب الثالث من ضروب الشعر الجاهلي فهو المختلف عليه، وفي هذا الضرب نقاط :

(١) أن هذا الضرب يبدو كبير القدر لكثرة ما يقرأ من النص على أن هذا البيت موضوع وأن تلك الأبيات منحولة ومن اتهام الرواة بالكذب والتزيد.

ولكن الحقيقة أن من ينعم النظر ويستقصي في البحث يجد أن هذا الضرب ليس من الكثرة إلى درجة كبيرة، فالراوية العالم يروي ديوان الشاعر عن راويتين أو ثلاثة من الطبقة الأولى فيورد كثيراً من قصائد الديوان والإجماع منعقد على صحتها، ثم يشير في قصائد قليلة إلى أن هذه القصيدة رواها فلان ولم يروها فلان، أو أن تلك القصيدة قد تنسب إلى فلان وهو غير صاحب ديوان، وقد يجمع هذا الراوية أبياتاً متفرقة أو مقطوعات صغيرة يضمها عنوان هو : « المنحول من شعر فلان » ، وهو يقصد من المنحول ما لم يروه هؤلاء الرواة العلماء الذين رووا هذا الديوان .. فإذا ما أحصيت هذه الأبيات التي نص في تضاعيف الديوان أنها ما رواه فلان دون فلان، وضممت إليها ما جمع في آخر الديوان بعنوان : « المنحول من شعره » ـ وجدتها لا تعد شيئا مذكورا إذا قيست إلى القصائد التي أجمع الرواة على صحتها.

أما الروايات التي ترمي الرواة بالكذب والتزيد ـ فقد كان المقصود بأكثر هذا القدح التهجين والنيل من الرواة أنفسهم، وإلا فإن ذلك القدح والتهجين

---

(١) الحيوان ٢ : ١٠٧

لم يمنعا العلماء والرواة من الأخذ عن بعضهم ، فقد اتهم البصريون الكوفيين وأسقطوا رواياتهم ورموهم بالكذب والوضع والنحل ، ولكن ذلك لم يحل بين البصريين والأخذ عن الكوفيين ، بل إن رأسين من رءوس الرواية البصرية قد أخذا عن أكثر الكوفيين حظا من الاتهام – ونقصد خلفا الأحمر والأصمعى ، وأخذهما عن حماد الراوية – بل إن اتهام البصريين خلف نفسه لم يمنعهم من الأخذ عنه . والدليل كذلك على أن الاتهام شخصى أنه كان إذا مات الراوية عاد الذى أزرى به يقر له بالعلم وبوثقه ، فهـذا أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدى يتعصب للبصريين على الكوفيين، وقد نظم قصيدة يمدح نحويّى البصرة ويهجو الكوفيين وخاصة الكسائى ويعيب مذهبهم ، قال فيها بعد أن مدح نحاة البصريين[1] :

يا ضيعة النحو به مُغْرِب عنقاء أودت ذات إصعاد
أفسده قوم وأزروا به من بين أغتام وأوغاد
فهم من النحو ولو عُمّروا أعمار عاد – فى أبى جاد
أما الكسائى فذاك امرؤ فى النحو حارٍ غير مزداد
وهو لمن يأتيه جهلا به مثل سراب البيد للصادى

فإذا ما بحثت عن سبب هذا الهجاء ولم تكتف بهذه العصبية البصرية – وجدت بين اليزيدى والكسائى خصومة شخصية ومنافسة ، وذلك لأن اليزيدى كان مؤدب المأمون ، والكسائى كان مؤدب أخيه محمد الأمين ، وبينه وبين الكسائى مقارضة بسبب تأديبهما الأخوين[2] . ومن أجل هذا كان كل همه فى أن يعيبه وينال منه .. فلما مات الكسائى وانقضت تلك المنافسة والخصومة

(١) السيرافى : أخبار النحويين البصريين ٤١–٤٤ (٢) السيرافى ٤٤–٤٥

عاد اليزيدى واعترف للكسائى بالعلم، فقال فى أبيات يرثيه ويرثى محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة[١] :

وأقلقنى موت الكسائى بعده وكادت بى الأرض الفضاء تميد
فأذهلنى عن كل عيش ولذة وأرق عينى والعيون هجود
هما عالمانا أوديا وتخرما وما لهما فى العالمين نديد

(ب) إن كثيراً من النص على النحل لايعنى أن هذا الشعر منحول موضوع حتما، وإنما المراد أن هذا الراوية العالم يذهب إلى أن هذا الشعر منحول، فى حين يذهب غيره إلى أنه صحيح، فرد الأمر إذن إلى خلاف فى الحكم والرأى مرجعه إلى اختلاف المصادر التى كان يأخذ عنها الرواة، وإلى اختلاف المناهج التى كان يحتكم إليها العلماء . . وهذه بعض الأمثلة لذلك :

ـ روى ابن سلام عن أبى عبيدة عن يونس بن حبيب أن حمادا الرواية قال قصيدة فى مدح أبى موسى الأشعرى وأنشدها بين يدى بلال بن أبى بردة بعد أن نحلها الحطيئة[٢]، ولكن المدائنى وهو بصرى مثل هؤلاء الثلاثة يخالفهم فى الرأى، وقد ذكر أن الحطيئة قال هذه القصيدة فى أبى موسى وأنها صحيحة قالها فيه وقد جمع جيشاً للغزو[٣].

ـ وقد أورد المصعب الزبيرى أبياتاً من الرجز تجعل نسب قضاعة فى حمير لا فى معد[٤]، وذهب إلى أن هذه الأبيات موضوعة، فقال : « وزوروا فى ذلك شعراً » وأورد الأبيات أيضاً أبو الفرج، وروى عن مؤرج بن عمرو أنه قال[٥]: « هذا قول أحدثوه بعد وصنعوا شعرا ألصقوه به ليصححوا هذا القول .. وهذا شىء قيل فى أواخر بنى أمية ».

---

(١) السيرافى ٤٦ (٢) طبقات الشعراء ٤١ (٣) الأغانى ٢ : ١٧٦
(٤) نسب قريش ٥ (٥) الأغانى ٨ : ٩١

ومع ذلك فابن هشام الذى ولد بعد أيام بنى أمية والذى تعقب ابن إسحاق فيما أورد من الشعر ونقده واستطبعضه لأنه «لم ير أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها» ابن هشام هذا يورد الأبيات السابقة على أنها صحيحة ، وعلى أنه يستدرك بها ما فات ابن إسحاق ذكره[1] .

(جـ) ومما قد يوهم بالنحل والوضع أيضاً اختلاف الرواة فى نسبة الشعر ، فتراهم ينسبون بعضه إلى شاعرين أو ثلاثة شعراء جاهليين ، والأمثلة على ذلك كثيرة نورد مثلين عليها : الأول أن الأبيات التى فى وصف المطر ، ومنها :

دانٍ مسف فويق الأرض هيدبه   يكاد يدفعه من قام بالراح

نسبها يونس بن حبيب لعبيد بن الأبرص ، وعلى ذلك كان إجماع أهل البصرة[2] ، فلما قدم المفضل صرفها إلى أوس بن حجر . والثانى أن القصيدة التى منها :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ   يبنون من دون سيله العرما

نسبها يونس للنابغة الجعدى ، ونسبها أبو عبيدة لأمية ، ثم سئل خلف الأحمر عنها فقال : « للنابغة وقد يقال لأمية »[3] .

ويجب أن نلحظ أن الشعر فى هذين المثلين وفى كثير من الأمثلة غيرهما نسب إلى شعراء جاهليين ، وأن الخلاف فى نسبته لم يخرجه عن نطاق الشعر الجاهلى ، فجاهلية هذا الشعر إذن ثابتة لا شك فيها عند هؤلاء الرواة العلماء ، وإن كانوا اختلفوا فى الشاعر الجاهلى نفسه ربما لاختلاف المصادر التى استقى منها كل راوية منهم نسبة الشعر .

وقد كان هؤلاء الرواة العلماء لطول تمرسهم بالشعر الجاهلى ومدارستهم إياه

---

(١) السيرة ١ : ١١ـ١٢   (٢ـ٣) طبقات الشعراء ٧٦ـ٧٧/١٠٦

يعرفون الشعر الجاهلى ويميزونه من الإسلامى بمجرد سماعهم إياه ، وإن كانوا يختلفون أحياناً فى نسبته ، بل إنهم أحياناً ليعرفون أنه شعر جاهلى ، ولكنهم يعجزون عن ذكر الشاعر نفسه ، ومثال ذلك ما سبق من معرفة ذى الرمة ما أنشده حماد من الشعر الجاهلى ولم يكن لذى الرمة علم بهذا الشعر سابق لاختصاص حماد وحده بروايته .

وكانوا أحياناً حينما يطمئنون إلى أن الشعر جاهلى ينسبونه إلى شاعر بعينه ، وربما كان ذلك لأنهم عرفوا أن هذا الشعر أقرب إلى روح ذلك الشاعر لكثرة ما درسوه وعرفوه ، وعلى هذا الضوء نستطيع أن نفسر بعض الروايات التى قد يفهم منها الاتهام بالوضع أو الرمى بالكذب فى حين لا وضع ولا كذب إذا فهمناها على ما قدمنا .

فمن ذلك أن حماداً جاءه أعرابى فأنشده قصيدة لم يدر لمن هى فقال حماد : اكتبوها ، فلما كتبوها وقام الأعرابى قال حماد : لمن ترون أن نجعلها ؟ فقالوا أقوالا فقال حماد : اجعلوها لطرفة[1] .

(د) وبعد : فمنذ مطلع القرن الثانى الهجرى وبعده بقليل قامت طائفة من العلماء الرواة من أمثال أبى عمرو بن العلاء وحماد الراوية ثم المفضل وخلف الأحمر وهم الطبقة الأولى من العلماء الذين عرفتهم العربية فى تراثها الجاهلى فتلقوا تراث الجاهلية شعرها وأخبارها وأنسابها : وصلهم بعضه مدوناً فى دواوين كاملة ضمت تراث القبيلة كله أو شعر شاعر فرد من شعرائها ، ووصلهم بعضه مكتوباً فى صحف متفرقة ، ثم وصلهم بعضه عن طريق الرواية الشفهية التى كان يتناقلها الخلف عن السلف ، فحملوا الأمانة ومضوا يجمعون ما تفرق من هذا التراث يضيفون إليه

---

(١) مراتب النحويين ١١٧-١١٨

ما لم يكن فيه مما ثبتت لهم صحته ، وينفون عنه ما ثبت لهم زيفه وفساده ، ولم يألوا جهداً فى التثبت والتحقيق والتمحيص والمدارسة ، حتى استقام لكل منهم ما تيقن صحته ، فمضى يذيعه على تلامذته فى حلقات دروسه ويشيعه فى رواد مجالس علمه .

فخلف من بعدهم خلف هم الطبقة الثانية من العلماء الرواة تأسوا بشيوخهم واقتفوا سبيلهم يجمعون ويدرسون ويفحصون ويمحصون ، ثم يستقيم لكل منهم ما تيقن صحته فيذيعه على تلاميذه من علماء الطبقة الثالثة .

ومع ذلك فقد كان لا بد لبعض هؤلاء العلماء من أن يختلفوا ، فقد وقع لبعضهم من الصحف المكتوبة أو الدواوين المدونة أو الرواة من الشيوخ العلماء ومن الأعراب الفصحاء ما لم يقع كله لغيره . . ثم كان لكل طائفة من هؤلاء العلماء منهج فى الأخذ والتلقى . ولكن هذا الخلاف فى المصادر أولا وفى المنهج ثانياً – لم يمنع العلماء من أن يأخذ بعضهم عن بعض ، ومن أن يدخل علماء المصر إلى المصر المجاور ، ليأخذوا منهم ويرووا عنهم ثم ينقلوا ما يتيقنون صحته إلى تلاميذهم ، ويكتبوه فيما يجمعون من دواوين . فهذه الدواوين المنسوبة المسندة التى يرتفع إسنادها إلى الطبقة الأولى أو إلى تلاميذهم من علماء الطبقة الثانية هى التى تحوى بين دفتيها الشعر الجاهلى الذى يتيقنون صحته بعد تحرٍّ واستقصاء وجمع وتمحيص ونقد .

المراجع

١ ـ أخبار النحويين البصريين للسيرافي تحقيق كرنكو سنة ١٩٣٦ م .

٢ ـ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ط دار الكتب .

٣ ـ البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون سنة ١٩٤٨ م .

٤ ـ تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي بيروت سنة ١٩٧٤ م .

٥ ـ تحت راية القرآن لمصطفى صادق الرافعي سنة ١٩٢٦ م .

٦ ـ الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون سنة ١٩٣٨ م .

٧ ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي ـ السلفية سنة ١٣٤٧ هـ .

٨ ـ السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا وآخرين ط مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٣٦ م .

٩ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق أحمد محمد شاكر ط عيسى البابي الحلبي سنة ١٩٦٤ م .

١٠ ـ الشهاب الراصد لمحمد لطفي جمعة .

١١ ـ طبقات فحول الشعراء لابن سلام تحقيق محمود محمد شاكر ط دار المعارف .

١٢ ـ الفن ومذاهبه في الشعر لشوقي ضيف ط ٢ دار المعارف .

١٣ ـ في الأدب الجاهلي لطه حسين ط ٤ دار المعارف .

١٤ ـ في الشعر الجاهلي لطه حسين ـ دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦ م .

١٥ ـ كتاب الخيل لأبي عبيدة معمر بن المثنى ـ الهند سنة ١٣٥٨ هـ .

١٦ ـ كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ط بريل في ليدن سنة ١٣٢٢ هـ .

١٧ ـ كتاب المعمرين من العرب للسجستاني تصحيح الخانجي سنة ١٩٠٥ م .

١٨ ـ محاضرات فى بيان الأخطاء العلمية التاريخية التى اشتمل عليها كتاب فى الشعر الجاهلى لمحمد الخضرى .

١٩ ـ مروج الذهب للمسعودى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ المكتبة التجارية ط ٢ سنة ١٩٤٨ م .

٢٠ ـ المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى ط ٢ عيسى البابى الحلبى .

٢١ ـ مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية د . ناصر الدين الأسد ط ٥ دار المعارف سنة ١٩٧٨ م .

٢٢ ـ مغازى رسول الله للواقدى ـ جماعة نشر الكتب القديمة سنة ١٩٤٨ م .

٢٣ ـ المفضليات للمفضل الضبى تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ـ دار المعارف .

٢٤ ـ الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء للمرزبانى ـ السلفية سنة ١٣٤٣ هـ .

٢٥ ـ النقائض لأبى عبيدة معمر بن المثنى طبع الصاوى سنة ١٩٣٥ م .

٢٦ ـ النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى لمحمد أحمد الغمراوى ـ السلفية سنة ١٩٢٩ م .

٢٧ ـ نقد كتاب الشعر الجاهلى لمحمد فريد وجدى .

٢٨ ـ نقض كتاب فى الشعر الجاهلى لمحمد الخضر حسين .

الفهرس العام للكتاب

فهرس موضوع دفاع عن الشعر